الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة د. الطاهر مولاي سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة الفلسفة

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه L.M.D في الفلسفة

موسومة بـــ

الكرامة الإنسانية في الأخلاقيات التطبيقية
الممارسات الطبية نموذجا

من اعداد الطالبة :
مداسي مريم وفاء

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الله موسي

لجنة المناقشة:

أ.د بوعرفة عبد القادر	جامعة وهران 02	رئيسا
أ.د عبد الله موسى	جامعة سعيدة	مقررا ومشرفا
أ.د عمر الزاوي	جامعة وهران 02	عضوا مناقشا
أ.د محمدي رياحي رشيدة	جامعة وهران 02	عضوا مناقشا
أ.د مخلوف سيد أحمد	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
أ.د آيت أحمد نور الدين	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2017/2016

الإهداء

إلى من علماني اتيقا العلم والحياة

أبي وأمي .

شكر وعرفان :

بأسمى عبارات الشكر والعرفان أتقدم بشكري الخالص إلى الأستاذ الدكتور موسي عبد الله، الذي أشرف على هذا العمل ولم يبخل علي بزاده العلمي، ونبله وطيبته .

ولن أنسى أستاذي عرعور علي – رحمه الله – الذي كان يشع بفلسفة كلها اتيقا مودة وإخلاص.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا العمل. وإلى كل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة سعيدة .

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بشكري الخالص إلى عائلتي التي كانت دائما حافزاً ومصباحا ينير لي الطريق أينما كنت .

وكل من ساهم في إنجاح هذا العمل من قريب أو من بعيد.

جزاكم الله خيرا .

قبس:

" نظرا لظهور قضايا جديدة ومشكلات غير مسبوقة في حياة الإنسان نشأت الحاجة إلى اتيقا تدبر هذه القضايا والمشكلات وتنير لها السبيل "

فريد العليبي، مقالة(العرب والبيوطيقا)، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2010 ،ص129

فهرس المحتويات

شكر

إهداء

قبس

فهرس المحتويات

مقدمة .....أ/و.

مدخل:.....14

الفصل الأول: الوعي الإنساني وتنوير العقل

تمهيد:

المبحث الأول: مفهوم الانسان في الفلسفات 41

المبحث الثاني: تبلور الوعي الإنساني 63

المبحث الثالث: عصر التنوير والبحث عن إنسانية الإنسان 73

الفصل الثاني: الكرامة الانسانية بين الدين والفلسفة

تمهيد:

المبحث الأول: مفهوم الكرامة الإنسانية 89

المبحث الثاني: الكرامة الإنسانية في الأديان السماوية .....99.

المبحث الثالث: الكرامة الإنسانية في الفلسفة المعاصرة.....113

الفصل الثالث: اتيقا وضوابط الممارسات البيوطبية

تمهيد

المبحث الأول: الممارسات البيوطبية ومبدأ الكرامة الإنسانية 137

المبحث الثاني: المسؤولية الطبية واقرارها لمبدأ الكرامة الانسانية 170

المبحث الثالث: الضوابط الدولية ومستقبل الإنسان 181

خاتمة:.....197

قائمة المصادر والمراجع:

الملاحق

الترجمة

مقدمـــة

يشهد العالم اليوم نقاشا فلسفيا اتيقيا حول الرهانات والممارسات الناتجة عن الحقل البيوطبي والبيوتكنولوجي، وهذا ما أدى إلى التفات الفلسفة في النصف الثاني من القرن العشرين للبحث عن القضايا الشائكة التي يشغلها العلم والتقنية، والتي نتجت عنها تحديات أكثر تعقيدا لإكتساح العلوم والتقنيات في جميع مجالات الحياة، ففيلسوف اليوم يقدم لنا تفكيرا خالصا في المبادئ والقواعد الاتيقية، التي تتوافق مع المستجدات التقنية، التي نتجت عنها أخلاقيات تطبيقية، تلك التي كانت انطلاقتها من الولايات المتحدة الأمريكية، ثم تداعى صيتها إلى العالم الغربي، وصولا للعالم برمته .

لقد كانت جل الدراسات العلمية والتجريبية مادة خصبة، لكونها شملت العلوم البيولوجية، غرضها التحسين من حياة الإنسان، وهذا مطلب تقاسم التفكير فيه جانب من العلماء والفلاسفة ورجال الدين، وحتي الأطباء من منظورهم النقدي الاتيقى ، بانتقادهم لنتائج الأبحاث، ومراقبتهم لتلك الممارسات التي تمس بجوهر الإنسان، لاعتبار أن للحياة قدسيتها. ولذلك نجد أن النشاط الفلسفي اليوم يهتم بالراهن، في صورته العملية والواقعية المتمثلة في ايجاد إتيقا جديدة تواكب الثورة البيولوجية الحاصلة في علوم الطب ، وتحاول أن تتعاطى مع المشاكل الأخلاقية الناتجة عن بعض التجاوزات اللأخلاقية على حياة للإنسان.

إن تحمل الفلسفة لمبادئ تجددت من خلالها قراءة الخطاب الأخلاقي الكلاسيكي، والذي عرف تراجعا في فلسفته النسقية التقليدية. ولذلك تعتبر الأخلاق التطبيقية اليوم فلسفة أخلاقية معاصرة تواكب ما يجرى في الساحة الطبية والبيولوجية من تجارب على البشر، هذا ما أدى إلى اهتمام رجال الدين والقانونيين والأطباء؛ بإنعكاسات بعض الممارسات والتجارب البيوطبية، على واقع ومستقبل الإنسان. ولأن نجاح هذه الأخلاق مرهون بنجاحها في كيفية تعاملها مع هذه التقنيات، والبحث عن حلول لمشكلات

تقنية أرقت الوجود الإنساني، ظف إلى ذلك أن الفكر الفلسفي أصبح يساير اليومي من العيش الإنساني، وينطلق من الممارسات التي تقام في المخابر، كلها دواعي جعلت منه يبحث عن مبدأ تأسيس للكرامة الإنسانية. والبحث عن قيم أفضل يعيش بداخلها الإنسان والإنسانية معاً، وهذا يوازي التحول الفلسفي من النسق إلى الذات، فالواقع اليوم يواكب الثورة البيولوجية بجميع مستجداتها، مما جعل الفلسفة التطبيقية تجد مجالا خاصا بها، مع حاجة البشرية الملحة لها، وهذا ما يجعل موضوع الدراسة يمس جزءا من البيواتيقيا في شكل من اشكالها العملية.

نجد الحقل البيواتقي يتقاسم هموماً مشتركة بين رجال الدين والفلاسفة والأطباء وغيرهم من الداعين إلى انتشار الوعي الانساني، للبحث في نتائج العلوم أو على الأقل الخروج بأضرار طفيفة لأجل الصحة الفردية والعمومية، ولأن كل تلك الممارسات أثرت على كرامة الانسان، فقد حاولت الأخلاق التطبيقية أن تضفي طابعا أخلاقيا لكل تلك الممارسات البيوطبية، والمحافظة على مبدأ الحياة، وقدسيتها، وهذا ما دفع بالفيلسوف اليوم إنشاء مجموعة من القواعد للمحافظة على الصبغة الإنسانية من الإنتهاكات العلمية التجريبية في مجال الطب والبيولوجيا.

ولذلك كان اهتمامنا بإشكالية مبدأ الكرامة الإنسانية انطلاقا من بعض الممارسات الطبية، التي شهدت تطورا كبيرا، فكانت بدايتنا من الفكر الفلسفي، وصولا إلى التطور الذي عرفه العلم المعاصر والتقنية على وجه الخصوص في مجال الطب، نتيجة التحولات والتغيرات التي طرأت على كرامة الإنسان وإنسانيته الضائعة. فإشكاليتنا تعتبر من بين الاهتمامات التي جالت بها البيواتيقا في الفكر الأخلاقي المعاصر اليوم، باعتبارها الراهن الفلسفي الذي يشغل حيزا في الخطاب الفلسفي التطبيقي ، ومبحثاً جديداً أصبح يراقب وينظر، لجل الممارسات البيوطبية التي يستعمل فيها الإنسان كآداة، وخاصة

أنه أصبح يخضع لغرور العلماء وتجاربهم الطبية والبيولوجية، لأجل ذلك اهتمامنا انصب حول الإفرازات والممارسات البيوطبية(الموت الرحيم، الاستنساخ وزراعة الأعضاء البشرية) وإنعكاساتها على مبدأ الكرامة الإنسانية، هذا ما أدى إلى ظهور لجان اتيقية تراقب تلك الممارسات والافرزات التي تخلفها المخابر العلمية، وتدافع على ضرورة الحفاظ وبقاء الإنسان مع إنسانيته.

جاءت البيواتيقا تؤكد قيمة الإنسان، وخصوصيته وأهمية الحفاظ على بقائه وتحسين حياته لمستوى أفض مما هو عليه، فقد جمعت بين الطابع الفلسفي، الذي ينظر لقضايا اتيقية فلسفية، وطابع علمي المتمثل في الممارسات البيوطبية، والتجارب التكنولوجية، ما جعل من البيواتيقا تشهد انتشارا كبيرا في العالم برمته. وهذا ما أدى إلى توطيد العلاقة بين الفلسفة والطب و الاتيقا.

ولقد تم الاهتمام بالخطاب الاتيقي من خلال ضم مسائل معاصرة، شكلت خطورة على مبدأ الكرامة الانسانية، خصوصا في ظل انتشار الهندسة الوراثية، ولذلك كان لابد من قراءة فلسفية تجدد الخطاب الفلسفي ليعايش القيم الجديدة اليوم، قيم تمس بالجانب الديني والقانوني والعلمي، ولأجلها وجدت ظوابط دولية ومواثيق عالمية كثيرة تؤكد مبدأ الإقرار بالكرامة الإنسانية، لكنها غير كافية. فهي بحاجة إلى ميثاق اتيقي نابع من الذات الإنسانية، الأمر الذي جعلنا نحرص على صياغة الإشكالية بالنحو التالي: **ما الانعكاسات المترتبة عن الممارسات البيو طبية والبيو تكنولوجية على مبدأ الكرامة الانسانية ؟.**

ولتبسيط هذه الإشكالية، وضعنا جملة من التساؤلات التأطيريه، أوجزناها فيما يلي :

كيف ساهم الوعي الإنساني في بلورة الاهتمام بإنسانية الإنسان؟.

إلى أي مدى يتم إحترام مبدأ الكرامة الإنسانية أثناء الممارسة البيوطبية وغيرها من الممارسات؟

ما أهم المشكلات الاتيقية المترتبة عن الموت الرحيم والاستنساخ وزراعة الأعضاء البشرية؟.

وإلى أي مدى يلتزم الطبيب الممارس بأخلاقيات الممارسة الطبية اتجاه حق المريض أولا وحق الإنسان عموما؟

وكيف تحاول اللجان الاتيقية ايجاد ضوابط لهذه الممارسات البيوطبية التجريبية على الانسان؟.

ولمعالجة هذه الإشكالية اعتمدنا الخطة المنهجية التالية، إذ قمنا بتقسيم الأطروحة إلى ثلاث فصول، كل فصل بثلاث مباحث. وخاتمة.

الفصل الأول : الوعي الإنساني وتنوير العقل، تناولنا فيه المرجعية الفلسفية لمفهوم الانسان عبر تاريخ الفكر الفلسفي، ثم تطرقنا إلى مسألة وعلاقة الوعي الانساني، بامجال الواقع اليومي، وما استوحى منه مبدأ الكرامة الانسانية، مع تقديم بعض اسهامات فلاسفة الأنوار في تأسيس فلسفة إنسية .

أما **الفصل الثاني : الكرامة الانسانية بين الدين والفلسفة،** تناولنا فيه مفهوم الكرامة الانسانية، من الفلسفة والدين ومختلف الثقافات، وكذا أهم المفاهيم الفلسفية الجديدة التي أضحت متداولة في الفلسفة المعاصرة .

أما **الفصل الثالث: اتيقا وضوابط الممارسات البيوطبية** : نحو قضايا الموت الرحيم، الاستنساخ وزراعة الأعضاء البشرية. مع تحليل كل ممارسة من الناحية التطبيقية، ومقاربتها بجملة من المواثيق الدولية التي تؤكد مبدأ الكرامة الإنسانية .

أما الخاتمة كانت استخلاص أهم النقاشات التي دارت حول موضوع مبدأ الكرامة الإنسانية، ومدى حضورها المكثف في مختلف دوائر اللجان الاتيقية، ومدى الاهتمام المتزايد بمثل هذه المواضيع الراهنة.

منهجية البحث :

لقد اعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي، اتجاه معالجة الانعكاسات، على المستوى البيوطبي تحديدا، وكذا انعكاساته على مبدأ الكرامة الإنسانية، كما استفدنا من المنهج التجريبي، لأن جل الممارسات الطبية التجريبية تمس بالإنسان من الناحية العملية، وهذا ما اهتمت به المخابر العلمية، ثم قمنا بمقاربة بين المجال الفلسفي المتمثل في النصوص القانونية واللجان الاتيقية، والمجال العلمي المتمثل في الممارسات البيولوجية المتمثل في" الموت الرحيم" و"الاستنساخ" و"زراعة الأعضاء البشرية".

الدراسات السابقة: لقد استفدت في موضوع أطروحتي من العديد من الدراسات وهي كالآتي:

فنجد أطروحة قدمها عمر بوفتاس، (البيواتيقا–الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا–) لنيل شهادة الدكتوراه في المغرب2015، حيث تناولت العديد من المشاكل الأخلاقية التي أصبحت تطرحها البيوتكنولوجيا والبيولوجيا على وجه الخصوص وذلك من خلال ولوج أدوات التكنولوجيا لفك الشفرة الوراثية والخريطة الجينية، وانعكاسها بشكل كبير على كرامة وحرية الإنسان، كل هذا المواضيع عجر الفكر الأخلاقي الكلاسيكي عن ايجاد حلول عملية لها، فقد قمنا بالبحث في الأسس الاتيقية التي حاولت أن تعيد للإنسان كرامته كمبدأ مطلق يعيش لأجله.

بالإضافة إلى أطروحة مارسال مونتا، " تحليل مفهوم الكرامة الإنسانية في أخلاقيات علم الأحياء بين" 1966،1999" بكندا، تناولت هذه الدراسة التحليلات الفلسفية لمفهوم الكرامة بين الفترتين المذكورتين، وذلك من خلال الجانب القانوني واللجان الأخلاقية في الحقل الأوروبي، نظرا لما يشهده في الفترة الأخيرة من أبحاث بيوطبية على الانسان .

صعوبات البحث:

أما العقبات التي واجهتنا في تناولنا للإشكالية، هي راهنيه الموضوع التي تطلب منا توثيق خاص بموضوع البيواتيقا بصفة عامة، ومبدأ الكرامة الإنسانية بصفة خاصة، الشئ الذي مكننا الاستفادة من تربص بجامعة باريس8، من خلال النقاشات التي جرت بيننا وبين بعض الأساتذة المختصين في هذا الحقل الجديد، وهذا ما ساعدنا أكثر.

وفي الأخير نهدف من خلال أطروحتنا الوصول إلى آفاق عديدة، منها ربط الواقع البيوطبي، بأسس اتيقية، تؤسس لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في المستقبل البيوتكنولوجي، ومواجهته لكل المشكلات الأخلاقية، بالإضافة إلى إعادة صياغة قوالب جديدة تكون فيها الممارسات البيوطبية أكثر إنسانية مما هي عليه اليوم، أو تأطيرها وفق ما يتوجب فعله، بالإضافة إلى إلزامية الطبيب الممارس التقيد بأخلاقيات الممارسة الطبية اتجاه حق المريض أولا ومن ثمة حق الإنسانية جمعاء. ووجوب احترام مبدأ الكرامة الإنسانية أثناء الممارسة البيوطبية وغيرها من الممارسات، ونأمل أن نشهد ميلاد جديد للجان أخلاقية، تتكفل بمثل هذه المسائل في الوطن العربي على غرار ما هو موجود في الساحة العلمية الغربية اليوم، تماشيا مع ما يشهده واقعنا من تطورات في مجال الطب. فهل يمكن أن نشهد ميلاد لجان أخلاقية في وطننا العربي على غرار ما هو موجود.

المدخل

تتحمس البشرية اليوم لإنشاء قاعدة قيمية اتيقية، تختلف عن تلك التنظيرات الأخلاقية الكلاسيكية التي شهدها الفكر الفلسفي قديما، ولذلك سعى الفكر الفلسفي المعاصر للبحث عن معالم فكر جديد، يبحث في مواضيع مرتبطة بالواقع الإنساني وهذا ما يسمي اليوم بالأخلاقيات التطبيقية، التي تركز جل اهتماماتها بالواقع العلمي والبيوطبي، فقد قدم الفلاسفة مجموعة من الأطروحات والمواضيع، التي شهدها التحول الأخلاقي، نتيجة بروز العديد من الممارسات البيوطبية، والتي أثرت في الجسد الإنساني، حيث أصبح ذلك الجسد محور اهتمام الأطباء ورجال القانون والفلاسفة.

إن حاجتنا اليوم للبحث في المعيش اليومي، هو ما جعل الإهتمام بالفكر البيواتيقي* يجد طريقا واسعا وإهتماما كبيرا، لما بلغه من أهمية كبرى في الواقع الإنساني، لكون هذا الأخير أصبح يعيش وحدة متناغمة ومتكاملة، يسعي من خلالها لتجسيد رغباته وميولاته، بتجربة الوجود الراهنة التي يتحكم فيها كعنصر أساسي في الحياة اليومية التي لا تقتصر على التنظير الأخلاقي فقط، بل تعدتها إلى المجال التطبيقي بمفهومه الواسع، لقد أصبح الإنسان خاضعا لتقنيات البيوتكنولوجيا، التي شهدت تطورا كبيرا، وانعكاساً على الجسد البشري في جميع مستوياته. لقد كانت الجذور الفلسفية الداعمة إلى مبدأ المحافظة على الكرامة الانسانية، هي الوحيدة التي بإمكانها تبرير موقفها اتجاه الحياة الإنسانية، فحاولت المجتمعات المعاصرة اليوم البحث عن العديد من العلاقات التي تؤطر مبدأ اتيقا الحياة بدعامة أساسية، وبمثابة انطلاقة تبدأ بتغيير العلاقة بين الطبيب والمريض، من ممارسة

* البيواتيقا: تترجم هذه لكلمة إلي أخلاقيات علم الأحياء ، فقد ظهر هذا المصطلح في الولايات المتحدة الأمريكية في السبعينيات ثم تطور في أوروبا ، فالبيواتيقا تثير ذلك التوتر بين الأخلاق والتقنية والذي حددت معاييره ، فقد جاءت تبحث عن قيم تحكم هذا المجال الجديد في العلوم الذي يلتقي فيه كل م الفيلسوف والطبيب والسياسي .....الخ، فتبلور حركات تلك التطلعات والخطابات وحتي الممارسات التقنية التي تشمل تلك التقنيات الطبية المتطورة ، فأخلاقيات علم الأحياء يشمل جميع الكائنات الحية التي يمكن أن تكون مجال لتجريب (أنظر:

Dictionnaire d'éthique et de philosophie morale, sous la direction de la Monique Canto-Sperler, Ed. Presses universitaire de France, 2004, p 155).

السلطة الطبية الى البحث عن تأسيس علاقة إحترام بينهما(المريض والطبيب)، وإنشاء أسس اتيقية يشعر من خلالها الطبيب بمسؤوليته اتجاه مريضه، وذلك لن يكون إلا عند معرفتنا للأسس الذي تنبي عليها العلاقة بين الطبيب والمريض؟ فما هي العلاقة الاتيقية بين الطب والفلسفة ؟ وفا وجه الحاجة إلى بعث أخلاقيات جديدة تواكب التحولات الحادثة في المجال البيوطبي؟ .

في الحاجة إلى اتيقا جديدة :

لقد تضمنت القيم الكونية أفعالا نسبية، بين ما هو موجود في الواقع، وما يحاول الفلاسفة التأسيس له، وذلك من خلال التأكيد على المبادئ الأساسية للإنسانية داخل قوالب اتيقية، فقد وجد الإنسان المعاصر نفسه داخل دوامة شائكة من التهديدات البيوتكنولوجية التي لا تتبع من منطلق اتيقي بقدر ما تبع من منطلق تقني.

وفي كل ذلك نجد أن المنشغلين بالفكر الإنساني القيمي يبحثون دائما عن تأسيس اتيقي في حدود ما يسمي بالخير والشر، وفي دائرة البحث تلك، يجد عالما واقعيا أكثر تقنية، مما كان عليه في السابق، حيث أصبحت التكنولوجيات الحيوية والبيوتكنولوجيا تتحكم فينا وبشكل كبير، ولهذا أصبحنا نشاهد انعكاسات هذه التكنولوجيات على الجسد، الذي صار مهددا، جراء العديد من التقنيات البيوطبية، التي تستهدف الفرد كعنصر أساسي فيها، ويمكن وصف هذه الظاهرة (بالإنسان هو القاتل والطامس لهوية الإنسان) من خلال إذلاله باستعمال الأدوات البيوتكنولوجية التي تقلل من شأنه، وكل هذا يجعلنا نفكر داخل الحقل البيواتيقي، الذي يفتح أمامنا الأبواب للبحث عما يجب أن يأسس عليه الفعل الاتيقي اليوم،" **فالحد الفاصل بين الآمال التي تسمح بتطور التقنيات البيولوجية بتحقيقها لتخفيف**

الألم والبؤس الجسدي، والأوهام التي تغذيها هذه التقنيات، عندما تلغي المستحيل وتلغي الإنسان باعتباره نقصا في هذا الوجود"[1] .

لقد تغيرت اليوم جميع ملامح الفكر البشري، فبعدما كان يتميز بجانبه الأخلاقي التنظيري، كما جاء في الفلسفات السابقة أبقراط وقسمه المعروف، وأبيقور ومذهبه النفعي، وغيرهم من الفلاسفة الذين أيدو المبدأ الأخلاقي الكلاسيكي، المبني على أساس المنفعة واللذة. إن الفكر اليوم يحاول التأسيس لأخلاقيات أكثر إرتباطا بالواقع العملي. لأن الأخلاق الكلاسيكية كانت تمارس أو تبرهن على وجودها الأخلاقي من خلال دراستها للفعل الأخلاقي إذ كان صوابا أو خطأ، فكانت تلك الأخلاق مجرد أخلاق تنظيريه لا غير.

إن الأخلاق الكلاسيكية* طرحت مشكل أخلاقي يكمن بعدم قدرتها على التحكم في الممارسات البيوطبية، حيث أصبح الإنسان يعاني من آلام في ذاته، فتولدت عليها فقدان لهويته التي تعتبر عنصرا أساسيا لتعبير عن ذاته، وبدأ يبحث عن مجال يمكنه من العيش بصبغة إنسانية، لإعتباره حقا مشروعا في الحياة، فالحياة الإنسانية لها خصوصياتها لذلك، " **دعت الحاجة الأخلاقية لأخلقت الحياة في شتي مجالاتها الحياتية البيوطبية والسياسية وحتى الاقتصادية**"[2]، كل هذه المسائل ظلت تشغل الفكر الفلسفي والمهتمين بالقضايا الإنسانية، لغرض جعل الفكر البشري يسير نحو الأحسن والأرقى(من خلال البحث عن تحسين مستوى الحياة)، فهذه القضايا تشير إلى وجود أزمة أخلاقية نابعة من جراء فقدان الوعي الأخلاقي، في دائرة العلم وخاصة ما يسمي اليوم بالتكنولوجيات الحديثة، هذا ما أدى

---

[1]– رجاء بن سلامة وآخرون، البيوطيقا، تر:المنتصر الحملي وآخرون، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2010، ص7

.* الأخلاق الكلاسيكية المقصود من خلالها تلك القواعد والأسس الأخلاقية التي كانت في فلسفات سابقة ، مع العلم أن العالم اليوم تطور وارتقي لذلك ظهر ما يسمي بالأخلاقيات الجديدة التي تعني بالمشاكل الموجودة اليوم في العالم ، والتي يطرحها العلماء من خلال تجاربهم عن البشر.

[2] – Lucien Sève, **Pour une critique de la raison bioéthique**, Ed. Odile Jacob, Paris, 1994, p11

إلى تهديد الوجود الإنساني، وفقدان الإنسان لصبغته الإنسانية وهويته؛ ولذلك نجد الخطابات الراهنة تبحث عن مجال تؤسس فيه لإنسانية الإنسان، في ظل هذا الاغتراب البيوتكنولوجي، الذي أحدثته الثورات التقنية، وما نتج عنه من مشاكل أخلاقية أصبحت تهدد كيانه.

فقد باتت تشكل للإنسان أزمة في قواعده الأخلاقية، التي كان يسعى إلى تحقيقها، فكل هذا زاد من تعقيد حياة الإنسان، وفقدان العديد من المفاهيم التي ترتبط بالإنسان كالحرية والكرامة والاحترام، ولذلك " **يطرح مشكل الأخلاق كلما وجد مجتمع، لكن من غير الموجب وضع البراهين في صدارة الواقع الأخلاقي الكوني، وما يثيره من إحساس ملح، لأن هذا الإلحاح له طابع عرضي، ولأن مشكل الأخلاق يطرح في مجتمع تسبقه الأزمات، كما يطرح في مجتمع ينعم بالسعادة، إذا لكل فرد واجبات إزاء الآخرين، ولا مجال للإنطلاق من الإعتبار القائل أنه يوجد في مجتمع متكامل الاقوياء والضعفاء**" [1]، لقد تغير مفهوم الأخلاق في الوقت الراهن، نتيجة التقدم الهائل الذي شهده العالم برمته، وخاصة التقدم العلمي، وأصبح مرهونا بتلك التقنيات العلمية، يعني أنه أصبح يشتغل داخل اطار واسع وشامل و هو العلم، نظرا لما يحمله من تعددية نسقية وفكرية، إن للمساهمات الفلسفة التطبيقية الدور الكبير والريادي، في حل العديد من الأزمات الأخلاقية، بالإضافة إلى نشر الوعي الأخلاقي، فقد كانت مجرد محاولات لقيت نجاحا كبيرا على جميع الأصعدة ، " **فقد صار فيلسوف الأخلاق مطالبا أكثر من أي وقت مضى بأن يدلو بدلوه في لجان الأخلاق التي تشكلت في أنحاء العالم** "[2]ولذلك أصبحت تراقب أفعال الأشخاص داخل هذا الإطار البيومركزى، والذي يعتبر مجالا مفتوحا أمام العديد من المختصين في جميع مجالات العلم.

وهذا ما يثبت لنا أن الأخلاق بعد ما كانت في الفلسفات القديمة تبحث عما يجب أن يكون، أصبحت اليوم ومع بروز العديد من العلوم تبحث عما هو كائن، فقد تغير بحثها

---

[1]– بشير المؤدب، الاتيقا مفارقات وتأويلات، ط1، المغاربية للطابعة والنشر، تونس، 2013، ص ص (8–9)

[2]– مصطفي النشار، الفلسفة التطبيقية، ط1، الدار المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 50

حسب الظروف التي آلت إليها الحياة، وصار دورها كبيرا ومهما، لكونه يبحث في المستقبل المتمثل في تحسين وإرشاد الأفعال الإنسانية داخل هذه المجتمعات، وباتت تعطى لها أولوية كبيرة، وذلك بغية إقحامها في جميع التخصصات المختلفة مثل المجال البيوطبي والبيوتكنولجي والبيئة وغيرها . فعلى هذا الأساس نعرف الأخلاق حسب المدلولين التاليين:

المدلول اللغوي :

" **الأخلاق أو علم الأخلاق كما جاء في المعجم الوسيط هو ذلك العلم الذي يهتم بالأحكام القيمية التي تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح**" [1]، ويقال أن الفعل الأخلاقي هو ذلك الفعل الذي يسير وفق القواعد والسلوك التي يمليها المجتمع لفرض قانون أو لفرض نظام معين يجب على كافة أفراد المجتمع الالتزام به، وفي تعريف آخر للأخلاق" **الأخلاق هي مفرد خلق وتعني العادة والسجية والطبع والمروءة** "[2] فالأخلاق هي ما يجب أن يتحلى به الشخص من صفات حميدة، تكون نابعة من محض إرادته، يعني من غير إكراه داخلي أو خارجي.

المدلول الفلسفي :

يعرف العديد من الفلاسفة الأخلاق أنها علم القواعد، فمثلا ابن رشد " **يرى أن الأخلاق أساسها عقلي، فالعمل يكون خيرا أو شرا ذاته أو بحكم العقل، والعمل الخلقي هو الذي يصدر فيه الإنسان عن معرفة عقلية** "[3] فابن رشد في هذا يخالف الفقهاء الذين يرون أن الفعل الأخلاقي خير لأن الله أمر به، وبناء على هذا يوجد أشكال للأخلاق التي استحدثها الواقع اليومي، نتيجة الأسباب التي يعيشها الإنسان، والأزمات الأخلاقية التي أصبحت تستهدفه في جميع مجالات حياته الانسانية واليومية، ونتيجة لتلك الحاجة تولدت العديد من

[1] – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية ، مصر، 2004، ص252

[2]– مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، (ب ط)، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص33

[3]– نفسه، ص49

الممارسات الأخلاقية اليومية المرتبطة بالواقع العملي، فنجد (أخلاقيات العيادة، أخلاقيات البحث العلمي، أخلاقيات السياسة) كل هذا كان نتيجة إنشاء أخلاقيات تبحث عن مجال لأخلقت الحياة، وما نتجت عنه الفلسفة التطبيقية الاتيقية* ، كلها مجالات تحاول أن تجعل من الإنسان يعيش في قاعدة اتيقية قيمية تساهم بشكل كبير في الانفتاح على المعيش الإنساني.

أخلاقيات الحياة : ربما إختلفت الحياة الإنسانية والتفكير الإنساني في مجال الأخلاق، مع بروز أنواع جديد من أنماط التفكير، وهو ما يسمى باتيقا، التي لا تبحث عن إصدار الأحكام الأخلاقية أو عن شيء سامي في الوجود، لأنها ليست نسق من الأحكام. فتحاول أن تشرح لماذا يكون هذا أفضل من الآخر، بقدر ما تتوقف عن ربط فعل ما بقيمته الأخلاقية المتعالية، بل تتساءل عن كيفية حصول الشيء من خلال قوة محايدة، أي ما يستطيع هذا الموجود فعله، فتنقل الاتيقا فعل التمييز من الأخلاقي إلى اليومي، فيميز بين الأشياء من خلال قوة الشيء المحايد الذي يدفعه إلى الفعل، ولكنه ليس مجرد تمييز داخل مجال الفعل الانساني، بل يشمل كل شيء قادر على الفعل، كان نوعا أو حيوانا أو شيئا، لذلك فهي ليست بالأخلاق في شيء محدد، لأن الأخلاق لا تعرف الشيء إلا من خلال ما يكون وما يملك من حق وليس من خلال ما يستطيع .

الأخلاق الإيكولوجية : تسمي بأخلاق البيئة، وهي تتفرع إلى مجموعة أخلاق عملية دورها يقوم على إنشاء أفراد ذوي معايير وقيم أخلاقية تجمع بينهم وبين الكائنات الحية الأخرى، بالإضافة إلا أن هذا النوع من الأخلاقيات يهتم بتأسيس رؤية مستقبلية بين الإنسان والكون الذي يعتبر عنصرا أساسيا في حياته، ولذلك وجب تأسيس هذه العلاقة على أساس الإحترام والتعايش ليستطيع الإنسان مواصلة الحياة على أكمل وجه .

*أنظر (عمر بوفتاس ، البيواتيقا، (ب ط)، افريقيا الشرق، المغرب، 2011، ص16

الأخلاق الطبية : هذا النوع من الأخلاقيات هو أيضا له دور خاص به و المتمثل في كيفية إنشاء علاقة إحترام وكرامة بين التقنيات الطبية والمريض، بمعني آخر الطبيب هو المتحكم في هذه التقنيات الطبية ، فيجب أن تتأسس علاقة الإحترام المتبادل بين الطرفين؟.

من الأخلاق إلى الاتيقا :

الايتيقا Ethique: " **تسمى في اللغة الانجليزية Ethics إثيكس، وإيتيك في الفرنسية وهي من Ethicos إثيكوس المشتقة من إيتوس اليونانية Ethos ومعناها العادة والاعتياد، ومن أسمائه القديمة الفلسفة الأدبية أو العلم الأدبي والقول الأدبي يترجم إلى Moral المستمدة من كلمة Morse اللاتينية ومعناها الأساليب السلوكية والأخلاق والآداب العقيلة** "[1]، فلا يمكن للحياة أن تسير بدون قواعد سلوكية، فالأخلاق هنا تقول كلمتها في بحثها عن القواعد والتطبيق الواسع للصفات الأخلاقية التي تحكم الفرد مع المجتمعات الأخرى، كل هذا يدعو للحفاظ على كرامة الأفراد وصيانتها.

فالاتيقا هي مفردة من مفردات الأخلاق، لأن الأخلاق مصطلح شامل يعتني بقواعد تسيير الحياة، ولذلك كان التفكير الفلسفي يهتم كثيرا بمبحث الأخلاق منذ القدم، هذا ما نلاحظه من خلال فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة اللذين ركزوا على البحث والمساهمة في بناء إنسان أخلاقي .

فنجد على سبيل المثال سقراط ينظر للأخلاق، من خلال تضارب فكره مع السوفسطائيين* في تربيته لشباب المدينة، ونشر أخلاق حميدة بينهم، وتعتبر نظريته

---

[1]– يي دني، أصول الأخلاق، تر: إبراهيم وجدي ، (ب ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، (ب س)، ص 10

. * السوفسطائيين : تعني سفسطائي (سوفيتيس) أي الحكيم أو المعلم. وهي ظاهرة فلسفية نشأة في بلاد الاغريق في القرن الخامس قبل الميلاد وتطلق على ادعياء العلم والفلسفة مع أنهم يملكون ثقافة. خصوصا في العلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة لكنهم بارعون في البلاغة والخطابة. الذي هو لب دراستهم وتركيزهم ومن خلال هذه الخاصية يقلبون الحقائق ويخلطون الأمور وان أهم ما يميزهم هو استعدادهم للنقاش والجدال إلى ما لا نهاية وبدون ملل.

الأخلاقية بمثابة إرهاصات فكرية متناثرة في شكل حكمة، فقد كان جل إهتمامه بالسلوك الانساني، وكيفية ترويضه ليصبح فعلا أخلاقيا راقيا [1] .

فعندما نبحث في الأساس الأخلاقي حول ما يجب أن يكون، وكأننا نؤسس لاتيقا معاصرة تحاول أن تأخذ من الفعل الأخلاقي غاية لها، لا وسيلة في بحثها عن سلوكيات تعصم الفرد من الوقوع في الزلات، كما يقال هذا فعل أخلاقي Moral وفعل لا أخلاقي Immoral، فهناك فرق بين المصطلحين: فالفعل الأخلاقي هو الذي يؤسس أخلاق على أساس الحكمة، أما الثاني هو ما يوصف به " **سلوك الحيوان فهو سلوك محايد لا يوصف بالأخلاقي** " [2] .

لقد سعى الإنسان في البحث عن الخير الأسمى، كما يرى أفلاطون في فلسفته المثالية ** PLATO، يعنى بالعلوم التي تهتم بالإنسان من الناحية الخير والشر، وذلك كان قبل تأسيس الفكر الأخلاقي بقواعده ومبادئه وقيمه التي نراها اليوم في الساحة الفكرية، والتي أصبحت حاضرة في جميع النواحي لغرض التحكم في شروط الفعل الأخلاقي، وتصويبه نحو الخير الدائم وهذا ما يظهر لنا إهتمام الفلاسفة والمفكرين بالإنسان، ومحولاتهم الدائمة في بعث أفراد يكونون أكثر حرصا على إنسانيتهم، من جراء زعزعت التجارب للإنسان الصانع الذي يكون أكثر رقيا على الإنسان العاقل.

إن العديد من التجارب اليوم أصبحت تعيد بناء أهم القواعد التي كانت متعارف عليها في السابق." **فقد قسم المنشغلين بالحقل البيواتيقي الإنشغال الفلسفي إلى ثلاث تيارات كبرى في المحاور البارزة اليوم على الساحة الفلسفية**"[3]وهي عديدة يمكن أن نجملها فيما يأتي :

---

[1]– توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية : نشأتها وتطورها، (ب ط)، دار النهضة العربية ، مصر، 1967، ص 21

[2] – مراد وهبة، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص 52

** أفلاطون : (427، 347 ق م)، ولد وتوفي بأثينا ، فيلسوف يوناني كان تلميذا لسقراط

[3] –Guy Durand, **Introduction générale à la bioéthique**, Les éditions du Cerf, 1999, p21 .

الاتيقا ومجالها الطبي العيادي .

الاتيقا ومجالها الفلسفي .

الاتيقا ومجالها الثيولوجي* .

أما بالنسبة لعمر بوفتاس فهو يحصر المجال البيواتيقي الذي عني به؛ من خلال إسناده لمواضيع ثلاث، وما تطرقت له ميادين البحث التي يعتبرها مهمة ولها دخل في جميع التخصصات الذي يحاول اليوم الفكر الراهن الإلمام بها [1]:

أخلاقيات العيادة.

أخلاقيات البحث العلمي .

أخلاقيات السياسة الصحية .

هذا التضارب الفلسفي يبين مدى إهتمامه بمجالات الفلسفة الاتيقية اليوم؛ وهو دليل واضح على عدم إكتمال الفكر لحد الأن ولازالت الأبحاث والدراسات تحاول أن تجعل من الفكر الأخلاقي الجديد بوابة للبحث في إرساء قواعد وأخلاقيات كونية يسير وفقها جميع العالم. ومن خلال التعريف الفلسفي للاتيقا والأخلاق يتبين لنا وجود علاقة وطيدة بينهما ، نجد " **تعريف الأخلاق هو الذي يحمل في طياته العلوم التي تعنى بما هو حسن، وقبيح في أفعال الأشخاص، أما في ما يخص الاتيقا هو ذلك المجال الذى يهتم بالأخلاق في مجالها الانساني** "[2]، فالأخلاق الكلاسيكية كانت بمثابة أخلاق تتعامل مع معايير وقواعد

* الثيولوجيا : هو العلم الذي يدرس العلوم السماوية.

[1]– عمر بوفتاس ، البيوايتقيا، مرجع سابق ، ص28

[2]– Pierre Fortin, **La morale, l'éthique, l'éthicologie**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 1995, p 38-49

في التفكير الفلسفي الكلاسيكي، تبحث فيما هو كائن وسائد من وقائع، فتوطدت هذه العلاقة في البيواتيقا ومجالاتها، التي من إهتماماتها القيام بأخلفة جميع مجالات الحياة .

أما الأخلاق الراهنة أصبحت اليوم تبحث عما يجب أن يكون في سبيل أخلاق جديدة لتدارك الوضع الانساني الراهن مثلما يقدمه هانس يوناس* Hans Jonas في كتابه مبدأ المسؤولية بنقد الأخلاق الكلاسيكية، ذلك لأنها قاصرة عن استيعاب حال الكائن داخل لعبة التكنولوجية ورهاناتها المهددة للوجود الإنساني، فكيف يمكن أن ننظر للأخلاق المعاصرة في ظل التقنيات البيوتكنولوجية؟ وهل هذه التقنيات تشكل خطرا على الهوية الانسانية ؟ أم أنها تقنيات تساعد في تفاعل الكائن ومستجدات العلوم؟.

التدخل البيوتكنولوجي في الجسد :**

لا شك أن دفاعنا عن الحياة هو بمثابة حكمة إلاهية، نسخر بها منذ أن بدأ التفكير الانساني يلوج في تأمله العقلي؛ الذي بنى أشخاص يدفعون بالإنسانية إلى الصواب والتقدم المتعالي، وهذا التعالي لن يتحقق إلا في خضم وجود علم عملي نفعي، فقد إكتسب العلم منذ أوائل القرن العشرين أهمية كبري في تاريخنا الفكري والتاريخ الفلسفي خاصة، وهذا ما كان يؤسس له العديد من المنشغلين بالضرورة العلمية، لبناء قواعد أساسية يستند إليها في الحياة هذا التأسيس العلمي جاء بعد الرقي الفكري في المجال الأدبي والجمالي وحتى الأخلاقي، إلا أنه حاول أن ينجز روح إنسانية مفعمة بجميع التخصصات التي من خلالها يكون ذات فاعلة في الأفراد، تسمو بالعقل إلى أعلى درجاته الفكرية، فما هي هذه التكنولوجيات ؟ وهل

---

* هانس يوناس (1903/1999 م) فيلسوف ألماني معاصر ، له العديد من الأعمال في مجال البيوايتقا .

*الجسد : يأتي تعقيد العلاقة بين مفهومي الجسد والجسم لكونهما قريبين للغاية بتميزهما بتغاير المستويات، التي يمكنها أن يقع عليها، فمن جهة الجسم هو مفهوم الشيء يدل على شئما في العالم سواء بالمعني المادي أم المعني البيولوجي ، ومن جهة أخري الجسد يدل على الحالة، وهذه الحالة هي موضع انبثاق مدهش، أخلقت الحياة فمثل هذه الاشكالات لم تكن في السابق لأن الحياة كانت بسيطة بطروحاتها وعيشها ولكن سرعان ما غيرت هذه التقنية كل هذه الحقائق(أنظر: ميشلان مارزانوا، معجم الجسد، تر: حبيب نصر الله ، المجلد1، ط1،مجد المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، ، بيروت، 2012، ص548).

هي الآلية تمكن الإنسان من السيطرة على الطبيعة أم أنها تؤدي إلى نتائج سلبية حيث تسلب من الإنسان إنسانيته ؟ .

منذ أن كان الإنسان، جزءا من هذه الطبيعة وهو يحاول أن يسموا بكينونته في خضم جميع المستجدات والعقبات التي تكتنفه داخل الحقل الفكري، فقد حاول أن يخلق لنفسه مجالا فكريا يبعث من خلاله فلسفة تقدمية راقية، ولكنه سرعان ما وجد نفسه يجابه العديد من القوى داخل هذا الحقل المعرفي، لأن العلم في هذه المرحلة وصل إلى ذروته وحاول هذا العلم أن يسموا بالفكر الإنساني وهذا ليس نكران لعمل الفلسفة والفن وغيرها من العلوم التي كانت في الحضارات السابقة تعتبر بمثابة الروح الجمالية للفكر لذلك" **ان التكنولوجيا هي التطبيق العملي للعلم، وكلاهما مرتبط بمشروع للسيطرة على الطبيعة وعلى الإنسان بل بالسيطرة على الطبيعة تمر عبر السيطرة على الإنسان وتسخيره** "[1] ان الآلة التي إخترعها الانسان سرعان ما أصبحت وطيدت به ولم يستطع التخلص منها، بل جعلها سيداً عليه في الكون، واعتبرها ملبية لجميع حاجاته، فبعدما كان يحلم أن يكون سيدا على هذا الكون وجد نفسه أنه أصبح عبدا لتكنولوجيات.

بالرغم من أن الفكر الفلسفي هو فكر متميز، إلا أنه عاصر العديد من العلوم على أشكالها وبمختلف أطوارها، وقد تميز هذا التفكير الفلسفي بإرسائه لجدلية حضور **الانسانية** * في القواعد الكونية، متمثل في الوجود كما يسميه هايدغر، وهذا الوجود الذي نحن اليوم بصدد تفعيله مع الآخر هو في أمس الحاجة للتقنية التي لا مناص منها في خطاباتنا اليومية، ونجد أيضا على الساحة العلمية ما تسمي بالتكنولوجيا.

[1]– محمد سبيلا، مدارات الحداثة، ط1، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت، 2009، ص205

*الانسانية : هي جملة الصفات التي تميز الانسان أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات ، وهي في نظر كانط هي هدف الأخلاق وأساس فكرة الواجب عنده (أنظر: مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص30)

ورغم تقارب مفهومين التكنولوجيا والتقنية التي سنتطرق لاحقا إلى تعريفهما، سنحاول تقديم الفرق في تصورهما: من " **حيث التساؤل الذي طرحه هانس يوناس أنه بأي معني تقني يمكن الحديث عن الكائنات الحية ومن بينها الإنسان، في ظل التأسيس لأخلاقيات تطبيقية داخل هذا الوعاء الإنساني**"[1] فبأي معنى إنساني تحاول البيوتكنولوجيا أن تقحم الانسان داخل وعي فلسفي تطبيقي يساهم في إخراج الإنسان من الأزمة اللاأخلاقية إلى ما يسمي بأخلاقيات الحياة .

يعبر سبينوزا عن عبودية الإنسان للتقنية من خلال رؤيتها أنها مجرد صراع قائم على أساس الإحتكار الذي ينتج عليه تفاعل خال من أي قيم أخلاقية،" **يصارعون من أجل عبوديتهم كما لو كانوا يكافحون من أجل خلاصهم** "[2] ولذلك أصبح يعيش الإنسان حالة من الاستلاب والاغتراب الذاتي وهذا ناتج عن إدخال أداة التقنية كنمط جديد يتحكم في مسيرته الحياتية والإنسانية.

فيمكن أن تقدم التقنية إعتبارات أخلاقية عدة لنتيجة واحدة مفادها، أن التقنية هي ممارسة وهذه الممارسة تشمل الإنسان، ويجب في الأخلاق التطبيقية المحافظة على الكرامة الإنسانية، فالأخلاق العامة كما يسميها ايمانويل هارتش Emmanuel Hirsh* " **ليس لدينا أي شيء نقوله عن التقنية، لأنها إستحدثت أخلاقيات جديدة يمكنها الخوض في مثل هذه المواضيع** "[3] بإمكانها هذه الأخلاقيات أن تضبط كل التجاوزات التي قد تنجر على البيوتكنولوجيا.

---

[1]– Hans Jonas, **L'art médical et la responsabilité humaine**, préface d'Emmanuel Hirsch, Editions du Cerf, Paris, 2012, p233 .

[2]– محمد سبيلا ، مدارات الحداثة، مرجع سابق، ص 207

* ايمانويل هارتش: ولد 1955 في باردوا ولازال على قيد الحياة، أستاذ جامعي في كلية الطب في جامعة باريس، يشغل منصب مدير إدارة البحوث الأخلاقية حاليا.

[3] –Guy Durand, **Introduction générale à la bioéthique,**ibde,p316

مفهوم التقنية :

المدلول اللغوي Technique فقد وردت في المعجم الفلسفي على أن أصلها يعود للفترة اليونانية و تعني Techne معناه هو الفن أو الصناعة، وقد وردت على أنها جملة المبادئ أو الوسائل التي تعين في إنجاز شيء أو تحقيق غاية معينة، وتقوم على أسس علمية دقيقة[1] .

المدلول الفلسفي: يعرفها هيدغر Martin Heidegger** " **على أنها طريقة للكشف أو إكتشاف غير محجوب، أو هي الحقيقة في المكان تنشر وجودها بشكل منظم، وهي بالمعني الشامل جميع الميادين الكائنة التي تشكل في كل لحظة تجهيزات لكل كائن** " [2] فالتقنية هي الأسلوب الذي يحاول الإنسان أن يتكيف معه لإيجاد حلول لما تعتريه من معيقات.

" **فالتقنية إذا هي النظرة العامة لتلك القوانين العلمية المضبوطة التي تسمح بالتطور الإنساني، وتكون منظمة إذا كانت هناك إمكانية إنتاج صناعة جيدة من طرف كل إنسان في مهنته الخاصة**" [3]، واذا دققنا النظر في قضية التقنية وجدنا أنها صنع إنساني لأنه هو من اكتشفها بغية تحقيق مصالح الأفراد وكونها تعتمد على آليات وأدوات جميعها من صنعه بإعتماده على منهج علمي فعال، نظرا لكون هذه التقنيات أصبحت تساهم في بناء العديد من القيم الإنسانية التي تساهم في الوجود الإنساني من ذاته إلى ذاته، وهذه علاقة فكرية لا يمكن نفيها من خلال الحوار التقني الإنساني، ويعرف ليفي إميل بريهيه " **التقنية أنها حديث**

---

[1] –مراد وهبة، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص60

**مارتن هايدغر : (1976/1989م) ، فيلسوف ألماني ، كان تلميذا لهوسرل (الظواهرية) جه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل .

[2] –مارتن هيدغر، إشكالية الوجود والتقنية تر: ، ط ، دار ، ص 41.

[3] – André Lalande, **Vocabulaire technique et critique de la philosophie**, Ed. Presses universitaires de France, 1962, p1105.

في قوانين سير الإنسانية ويؤكد في ذلك على القوانين العلمية الأخلاقية الإجتماعية وحقيقة الفكرة هنا تتعلق بمدى ترابط وتماسك الفن بأخلاق العقل"[1] ،فهذا التعريف مثلا يرشدنا أن هذه التقنية هي تسيير وإيجاد قوانين لسير الإنسانية بمختلف تشعباتها، فهذه مدعاة لتفكير فلسفي نابع من روح اتيقية نستخلص من خلالها نمو روح فكرية في خضم الواقع، وكما أشرنا إلى إن التقنية هي وليدة الإنسان وتخضع لتجارب هذا الأخير لغرض تطويرها وتمديدها، فهذا يؤكد لنا صلاحيتها داخل الوجود الإنساني كما يقول هيدغر في كتابه إشكالية الوجود والتقنية، تثير التقنية العديد من الإشكالات الفلسفية المعاصرة، لا يمكن فهمها أو الولوج في تفاصيلها إلا بعد وضع التقنية والتطور التقني ضمن إطارهما التاريخي فيمكن تقسيم مراحل تطور التقنية إلى ثلاث مراحل أساسية :[2]

المرحلة الأولي : أو ما تسمي بمرحلة الفلسفة القديمة حيث كانت الطبيعة هي أساس الوجود كما كان يتصور أرسطو، فقد كانت الغلبة للطبيعة حتى على حساب الفن .

المرحلة الثانية : وهي المرحلة التي عرفت بروز التقنية المتمثلة في الميكانيكا على الطبيعة، وهنا تم الاستغناء عن الجهد البشري الفيزيائي.

المرحلة الثالثة : وهذه المرحلة من أهم المراحل بالنسبة للتقنية حيث سيطرت على نواحي الحياة الإنسانية، فلا نجد أي مجال من مجالات الحياة إلا و بصمة التقنية فيه بغض النظر عن النتائج التي تخلفها من خلال ذلك التأثر والتأثير، إلا أنه يطرح بدوره مشكل فلسفي وهذا مدعاة للتفكير حول صلاحية هذه التقنية في الخطابات الغربية اليوم، وخاصة الخطابات التي تتميز بالإنسانية داخل قالب مفعم بالإنسانية .

---

[1] – André Lalande, **Vocabulaire technique et critique de la philosophie**,ibid, p1106

[2] –دحدوح رشيد ، إبستمولوجيا العلوم الطبية والبيولوجية عند جورج كانغيلام ، ط1، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، 2013بيروت، ص370.

فإذا أمعنى النظر في هذا التقسيم نجد أنه تقسيم شكلي، يعني لا وجود لفوارق دقيقة بين الفن والطبيعة والتقنية وحتى الميكانيكا، لأن أصل المعارف هي من صنع الانسان الذي هو يعتبر ذات مفكرة بالدرجة الأولى وهذا التفكير هو الذي جعل من التقنية تتطور من أصلها المجرد إلى البحث والتدخل بتقنيات معاصرة،وتحاول من خلالها ربط الفرد بواقعه، وأصبحنا نشهد العديد من التجاوزات التقنية في عدة ميادين، وهذا ما تطرق إليه هيدغر ويوناس خاصة في مجال الطبيعة وما تستحذوه التقنية في هذا المجال، بالإضافة إلى أنها في بعض الأحيان تكون آداة هدم لكينونة الإنسان الذي يستغل " **وقد حاول هيدغر إيجاد قطيعة بين التقنية المعاصرة والقديمة**"[1] ، وذلك من خلال إنتاج التقنية التي تعددت مجالاتها خاصة المجال الصناعي الذي كان من المفروض أن يؤدي دور وضيفي للإنسان وإن يساهم في تطويره فحسب ،ولكنها سرعان ما أصبحت تقبض بزمام الأمور بيد من حديد على حياتنا اليومية، وهنا تحول الإنسان من كونه أوجد تقنيات لتسهل عليه الأمور العديدة في حياته، إلا جزء لا يتجزأ من هذه التقنية التي أصبحت تسيره كما تريد، وهذا ما يخالف الخصوصية الإنسانية، فقد أوجد الإنسان هذه التقنية لتسهل عليه العديد من الحواجز وتفتح له أفق البحث والتطلع، وليس لتأرق حياته. ولذلك وجد الإنسان نفسه داخل قالب تقني، خال من جانب اتيقي. فجل الممارسات البيوطبية التي ظهرت الموت الرحيم، أو الاستنساخ أو زراعة الأعضاء البشرية، وغيرها من التقنيات التي إعتمد عليها الإنسان، أصبحت تهدد وجوده ومستقبله البشري، أكثر من أنها تجد له حلولا وقد أكد هانس يوناس على ضرورة"**المحافظة على الطبيعة التي يعتبر الإنسان أحد مكوناتها الأساسية، في توطيد العلاقة بين الإنسان والتقنية من حيث الأخلاق، فيما يسميه يوناس هدم مفاهيم الأخلاق الكلاسيكية التي كانت تعتبر الإنسان مجرد محور فارغ في العملية الأخلاقية** "[2]، وقد أصبحت التقنية تهددهما

---

[1] - Jmsa lanskis, **conjugaison de heidegger avec la science**,ibid, p47.

[2]– Hans Jonas, **L'art médical et la responsabilité humaine**, préface d'Emmanuel Hirsch, Editions du Cerf, Paris, 2012, p63 .

بشكل كبير فقد برر أن التقنية لا تخدم الأخلاق واستند في ذلك على تغير المبادئ الأولى التي جاءت بها الأخلاق الكلاسيكية، وسرعان ما تغيرت اليوم وأصبحت تسمى بالأخلاق المعاصرة، لقد ساهمت التقنية في بناء علاقات جديدة بين الأشخاص" **جعلت العلاقة بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والاشياء علاقة نفعية أذاتية، لم تعد الآلة استمرار وامتداد للحواس الإنسان وقدراته، بل أصبح الإنسان ذاته امتدادا للآلة إلى حد ما** "[1] وبذلك تحولت العلاقات الإنسانية إلى مجرد علاقة بين الانسان والآلة التي أصبحت توجهه، وأصبحت هذه التوجيهات حتى على السلوكيات اليومية.

أما التكنولوجيا في مدلولها اللغوي :Technologie باللغة الفرنسية و Technology باللغة الإنجليزية، وهي تعنى في نسقها المعرفي التقنية المستمدة من العلوم المختلفة وتهدف كلها إلى غاية واحدة، وهي تطوير الإنتاج وتنويع وسائله وتحديد دور الإنسان فيه، و بهذا هي سمة كبيرة من سمات العصر الحالي[2]. " **وتعنى أيضا بدراسة أساليب التقنية من مواد وأدوات مختلفة في علاقاتها مع تطور الحضارة، أكثر تدقيقا هي أقرب نظرية لتقنية خاصة في مجال الالكترونيات**"[3]، لأن الضرورة العلمية اليوم تدعوا لخلق مثل هذه التكنولوجيات لتفادي العديد من الجمود الفكري الذي لا يخدم فائدة التطور العلمي والتكنولوجي، هذه دعوى صريحة للتكنولوجيا وما لها من دور في خلق مجال علمي إنساني خاص بها وهذا ما نجده في المخابر البيولوجية، حيث استحدثت علوم جديدة تعنى، بهذا المجال، وتحاول تطويره إلى الأحسن والتفكير في الإنسان من الباب الأوسع.

فإذا "**أردنا مقابلة المفهومين نجد أن مصدر تكنولوجيا هو Technologie فكلمة logie نعني بها منطق، فهذا يؤكد على وجود ترابط وثيق بين الفلسفة والعلم الذي نقصد به هنا التكنولوجيا، بالإضافة إلى أن ظهور التقنية وتكريسها بين أيدي الإنسان**

[1] –محمد سبيلا ، مدارات الحداثة ، مرجع سابق، ص.207

[2]–مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، 61

[3]– مارتن هايدغر، إشكالية الوجود والتقنية ، مرجع سابق ، ص 45.

الذي ساهم في إيجادها، فهو بمثابة الصانع لها، أما التكنولوجيا فقد كانت ميزة الإنسان الحكيم"[1]، وذلك نظرا لما توليه من خصوصية جادة وأهمية في التدخل الطبي والفلاحي والصناعي. فنجدها اليوم تبعث بروح من العالمية والكونية للإنسان المعاصر كونها خرجت عن دائرة الخصوصية، إلا أن الإنسان وجد نفسه اليوم داخل حقل أقل ما يمكن وصفه هو حقل تجريبي في جميع نواحي الحياة وهذا ما يؤكده هايدغر " **لكونه قد أحصى خمس ظواهر مقومة للحداثة، من جهة ما هي عصر ميتافيزيقي مميز و متوالي :** [2]

1/العلم الحديث من جهة ما هو في ماهيته تمثيل للموجود .

2/التقنية بوصفها تحويلا لماهية العملي بعامة* .

3/انزياح الفن إلى دائرة نظر الإستيطيقا .

4/رد القيم العليا للفعل الإنساني إلى ظواهر ثقافية، بحيث تصبح الحضارة ضربا من السياسة الثقافية .

5/ازالة الألوهية من أقوال العالم .

يرى علي حرب أن الإنسان هو الذي أدخل نفسه داخل هذه المخاطر التكنولوجية التي تعتبر اليوم سلاح يهدد وجوده الذاتي وهويته من خلال قوله " **لا مبالغة في القول إن الإنسانية المعاصرة هي إنسانية قلقة أكثر من أي وقت مضى، ويظهر هذا القلق فيما يعتري الإنسان الحالي من الاضطرابات في نظرته إلى نفسه والشك في قدراته، وتساؤل**

---

[1]– دحدوح رشيد ، إبستمولوجيا العلوم الطبية والبيولوجية عند جورج كانغيلام ، مرجع سابق ، ص369

[2]–فتحي مسكيني، كانط بعد هايدغر الانسان ماهو؟ أم من هو؟، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2010، ص ص(192/191).

*ويقصد من خلالها أن التقنية اليوم كما عبر عنها هايدغر أنها حولت الماهية الانسانية من خلال الشيء الموجود في العصر الحالي ، فقد اصبحت الحقيقة اليوم تشكل عن طريق التقنية وتفسرها هذه الأخيرة بحسب طبيعة الهيئة التي وجدت فيها ولذلك أعتبر الأساس اليوم في الحياة التقنية لا الانسانية وهذا ما أدى إلى واقع أقل ما يمكن لقول عنه واقع متأجج بفضاعة اللاأخلق الذي تحاول الفلسفات المعاصرة اليوم أن تؤسس له.

حول مصيره، في كونه يعيش أزمة هوية حقيقة...فما صنعه الإنسان يكاد يطغي عليه "[1] لأنه استحدث التقنية وجعل منها سيدة على حياته، وبذلك وجد الإنسان نفسه في واقع سيطرة التقنية على جميع نواحيه فكيف يمكننا أن نتجاور هذه المخاطر التي تحدق بالإنسانية اليوم؟ وماهي العلاقة التي نجدها اليوم بين الجسد والتقنية؟

علاقة التقنية بالجسد الانساني :

لقد اهتمت الحضارات بالجسد اهتماما كبيرا نظرا لقداسته، و قدمت العديد من التفسيرات لحل شفرة هذا الجسد وكيف تكون، وقد صاحبت هذه التفسيرات العديد من الحكايات الأسطورية المتعلقة بتكوينه، لكونه تألف بحسب تفسيراتهم من " **دم الآلهة الذي يجعله يشاطر الآلهة في الفهم، والعنصر الطيني، الذي يجعله حيا، ويهبه الحياة الفانية، دون أن يهبه الخلود**"[2]، فهل يمكننا تصور جسد إنساني خال من مبادئ اتيقية ؟ هذا يعني إمكانية بناء أفراد منحازون عن وعاء اتيقي يجعل منهم واعيين ما يفعلون ويدركون أهمية الباعث الأخلاقي فيهم .

لم تتضح معالم هذا الفعل بعد إلا عند التحكم في القواعد الأساسية والحيثيات الدقيقة لتركيبتهم البشرية، التي نعي نحن أنها تركيبة إنسانية بالدرجة الأولى، ولن تحقق أي هدف إلا بعد وعيها بذاتها كونها ذات عارفة بمسؤولياتها وغاياتها الاتيقية داخل المجال العلمي خاصة، الذي أصبح في الوقت الراهن يكسوا جميع المجالات الطبية والحياتية .

واللافت للنظر أن الخطابات الانسانية أصبحت اليوم تكتسيها شيء من التكنولوجيا الحديثة التي صارت تتحكم في الجسد البشري، وهذا من خلال العديد من التقنيات الموجودة في الواقع العلمي و المجال الطبي خاصة، وقد بعثت في العقود الأخيرة مشكلات أخلاقية

---

[1]–محمد بهاوي، الوعي واللاوعي، (ب ط)، ج4، افريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص19

[2]– بهاء بن نوار، مقالة(الجسد بين ثوابت الموروث وتغيرات الحداثة)، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2016، ص55 .

تستوجب منا تدقق النظر في مثل هذه التقنيات وما تحققه من صواب وخطئ في المجال الأخلاقي الانساني كوعاء يحمل جسد بشري، ظل العديد من الفلاسفة في القديم يحاولون الحفاظ على ميكانيزميته وهويته خاصة، لأن الفرد لا يمكنه أن يحيى بدون هوية كونها شرط أساسي لمواصلة الحياة مع الآخر .

يعد الجسد من أهم المعطيات التي تنطوي تحتها مفاهيم ذو خصوصية إنسانية لكونه معطي لوجود إنساني، يختص بجانب أساسي في تكوين هذا الجسد (العقل والنفس أو الروح)، فقد أصبح موضوع الجسد متشعبا بالنسبة للدراسات التي يتناولها سواء كانت فلسفية أو طبية وحتى انتربولوجية وغيرها، وقبل أن نستنطق هذا الجسد ونبحث في غاياته الاتيقية وما يصبوا إليه يجب أن نحدد إصطلاحه الفلسفي والمعجمي .

فابن منظور في لسان العرب يعرف الجسد " **الجسد هو جسم الإنسان، ولا يقال لغيره من الأجسام المتغذية، ولا يقال لغير الانسان جسد من خلق الأرض** [1]" إذا فالجسد له خاصية إنسانية لا يمكن أت نجمع في ذلك بين المخلوقات لأنها تحوي أجساما لا أجسادا، لأن الجسم هو عبارة عن مجموعة من الأبدان والأعضاء يشترك فيها جميع أنواع المخلوقات .

ففي الوقت الراهن لقد أصبح هذا الجسد يطرح العديد من الآفاق الابستيمية داخل قوالب إتيقية بدعوي علمية وفلسفية، وإذا أرجعنا التفكير الفلسفي إلى وقت سابق نجد أن التفكير في الجسد كان يأخذ جانب متعالي وهنا نجد الفيلسوف نيتشه " **يقول إن تاريخ الفكر البشري هو تاريخ إذلال للجسد وإماتة الرغبات والتضحية بالذات** "[2] ، وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي شهدها التفكير البشري بصفة عامة والفكر الفلسفي بصفة خاصة نجد أن العقل

---

[1]– ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء الرابع ، ص92

[2]– نتشه، أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبيسي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات نشر وتوزيع، بيروت، 1980، ص115 .

الإنساني وبمجرد خضوعه لما يسمي الجانب تكنولوجي في شتى نواحي الحياة، نجد أن هذا الجسد سرعان ما أصبح من أحد المرتكزات البيوتكنولوجية، وهذا ما جعل من الفلاسفة الغربيين يعيدون صياغة المفاهيم الخاصة بهذا الجسد .

لقد ظل الجسد محور اهتمام العديد من الفلاسفة في فترات سابقة من الفكر الفلسفي القديم، وصولا إلى الفترة الراهنة كون الجسد هو الذي يعبر عن الإنسان، لأنه يحمل الصفات الإنسانية التي يسعي الإنسان إلى الوصول إليها، فكلمة الجسد تعني " CORPS **باللغة الفرنسية ، وهو إسم مذكر مشتق من الكلمة اللاتينية CORPUS وتعني الجزء المادي للكائن الحي ولاسيما من وجهة نظر التشريح والشكل الخارجي مثلا هذا الحيوان له جسد طولاني كما تعني الجزء المادي للشخص ولاسيما من وجهة نظر الوظيفة الداخلية مثل (يشتكي من آلام في جسده)** "[1] إن المتتبع للتصور الفلسفي للجسد يجد أن مفهوم الجسد قد تداول عند كل النزعات الفلسفية الكبرى من القديم حتى الفلسفات الحديثة (النزعة العقلانية والظاهراتية والمادية)* فلجسد في الفكر اليوناني، نجده يتأرجح بين الإعلاء من النفس عن الجسد، التي تقوم على مبدأ أخلاقي كما يرى الفيلسوف سقراط، وخير دليل على ذلك هي الطريقة التي سلم به سقراط في موته معتبرا أن إنفصال الجسد عن النفس، من أجل قضية عادلة، رغم إصرار طلبته على تخليصه من السجن .

---

[1]– **Le grand dictionnaire encyclopédique Larousse**, Librairie Larousse, volume 3, Paris, 1982 , p 2644 .

*يعتبر الكثير أن ديكارت هو المؤسس للعلاقة (ثنائية) بين الجسد والفكر أنظر نيتشه، فكرة الجسد من الموروث الحضاري إلى الفلسفة ، تر: هجران عبد الالاه ، دار الفرقد، ط1، 2014، دمشق، ص62/ وبالنظر إلى الجسد من جهة ما يقدر على فعله ومالا يقدر عليه(سبينوزا، شوبنهاور، نيتشه، فرويد)، ثم التفكير في الجسد فيما وراء ثنائية الفكر والجسد (ادموند هوسرل وميرلوبونتي) انظر: يوسف تبيس، مقالة بعنوان: تطور مفهوم الجسد: من التأمل الفلسفي إلى التصور العلمي)، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد37، الكويت ، 2009، ص34

فسقراط برؤيته هذه للجسد أعطى له حسا أخلاقيا في المجتمعات البعدية، لكون الجسد هو الذي يستطيع أن يعبر عن الصحة والقوة، وعن بعض القيم كالشرف مثلا التي تحتاجها المجتمعات، في تخليص نفسها من ضغوطات الحكام، مثلما كانت تفعل السفسطائية في تلك الفترة، " **فالتصور اليوناني للجسد يرى أنه جسم ذو لون كالإنسان وله أطراف الرأس بداخله في الجسد دون البدن (الجسم)، والجسم في بادئ الرأي هو هذا الجوهر الممتد من الجهات والذي لا تخرج أجزاؤه عن كونها أجسام، وبذلك فالجسم بنية من الأجزاء المادية أنه يشتق من مركب في حين أن الجسد فعل تنظيم لهذه الأجزاء** "[1] إذا العلاقة بين الجسد والجسم عند اليونان كانت وطيدة، لكونهما عاملان يسعيان لتشكيل إنسان كامل من خلال أجزاء مادية، وبنية ذاتية.

يحظى الجسد اليوم بأبحاث كبير، وهذا ما يؤكد على الأهمية الكبرى التي تولى للجسد الإنساني، " **فتشير كلمة جسد إلى وضع الهوية**"[2]، فالهوية هي التي تشكل الذات الإنسانية كما يختلف مفهوم الجسد من حيث الموضوع، فموضوع الجسد يختلف بحسب المواضع التي يستعمل فيها، ففي مجال العلوم الإنسانية له خصوصية، وفي مجال علوم الطب والأحياء أيضا له عمله الخاص، وغيرها من المجالات التي تجعل من الجسد عنصرا أساسيا، فكل مجال يحمل موضوع لهذا الجسد، بحسب الطبيعة التي يستدعى فيها، فهذا الوضع يحيلنا إلى البحث والتأسيس إلى مجال مركزي يهتم بالجسد، داخل المراكز البيوطبية والبيوتكنولوجية، لأن تطور العلم يواكب استقلال بعض القيم، فمثلا الجسد اليوم أصبحت توضع عليه الرسومات و إخضاعه لعمليات جراحية بغرض التجميل أو تغيير في ملامحه أو مكوناته الأساسية ، فهذا التطور التقنوعلمي أثر وبشكل كبير على الإنسان. فكلما تطور العلم وازدهر اكتشفت تغيرات جديدة في الجسد البشري، بمعني أنه يتماشى مع المتغيرات

[1]–يوسف تبيس، تطور مفهوم الجسد :من التأمل الفلسفي إلى التصور العلمي، مرجع سابق، ص38

[2]– ميشلان مارزانوا، معجم الجسد، مرجع سابق، ص549

الحاصلة لكون هذه التقنية تغير في الجسد سلبا أو إيجابا .

كما يقول ماركيوز " **التقنية عندما تغدو الشكل الكوني للإنتاج، فإنها تحدد معالم ثقافة بأكملها وترسم مشروع كلية تاريخية إنها ترسم مشروع عالم** " [1] هذا ما يدل على أن التقنية أصبحت تشكل هذا الجسد الذي أصبح عرضت لها في تطبيقاتها الطبية وحتى التكنولوجية، فلا يمكن إنكار إخضاع الجسد البشري لبعض التقنيات داخل المخابر العلمية لغرض توضيح فكرة أو تجسيد مبدأ فهذا كائن لا محال .

فهذا الاختلاف الجذري الذي حدث في تفسير تغيرات الجسد البشري، أدخله في رهانات عليا وأخرى تقنية، لكون واقع الإنساني أصبح عاملا رئيسيا في حياة الإنسان المعاصر، وهذا يرجع إلى مدى تأثيرها عليه، وتحويل طبيعته نحو العامل التطبيقي أكثر مما كانت عليه في السابق " **فالتقنية اليوم أصبحت تغير في الجسد الإنساني** " [2]، وخير دليل على أن التقنية اليوم أصبحت تلعب دورا رياديا في بلورت هذا الجسد، هذا من خلال ما يشهده الطب المعاصر كزراعة للأعضاء البشرية أو الموت الرحيم أو الاستنساخ عمليات التنحيف والشطف وعمليات التجميل وتغيير الجنس وغيرها من التقنيات، التي أصبحت اليوم تمارس في الواجهة الطبية، وهذ ما أدى بالعديد من المواثيق الدولية للتساؤل حول المصير الإنساني في ظل الحراك الطبي الذي انعدمت فيه الأسس الاتيقية؟ وذلك ما يجعلنا نتساءل حول مدى أهمية إنشاء ضوابط دولية تقر مبدأ المحافظة على الكرامة الإنسانية ؟.

لقد إنطوى الديالكيتك حول موضوع الجسد من خلال ثلاث عناصر أساسية إعتمدت في تفسيراتها للجسد على نقاط ثلاثة يمكن إستخلاصها كالآتي :

رؤية الكنيسة : أسست لأن الجسد خطيئة .

---

[1]– سمية فيدوح ، فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، 2009 ص 12 ،

[2]– نفسه، ص8

رؤية العلم : يرى أن الجسد آلة يمكن التصرف فيها.

رؤية الإعلانات والإشهارات : أن الجسد أصبح جزءا من الإعلانات والإشهارات لترويج لمشروع تجاري بغض النظر عن جانبه الاتيقي.

فنحاول أن نبين هنا بأن هناك وحدة جسدية اتيقية تنتج من خلال تفاعل التقنية، لتحقيق غاية إنسانية، لأن البيواتيقيا جاءت تبحث عن حلول لما هو موجود اليوم من عوائق بيوتكنولوجيا على الجسد البشري " **البيواتيقيا هي دراسة المعايير التي ينبغي أن تحكم أفعالنا في مجال التدخل التقني للإنسان في حياته الخاصة** " [1] فالبيواتيقا تجسد العمل الفعلي، الذي يبحث عن أسس وقواعد تتحكم في التقنيات والممارسات لتفادي العديد من الانعكاسات التي أصبحت تمس بقدسية الحياة.

الديالكتيك الاتيقي بين الطب والفلسفة :

لقد عرف الطب مجالات واسعا من خلال تطوره وانفتاحه على جميع العلوم، فنجد أن الفلسفة عملت على إحياء هذه العلاقة الموجودة بين الفسلة والطب، وإن ما ذهب إلية المنظرين الأخلاقيين اليوم ؛فلاسفة كانوا أو غير ذلك هو إحياء ذلك الجانب من خلال العديد من العمليات التقنية التي يشهدها العالم التجريبي في مختبراته العلمية" **ان الفيلسوف بإمكانه أن يساعد على فهم المريض، ويساهم في إفهام الممارسين. بإبراز الخطط الموجهة له، والأساسيات المتحكمة في عمله** "[2].

فأبقراط مثلا كان حكيما وحاول من خلال كتاباته أن يحكم العلاقة العلمية بين الطب والفلسفة وذلك بإعتباره أن الطب هو الحياة في أصلها ويقول" **إن الرأي عندي أن**

---

[1] –غي ديران، البوايتقيا (الطبيعة، المبادئ، الرهانات)، تر: محمد الجديدي، ط1، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2015، ص85 .

[2] –محمد هشام، في مفهوم تاريخ اختلافي للتفكير البيولوجي عند جورج كانغلام، (ب ط)، افريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص109 .

جميع ما كتبه هؤلاء الفلاسفة أو الطبيعيون من رسائل الطبيعة لا صلة له بالطب، أما أنا فأذهب إلى أن الطب هو الأصل الوحيد للمعرفة الواضحة عن الطبيعة و لن يستطيع أحد أن يصل إلى معرفة ما بالإنسان، و أسباب ظهوره إلى الوجود و جميع هذه المباحث إلا بعد أن يعرف الطب حق المعرفة " [1] وهذا ما يحاول أن يوطد العلاقة الايتقية بين الفلسفة والطب والحياة، فلا حياة بلا أسس ولا قواعد أي ضوابط.

لأن الحياة لها العديد من الانفتاحات التي تحاول أن تعيشها خارج العالم يعني السعي للبحث عن أخلاقيات كونية، يكون أساسها مبني على المسؤولية والحوار الاتيقي، ولقد وضح كانغلام بصريح العبارة أن " **إصدار حكم معياري حول النشاط الطبي** "[2]ولن يتحقق ذلك إلا من خلال إنشاء علاقة تفاعلية بين الفلسفة والطب والحياة، ولذلك نجد المهتمين بالحوار والنقاش البيوطبي هم خير دليل، على توطيد العلاقة. لأن الغاية المراد بها من هذا الحوار هو تحسين حياة الأفراد، لأنه خطاب ممارسات أخلاقية تشغل حياة الإنسان .

فالمشروع الجديد اليوم هو ما يوحد القوى العلمية مع القوى الطبية والفلسفية، من خلال إقحام الفيلسوف لإيجاد هذه الرابطة الكونية، "... **لم يتطور الطب لقرون عدة لكونه كان تقنية علاجية يتقدم لعلاج المرضى، رغم اسهامات اليونانيين والمسلمين في هذا المجال لفترات متواصلة من تاريخ الفكر البشري، إلا أنه تحول هذا الطب إلى علم مع بدايات القرن18، ما يسمي بعصر الأنوار، عندما ترجمت العديد من الأعمال ،وأخذت بشكل جدي واسف في البحث والتنقيب ،وذلك من خلال الفترة التي عاشتها**

[1] –أحمد حليم عطية ، جالينوس في الفكر القديم و المعاصر ، (ب ط)، دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، 1999، ص 128.

[2]– محمد هشام، في مفهوم تاريخ اختلافي للتفكير البيولوجي، مرجع سابق، ص109

أوروبا ..." [1]، وتطور العقل البيولوجي فيها إلى حد كبير بعدما كانت الكنيسة تحارب كل أشكال العلم، التي كانت تعتبرها مساسا بعقيدتها (كاثوليكية أو بورتستانية)، وذلك بالبحث عن الحقيقة الإنسانية، من خلال نشر عقيدة التمسك بالجانب العقائدي الأخلاقي، إلا أن العلماء في ذلك الوقت كانوا يقومون بتجارب خفية عن الحاكم الذي يمكن أن يصدر ضدهم أحكام ردعية قد تصل إلى القتل.

فقد كانت البداية الفعلية إلى تغيير موجة البحث من المجال اللاهوتي إلى المجال البيولوجي، وذلك بالابتعاد عن التفسيرات اللاهوتية، بل أصبح للوجود سبب ومسبب، معنى ذلك أن لكل شيء غاية لوجوده. ولذلك ستمر العلم بالبحث عن المجال البيولوجي ليصل إلى ما وصل إليه اليوم من تطورات ولا يزال قيد البحث والتجريب، للوصول إلى ما ينبغي من العلوم .

يقول جورج كانغيلام " **إن الفلسفة تفكير تكون كل مادة بالنسبة إليه غريبة عنه، فبمباشرتنا لدراسات طبية سنوات قليلة بعد إنهاءنا لدراستنا الفلسفية، وبالموازاة مع تدريسنا للفلسفة، ينبغي أن نشرح نوايانا في كلمات قليلة، فليس بالضرورة من أجل معرفة أفضل بالأمراض العقلية يمكن لأستاذ الفلسفة أن يهتم بالطب** " [2] فكان يحاول جورج كانغيلام إيجاد علاقة اتيقية بين الطبيب الذي يحاول أن يحل مشاكل الإنسانية الملموسة، وذلك بإستعمال التقنيات المتاحة له في البيولوجيا المعاصرة من جهة والفيلسوف الذي يستطيع أن يؤطر مبادئ وقيم اتيقية تحافظ على الانسان من جهة أخرى، وهذا ما يسميه الفيلسوف بالعلاقة بين المريض والسوي.

---

[1] –بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر:عزت قرني، المجلد125، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1992، ص ص (33/31)

[2]– محمد هشام، في مفهوم تاريخ إختلافي للتفكير البيولوجي عند جورج كانغليهم، مرجع سابق، ص108

الفصل الأول

الوعي الإنساني وتنوير العقل

المبحث الأول : مفهوم الإنسان في الفلسفات

المبحث الثاني : تبلور الوعي الإنساني

المبحث الثالث: عصر التنوير والبحث عن إنسانية الإنسان

تعتبر المفاهيم والمصطلحات من بين الأولويات لولوج أي فكرة، وهذا ما يعنينا اليوم كمهتمين بالحقل الفلسفي وهو بدوره يطرح العديد من القضايا الفكرية على الصعيد الكوني وذلك ما نلمسه في العديد من الأطروحات التي تقدم بها الفلاسفة في المجال النسقي الفلسفي، ولذلك أول ما يجب أن يلملم الفيلسوف شتاته، ويكون على دراية كافية به هو المفهوم. لأن المفاهيم تساعد القارئ على وضع العديد من الأسس للوصول إلى المعنى الصحيح.

إن المتتبع لمراحل الفكر الفلسفي والدراسات الفلسفية عبر التاريخ سيجد نفسه أمام مفاهيم متعددة تعرف الإنسان الذي شغل حيزاً من التفكير، منذ بداياته إلا أن الملاحظ من تلك التعريفات التي سنتطرق لها لاحقا، أن لكل حقبة من تاريخ التفكير الفلسفي مميزات ومقومات اعتمد عليها في تعريف الإنسان الذي مر بمراحل عديدة، حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم من تقدم في جميع المجالات .

فعلى سبيل المثال في القديم لم يكن الإنسان محل انشغال الفلاسفة، بل كان للطبيعة الحظ الأوفر في ذلك، وهذا ما نلاحظه في تفسيراتهم اللاهوتية لبعض الظواهر الطبيعة في حياتهم، فقد عرف تاريخ الإنسان منذ وجوده على وجه الأرض حضارات وثقافات متعاقبة مصدرها ومبعثها الإنسان، إلا أن هذا الإنسان وفي خضم هذه الحضارات المادية التي عرفها في المجال الفلسفي للوجود الإنساني، لم يلغي المكانة التي ينبغي أن يكون عليها، فقد كان دائماً إنساناً يبحث عن مجال يؤسس فيه لإنسانيته، حتى تطور تفكيره ودخل في مرحلة البحث عن إنسانيته التي ضلت محل بحث وتفكر فلسفي، فما هو مفهوم الإنسان؟ وما هي أهم المحطات التي ساهمت في بناء إنسانيته ؟

مفهوم الإنسان homme * في الفلسفات:

لقد مر مفهوم الإنسان تاريخياً بأطوار مختلفة أدت إلى دلالات متنوعة قبل أن يصبح هذا الإنسان هو محور العملية الفلسفية والعقلية، لكون هذا الأخير ظل في صراعات فكرية مع تلك المعتقدات التي كانت تحط من شأنه وتحاول أن تهمشه وتجعل منه ثانوي في العملية الفكرية، فقد لقي الإهتمام بالإنسان مجالاً واسعاً، بين الفلاسفة لأن الفكر الفلسفي تحول من التفكير في الأشياء (الطبيعة) إلى التفكير في الإنسان (ذات فاعلة) وهذا ما يمثل الدور الأساسي والفعال للرقي بالأمم والنهوض بها.

فقد كان الإهتمام بالإنسان من المنظور الإتيقي يحاول تأسيس رؤية أخلاقية خاصة نظراً إلى المشاكل الأخلاقية التي يعيشها الإنسان، سواء في المجال الطبي أو التقني بصفة عامة، ونذكر على سبيل المثال المفكر **علي حرب** يؤسس لفاعل بشري جديد، وهو ليس ذلك الإنسان الأعلى مثلما بشر به **نتشه**،Friedrich Nietzsche ** بل حاول أن يحث عن ذلك الإنسان الفعال والإنسان الأرقى[1].

فقد صنع الإنسان العديد من المفاهيم محاولاً من خلالها ربط علاقاته بثنائية العقل والطبيعة، التي تمثل مصدر إلهامه داخل المجال الفكري، ولأن الإنسان لا يخلص لإيجاد وجوده ووعيه، إلا داخل الجماعة، كما يقول إبن خلدون الإنسان إبن بيئته وكائن إجتماعي

---

* اختلف التأسيس لمفهوم الإنسان بحسب أراء الفلاسفة والمهتمين بالحقل الفلسفي: الإنسان الكامل لقد اختلفت التعاريف حول هذا الإنسان الكامل بحسب المنظرين له يقول الجرجاني " هو الجامع لجميع العوالم الالهية والكونية "، أما عبد الرحمان بدوي فيري أن" فكرة الإنسان الكامل تناظر في الوجودية فكرة الأوحد "، أما بالنسبة للإنسان الأعلى وهو الوصف الذي انفرد به نتشه ويعني به هو ذلك الإنسان الصالح للمستقبل حيث أنه هو خالق القيم أما الإنسان الصانع " هو صانع الآلات وهو في علاقة مع معرفة عملية أنظر: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق ص104

**نتشه : (1900/1844) فيلسوف ألماني وناقد، اشتغل باللاتينية واليونانية، كان له تأثير كبير على الفلسفة الغربية والفكر الفلسفي برمته

1- عبد الرزاق بلعقروز، السؤال ومسارات الانفتاح، منشورات الضفاف، ط1، لبنان، 2010، ص204

بطبعه، فتطور الإنسان مرهون بتطور الفكر البشري، وزيادة إهتمامه بجانبه الإنساني، وبعثه لروح إنسانية داخل المجتمعات، التي كانت تحكمها اللاحقوقية، حيث سادت في تلك العصور المظلمة الهيمنة وإخراج للإنسان من شتى مجالات الحياة.

واذا أردنا أن نعود بالإنسان إلى بدايات هذا التفكير الإنساني أو ما يسمى اليوم في العالم بالبحث عن إنسانية الإنسان في ظل التقنيات كما يقول ليفي ستروس" **إن هدف علوم الإنسان ليس هو الكشف عن الإنسان، بل تفكيكه** "[1]، إذا علوم الإنسان لم تكن موجودة من قبل أو بالأحرى الإهتمام بالإنسان لم يكن موجود بشكل واسع وكبير في الفلسفات القديمة مقارنة مع الفلسفات المعاصرة، التي إهتمت بالعديد من القضايا التي تهم الإنسان(الأخلاق والسعادة ...) لقد كان الإنسان في الحضارات الشرقية القديمة يولي إهتماماً كبيراً لتلك التفسيرات اللاهوتية لبعض الظواهر الطبيعية، التي كانت تستحود على تفكيرهم بل وصلوا لدرجة تفسر بعض الظواهر الطبيعية على حساب الإنسان الذي كان موضع تهميش وعدم إستقرار كلي، فقلد أثار العالم اليوم ثورة حول سيرورة الإنسان وتكوين هويته التي من خلالها تأسس ما يسمي بالوعي الفكري" **فقد أصبح البحث في نظرية الإنسان، من بين النظريات التي لاقت رواجاً كبيراً في ميدان العلوم المعاصرة، بغيت كشف بعض الأسرار التي يحملها هذا الإنسان بداخله**"[2] ، فالإنسان ونظراً لتركيبته المعقدة سواءاً كانت فيزيولوجية أو حياتية جعلته يستعصي على الفلاسفة والمفكرين فك لغز تركيبته خاصة في الجانب القيمي من حياته (حريته، إستقلاليته، كرامته)، فمن الملاحظ أن مشاركة الإنسان داخل مجتمعه، هي مدعاة للتفكير ولبعث روح اتيقية، تتأسس داخل تصور اتيقي للإنسان

1 – ادغار موران، إلى أين يسير العالم ؟، تر:أحمد العلمي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، ،(ب ب)، 2009، ص 8

2 –. Pierre Vendryes, **Vers la théorie de l'homme**, Ed. Presses universitaires de France, 1973, p16.

ولذلك نجد العديد من الإختلافات في تعريف الإنسان، بمختلف النزعات والتصورات، فيجب الإشارة أن الفلسفة المعاصرة ليست هي الوحيدة التي أسست لمفهوم الإنسان، بل البحث في مفهوم الإنسان. هو وليد تاريخ الفكر الإنساني الفلسفي منذ القديم.

المدلول اللغوي :

يذكر "مراد وهبة" في معجمه الفلسفي لتعريف الإنسان على أنه: "**هو أحد البشر رجلا كان أو إمرأة مشتق من إنس على وزن فعلان حيث لا قوام للبشر إلا بأنس بعضهم البعض**"[1]، والإنسان هي الكلمة المستمدة من أنس يأنس، وهي نوع من الألفة التي يستمدها الإنسان من أخيه الإنسان، فهو في حقيقته وجوهره وكينونته مجرد ذات تبحث عن إستقرار داخلي وخارجي،" **فالإنسان من ناحية الصورة الإنسانية هو من يتكلم ويحس ويفكر ويرغب ويعمل**"[2].

وكما جاء أيضا في لسان العرب: "**أصل الإنسان هو من إنسيان، لأن العرب قاطبة، قالوا في تصغيره : أنسيان، فدلت الياء الأخيرة، على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم** " كما روي على إبن عباس أنه **قال : إنما سمي الإنسان إنساناً، لأنه عهد إليه فنسي**"[3]، " **والإنس : جماعة الناس، والجمع أناس، أقول رأيت بمكان كذا وكذا أناسا كثيرا، أي ناسا كثير**"[4]. وفي قوله في كتابه العزيز: " **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثرا شيء جدلا**"[5]، فهذا إثبات على أن الإنسان والبحث عن حقيقته هي أكبر الأشياء جدلاً في الفكر الإنساني، نظراً لما يحمله في طياته من

1- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص104.

2- ميشلان مارزانو، معجم الجسد، مرجع سابق، ص552

3-ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص170

4- نفسه، ص170.

5 -سورة الكهف: الآية 53 .

غموض ودلائل معقدة، في بعض الأحيان. يستعصى على الفكر البشري الوصول للحد فيها أو إعطاء حكم ثابت حولها. وهذا ما يبحث فيه العديد من الفلاسفة والمفكرين، لأن الظروف التي توالت المجتمعات في محاولة التفكير في الإنسان كماهية وكفاعل، هي نفسها المرحلة التي واكبت المرحلة الابستيمية* في العلم،" **أما الإنسان كان مؤنث أو مذكر فهو يدخل في طبيعة إنسانية خالصة بدون تحديد غاياته أو مجالاته لكونه يكون ذات إنسانية واحدة تتكون منها الإنسانية جمعاء** "[1].

المدلول الفلسفي :

في الفكر اليوناني:

لقد برز الإهتمام بالإنسان منذ بدايات التفكير الإنساني والفلسفي، خاصة أثناء الفترات التاريخية وبما أن التفكير الفلسفي اليوناني كان السباق في الإهتمام بهذه القضايا التي شغلت التفكير الفلسفي، نجد العديد من الفلاسفة الذين تناولوا موضوع الإنسان ولكن من وجهة نظر سياسية أكثر منها أخلاقية، رغم أن هذا لا يلغي الجانب القيمي أو ينفيه بل نجد أن علاقته بالفكر اليوناني كانت أقل ضآلة مقارنة بالفكر السياسي، لأن الغاية التي سادت في تلك الفترة هي التأسيس السياسي، كالمدينة الفاضلة حيث سعى أفلاطون لتأسيها بالإضافة إلى إسهامات سقراط وأرسطو، في العديد من المجالات الفكرية فالتصور اليوناني التنويري للإنسان يصفه على أنه مخلوق متميز عن سائر الحيوانات بصفة العقل، " **لقد وصلت الفلسفة اليونانية إلى أوجها مع كل من سقراط وأفلاطون قبل الولوج لتعريفات**

*المقصود بالمرحلة الابستيمية في العلم هي تلك القطيعة التي وضعها بشلار من خلال البستيمولوجيا العلمية، وهذا ما نلاحظه من خلال إسقاط العديد من الفلاسفة لهذا المنهج الفلسفي العلمي على بعض الدراسات الاجتماعية والإنسانية بغية الوصول إلى نتائج يقينية يثبتها العلم المعاصر .

[1] –**Dictionnaire des sciences philosophiques**, par une société de professeurs et de savants, sous la direction de Franck Adolphe, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1875, p729

سقراط، وأفلاطون في تأسيسهم لمفهوم الإنسان يجب لتطرق إلى تعريف السفسطائيين*"[1] لأن ما قدمته الفلسفة السفسطائية كانت بمثابة فلسفة مهتمة بالواقع الذي كان سائدا في اليونان، وهذا ما سوف نتعرض له .

الإنسان في الفلسفة السفسطائية :

مما لاشك فيه أن السفسطائيين كانت لهم إضافات للفكر الفلسفي بغض النظر على نوعية الأفكار الفلسفية المقدمة التي لا يمكن تجاوزها في الفكر اليوناني، فمن أقدم السوفسطائيين عهداً هو الفيلسوف بروتاغوراس**protagoras** الذي قدم بدوره تعريفاً للإنسان من خلال مقولته المشهورة "**الإنسان مقياس كل شيء**"[2]، فهذا التعريف كان دليلاً على بدايات التفكير في الإنسان، لأن السفسطائيين أنهو التفكير الطبيعي وبحثوا في الوجود وأصل العالم" **فتفكيرهم الفلسفي كان محصوراً في دائرة الكون والعالم الطبيعي بل وأضيق من ذلك**"[3]، وكانت إسهاماتهم بالنسبة للدراسات النفسية والأخلاقية ضئيلة جداً حتى إنه لم يسجل تاريخ لهم أي كتاب حول هذه المواضيع الحساسة، لذلك فإن التعريف الذي قدمه بروتاغوراس كان قفزة نوعية في تاريخ الفكر البشري، لأن الإنسان هو محور العملية البحثية، ولذلك تعتبر هذه المرحلة مهمة لأنها قدمت الكثير للذات الإنسانية، رغم وجود

---

*السفسطة أو السفسطائيون : يحيل المصطلح على الاستدلال الصحيح في ظاهرة المعتل في حقيقته، والذي تكون غايته المغالطة والتمويه على الخصم في المبارزات الحوارية أو المخاطبات العامة، إنها إذن نوع من العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلم وتكون منطوية على الفساد في المضمون أو الصورة قد لاينته إليه المخاطب فيقع ضحية هذه الحيل السفسطية فيعتقد في الكذب صدقا وفي الباطل حقا، واذا عدنا إلى اللفظ في أصله اليوناني نجدها تقصد الحكمة والمعرفة، وبالتالي يكون السفسطائي هو الحكيم المنتسب للسفسطة غير ان حكمة السفسطائي كانت محل اعتراض من طرف الفلاسفة، الذين كانوا يؤكدون على أن السفسطائي هو مجرد مدع للحكمة دون أن يكون كذلك (مصطفي حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق ، ص ص(260/259) .

1-عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970،ص03

2-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، ط 2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935، ص110

3- محمد بيصار، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1973، ص 73.

العديد من الإنتقادات التي وجهت لهذا التصور الجديد للإنسان، لكننا لا ننفي أن الإنسان أصبح بعد هذا التصور إنسانا طليقاً في تفكيره والبحث عن وجوده في جميع الملكات الفكرية التي تؤسس وعيه.

فمن خلال إعلان بروتاغوراس* Protagoras أن الإنسان مقياس كل شيء أصبح الإنسان مركز الأشياء ،فيمكن القول أن هذه الفلسفة الجديدة على الفكر اليوناني في بداياته أسقطت كل المفاهيم التي تدعو لأسس موضوعية، فقد أصبحت تتطلع إلى وجود منفرد عن ذات فردانية، فهذا يلغي ذلك الإله الذي كانت تعبر عنه الفلسفات الطبيعية، الذي كان يتحكم في زمام الأمور، أو يملي على الإنسان ما يريد القيام به، وهذا ما جعل من السفسطائيين يبحثون عن أفراد خدومين للمصالح السياسية التي تحقق مصلحة الدولة. لقد كانت بالنسبة لهم الأهم في تلك الفترة " **فبروتاغوراس كان يعلم قواعد النجاح في السياسة؛ وجورجياس** ** **كان يعلم البلاغة والعلم السياسية**"[1]، فقد تحول الفكر الفلسفي من القضايا الطبيعية إلى الإهتمام بدراسة الإنسان وقضاياه، و بالتأكيد على الاختلافات حول ذلك الإهتمام، يمكن تأويل مقولة بروتاغوراس أن الإنسان هو كل شيء على وجه الأرض وهو المركز ،بالإضافة لعدم تدخل الآلهة والعالم الخارجي في تصرفاته، فبهذا العمل السفسطائي وما سوف يتبعه فيما بعد سقراط سيكونان هما الرائدان في" **الفلسفات الإنسانية التي أصبحت تدافع عنها الفلسفات الوجودية اليوم**"[2]، وتتشدد هذه النظرة الإنسانية من خلال تأكيده على بعض المفاهيم الإنسانية من تربية وتعليم خاصة تعليم الفضائل العامة ومن بينها العدالة والتأكيد على العمل السياسي الحر وخدمة مصالح الدولة السياسية.

---

*بروتاغوراس: فيلسوف يوناني من أشهر السوفسطائيين، اهتم بالجانب الأخلاقي.

** جورجياس : فيلسوف يوناني ولد 485 ق م.

1- أحمد امين وآخرون، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 107

2- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1991، ص57 .

الإنسان في فلسفة سقراط :

إن البحث عن فكرة الإنسان الكامل شغلت فكر العديد من الفلاسفة، أو كما يسميه البعض الإنسان النموذج، لإعتباره فكرة تطرح نفسها عبر التاريخ، ففي فلسفة أفلاطون كان الإنسان الفاضل هو النموذج الأرقى و المشروع الأخلاقي الذي ظلت الفلسفة اليونانية تبحث عنه من خلال كتاباتها ومحاورتاها التي كانت تتصادم مع الفكر السفسطائي الذي تصور أن الإنسان لم يعد مرغوبا فيه ،وحتى مع فلسفة سقراط الذي حاول أن يجد الإنسان الفعال من خلال محاوراته مع تلامذته، وهذا ما حاول أن يبرره سقراط من خلال محاوراته مع تلامذته قبل أن ينفد عليه حكم الإعدام من طرف حكام أثينا في ذلك الوقت، لأنه أدرك مكانة هذا الإنسان كونه كائن فعال وبإمكانه أن يغير العالم وما يحيط به إلى الأحسن، ولذلك كان يجمع الشباب ويقوم بمحاورتهم بطريقته الخاصة التي تسمي بالتهكم والتوليد* حول البحث عن ذلك الإنسان الذي يكون في مأمن من الوقوع في الرذائل والأخطاء.

بما أن عصر السفسطائية تحول لعصر إنساني وأصبح يهتم بقضايا أكثر انسانية فظهرت قضايا ومبادئ أخلاقية ،ومنطقية وحتى دراسات نفسية لم يكن لها أي أساس قبل الفلسفة السفسطائية، فمن حيث هذا المبدئ إتفق معهم سقراط وصب إهتمامه بالإحساس والإدراك والمعرفة وتعمق بشكل واسع في الأخلاق والأغراض البشرية، وما يبرز إهتمام سقراط بالإنسان هي مقولته الشهيرة " إعرف نفسك بنفسك*"؛ فإذا تمعنا في هذه المقولة نجد أنها تحمل في سياقها العديد من الدلالات التي يمكن أن نجيزها في النقاط التالية :

- تحديد ماهية الإنسان بوضوح وبشكل دقيق.

---

*التهكم والتوليد: هي طريقة كان يستعملها سقراط في توليد المعرف من عند تلامذته من خلال أنه يدعي الجهل في المعرفة ويحاول أن يجعل من مناظره هو من يبحث عن تلك المعرفة حتى يتوصل لها، وقد اعتمد هذه الطريقة من خلال مهنة أمه التي كانت قابلة في أثينا .

* " اعرف نفسك بنفسك " هي عبارة مكتوبة على مدخل معبد دلفي بأثينا .

- التأسيس لمشروع إنسان له علاقة بذاته والآخر.
- إنزال الفلسفة من السماء إلى الأرض، وهذا ما قدمته الفلسفة الطبيعية في البحث عن أصل الوجود والكون، ثم البحث عن الإنسان كفرد فعال.
- تأسيس مبادئ أخلاقية يمكن ذكرها في نقاط مختصرة (الفضيلة، العدل، السمو).
- توعية فكر الشباب كرجال المستقبل فاعلين في دولة أثينا مع تمسكهم بإنسانيتهم وكرامتهم وحريتهم الفكرية خاصة كرامتهم .

إن للإنسان ماهية خاصة تميزه عن باقي الكائنات الحية الأخرى وهنا نحاول أن نرد على من ساوى بين الإنسان والحيوان كونه يتميز بذات عاقلة، وهذه الصفة إمتلكها عند معرفته وإتصاله بالعالم الخارجي، الذي تربطه به مواثيق أخلاقية وقيم إنسانية، فيرى سقراط أن الحياة الإنسانية يجب أنْ تعاش بشكل من الجدية والوعي فيقول في ذلك أن: " **الحياة التي لم تمتحن لا تستحق أن يحيها المرء** "[1]، وهذا ما يثبت أن حياة الإنسان هي جزء من الحياة، لذلك وجب عليه أن يقدم لها العديد من المعارف والأخلاقيات.

الإنسان في فلسفة أفلاطون :

لقد كانت فلسفة أفلاطون تتمركز حول العقل لكونه الأداة الأولى لأي معرفة، وهذا ما يقر به أصحاب المذهب العقلي المعاصرين، أن الإنسان يمكنه التحكم في جميع معارفه وقدراته بواسطة عقله، فالإنسان عند أفلاطون مكون من جوهرين أساسيين يمكن أن نذكرها ونبرهن على العلاقة بينها كما ربطهما أفلاطون في فلسفته[2] :

- النفس.

1- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق ، ص75.

2- محمود القاسم، النفس والعقل لفلاسفة لإغريق والإسلام، ط4، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ب ت، ص ص (31، 33)

-الآخر (المتمثل في البدن أو الجسد).

يرى أفلاطون أن لكل إنسان إستقلاليته الذاتية عن العنصر الآخر في البدايات الأولى للوجود، ولذلك قدم نظرية المثل التي تعبر عن حلول هذه النفس في هذا البدن ومنها يحاول أن يشرح نقطة الإلتقاء بين هذا العالم والحس المتمثل في الجسد، فيقول أفلاطون " **فالنفس جوهر روحي تجهل الحقيقة وما تشعر به هذه الروح من رغبة أو لذة هو شعورها بأنها سجينة، وتبحث عن الخلاص من سجنها لأنها تتوق لمعرفة الحقيقة** "[1]. فالمتفحص لفكر أفلاطون لا يجد تعريفاً صادقاً لماهية وأصل الإنسان، فلإنسان هو من وجدت له نفس في العالم الآخر، ثم حلت بهذا الجسد، وهذه النفس حسب أفلاطون تخضع إلى تقسم حسب الفضائل الموجودة الثلاثة[2]:

- فضيلة القوى الناطقة.
- فضيلة النفس شهوانية .
- فضيلة النفس الناقصة.

وليعيش الإنسان في إعتدال أخلاقي ويستمر في حياته على أكمل وجه، يجب عليه أن يوازن بين هذه الفضائل، في حياته بالمقدار الذي يمكن أن يتولد عنها من أفعال، فإذا تم تغليب أحد القوى ستكون النفس معذبة بحسب أفلاطون، وإذا حدث التوازن سيكون الإستقرار في حياة الإنسان. وهذا ما حاول أن يؤسس له الفيلسوف من خلال فلسفته.

1- محمود القاسم، النفس والعقل لفلاسفة لإغريق والإسلام، مرجع سابق، ص 33.

2 - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1936، ص 89 .

مفهوم الإنسان عند أرسطو :

لقد كان للفيلسوف أرسطوAristote * مسعى وإسهاما كبيرا في تطور الفكر الفلسفي فهل سار أرسطو في تقديمه لمفهوم الإنسان على نفس طريق سقراط أم أنه إختلف عنه في تعريفه للإنسان ؟ " **لقد جعل أرسطو من الطبيعة الإنسانية محور بحثه، لذا فالأخلاق لديه تعني أن يستطيع إظهار إمكاناته وميولاته الطبيعية، والإنسان بوصفه كائن مركب من عقل وجسم، وبالتالي هو مهيأ لحياة مشتركة مع أمثاله من بني الإنسانية** "[1] فمن هذا المنظور الأرسطي نلاحظ أن الإنسان له قيمة ومستوى يتشابه به مع ذلك الذي تجتمع عليه البشرية والإنسانية، فالإنسان بطبعه يتميز بالصفة الإنسانية لكون يتصف بالعقل الذي يعتبر المتحكم في النفس البشرية. ولذلك يمكن للإنسان أن يكون في المرتبة الذي يختارها لذاته. لأنه يملك قوه فطرية مطلقة .

ويعتبر أرسطو أن بناءْ مشروع سياسي هو من صلاحيات الدولة، التي يعتبرها قادرة على صنع ماهية لهذا الإنسان، بوصفه حيوان مدني يعرف الخير والشر والعدل والظلم وكونه قادر على تكوين المدينة التي يمكن أن يحيا فيها بالمواصفات التي يريدها" **ويعرفه أيضا أنه حيوان سياسي**" [2]، فقوة التفكير لديه هي التي تحدد ماهيته، وأي جسم حي يحتوي على مبدأ حيوي ومجموعة من قوى والتفاعلات تجعل منه غاية غير محدودة، فالإنسان الذي تضيع منه نفسه أصبح جسدا (المادة) بدون نفس (صورته)، حيث تتحد هنا المادة والصورة معا ليكون إنسان متكامل، وعند إلغاء عنصر النفس يدخل الجسد في دائرة الموت

*. .أَرِسْطُوا(384 ق.م – 322 ق.م) أو أرسطو طاليس فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدة.

1–محمد الجبر، الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان أرسطو نموذجا، ط 1، جوهرة الشام، دمشق، 1994، ص ص (42، 44)

كونه تنقصه تلك القوى التي حددنا من خلالها ماهية الإنسان، ويمكن أيضاً أن نسمي العلاقة بين الجسد والنفس هي نفس العلاقة بين الهيولي والصورة " **فالنفس صورة البدن كما يكون البصر صورة العين**"[1] أرسطو بوجود هذه ثنائية التي تتمثل في الجسم والنفس كقوله:" **كمال أول لجسم طبيعي إلى ذي حياة بالقوة** " [2].

ولذلك فإن الإنسان الذي خرجت منه النفس، وصار بدن يفقد جانبا أساسيا في تكامله الجسدي ولا يعتبر إنسان، لأن الترابط الموجود بين البدن والنفس هو الذي يحدد لنا ماهية الإنسان في أعلى مراتب قوته وضعفه ولذلك يعتبر للإنسان الميت خصوصية في بدنه تميزه عن الإنسان الذي لازال على قيد الحياة " **فلإنسان الميت الذي هو بدون بدن بلا نفس ليس إنساناً بالمعنى الدقيق لأنه تنقصه تلك القوى التي تحدد بتوافرها ماهية الإنسان، والعلاقة بين البدن والنفس هي العلاقة بين الهيولي والصورة**"[3]

الإنسان في الفكر الوسيط :

إن الوضع السائد في الفكر الوسيط كان يعج بالاختلافات والحركات التي كانت تقصي هذا الإنسان كإنسان، بل كانت الكنيسة هي التي تتحكم في زمام الأمور وهي الآمرْ والناهي، لذلك تعتبر الظروف التي كانت سائدةً في العصور الوسطى جعلت من هذا الإنسان أداةً لقضاءِ مصالحها، تبرز المسيحية الطابع العام الذي كان سائداً في فكر القرون الوسطى عند الأوروبيين خاصة، ولذلك حاولت جملة من الفلسفات المنتشرة في تلك الحقبة منها الفلسفة السكولائية الأخد بالرؤية الدينية، إن سيطرت الفكر اللاهوتي على الفكر الوسيط في جميع مراحله الفكرية ومحاوله إعادة صياغة مفاهيم في أطر دينيه جعل هذه الفترة تتميز

1- فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرا: زكي نجيب محمود، (ب ط)،دار القلم، بيروت، (ب ت)، ص46

2- محمد الجبر، الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان، مرجع سابق، ص 71 .

3- فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص46 .

عن باقي المراحل، لكونها حاولت أن تجد لنفسها مبررات على فلسفة قائمة على فكر ديني دعوته جعل هذا الدين هم من يقوم بإرساء القوانين.

الإنسان في المسيحية:

لقد هيمنة العقيدة اللاهوتية المسيحية على العقول في القرن 18م حيث كان تركيز رجال الكنيسة في تلك الفترة على نمط التفكير الإنساني، الذي كان بمثابة المفكر الخارجي أي المفكر الخالق الذي قد يهدد إستقرار العقائد، لذلك كانت تصف هذا التفكير بالمتزمت الضائع ،فقد إهتم بعض الفلاسفة الساطعين بهذا الموضوع إلا أن الظروف حالت دون ذلك وتركتهم لا يفكرون، فالمفكر كان على حسب معتقداتهم لا مفكر، يعني استحالة حرية التفكير عندهم، فقد كان خروجهم وتمتعهم بالحرية المطلقة في التفكير شيئً مستحيلا، فكانت الفلسفة هي الخادمة الوحيدة لذلك العلم " **لقد كان الدفاع عن المسيحية إذنً هو الطابع الغالب على التفكير المسيحي عند آباء الكنيسة**"[1]

الإنسان في فلسفة القديس أوغسطين St Augustine:

لقد استقت الفلسفة المسيحة سواء كانت (إسلامية أم مسيحية) منبعها من الدين وحاولت أن تجعل من العقل الأساس الفعلي لفهم الحياة، فقد تأثر رجل الدين أوغسطين " **ببعض الأفكار الأفلاطونيين* الجديدة وببعض المطارحات التثقيفية** " [2] . يبدأ القديس بفلسفته المستوحاة من الإيمان " **إن لم تؤمنوا فلن تفهموا** "[3] ، ولذلك سعت فلسفة أوغسطين

---

[1] –حسن حنفي، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة،2008 ، ص12

*سوف نسرد قضية توضح لنا تأثر المسيحية بالفلسفة اليونانية مثال: " أتي كالسيديوس الذي ترجم محاورة طيماطوس لأفلاطون مع شرح بوزيدونيوس مقررا ثلاث مبادئ الله والمادة والإله، بالنسبة لله هو الخير الأعم وبعدها تأتي العناية وهي التي كان اليونان يسمونها بالعقل ." أنظر(حسن حنفي، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص14)

2– رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، تر:أحمد شيباني، مكتبة بوكس ستريم، (ب ب)،1988، ص 19.

[3]– سفر أشعياء : الاصحاح 7/6

أن تنشر القيم الروحية في المجتمع المسيحي **من خلال عبارته المشهورة " أعقل كي تؤمن، وآمن كي تعقل** Intellige ut credas, crede ut intelligas "[1] .

إن التجربة الروحية التي إنطلق منها أوغسطين " **حاول أن ينطلق من عقله الطبيعي للوصول إلى الحقيقة العليا فبدأ بالمانوية ثم مذهب الشك ثم الأفلاطونية الجديدة ثم إنتهي أخيراً إلى المسيحية** "[2] إستعان أوغسطين بالعقل وإنطلق من مبدأ الموافقة الواعية، التي برر من خلالها أنه يمكن للإنسان أن يثبت وجوده وماهيته، بالمبادئ المسيحية، وهي في الحقيقة ترتبط بالعقل أولاً، لأن العقل هو الهدف الذي لا تخلوا منه أي ديانة سماوية تريد أن تبين المغزى من وجود الإنسان على الأرض .

إن الفكرة الأساسية في المسيحة هي فكرة العناية الإلهية التي غالباً ما نجدها عند القديس أوغسطين " **إن الطابع الشخصي للفكرة المسيحية عن العناية الإلهية تنتقل من الكتاب المقدس، والإنجيل، إلى نظرية القديس أوغسطين** "[3] فالعناية الالهية التي أكد عليها أوغسطين في فلسفته الدينية، كانت محور إهتمامه لإعتباره أن الله يخص عباده بعناية لا حدود لها، ومنها يمكن أن نتطرق لتعريف الانسان، فالإنسان عند القديس أوغسطين مكون من عنصرين أساسيين هما" **الجسد والروح** "[4] هذين العنصرين يمثلان الصفات الملازمة للإنسان الذي لا يستطيع أن يوجد بدونهما، لكونهما يمثلان الوجود الفعلي للجسد البشري عند توحدهما ، فإذا فقد عنصراً سنفقد حياته بصفة عامة، وأضاف أيضاً " أن **الإنسان هو النفس التي تستخدم جسماً** "[5] إذاً فتعريف الأوغسطيني للنفس يتشابه مع تعريفه للإنسان "

---

[1] –حسن حنفي، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص20

[2] –اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر: إمام عبد الفتاح إمام، (ب ط)، مكتبة مدبولي، مصر، (ب س)،ص50

[3] – اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص211

[4] – نفسه، ص200

[5] – اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق ،ص221 -

فالنفس هي الجوهر العاقل القادر على أنْ يتحكم في البدنْ "[1] فالإنسان هو النفس، لأنه بدون نفس هو لا شيء .

ولقد كان أوغسطين " **يحيا ويعمل من أجل شعبه المسيحي أكثر مما يحيا من أجل الفكر الفلسفي**"[2] ولذلك ظلت فلسفته الباعث الأساسي من داخل الكنيسة لأنه كان ينادي بالمبادئ الأساسية للأخلاق والمحبة، التي كانت تؤرخ وتوكد الرسالات السماوية، ولذلك نجد أن القديس أوغسطين أعطانا مفهوماً جديداً للدين من خلال تزاوجه مع الجانب الايتقي في الحياة الإنسانية .

وهذا ما يضفي على فلسفته جانبا من أخلاقه وإنسانيته، مفعمة بإنسانية أفضل على الإنسان لأن فلسفة أوغسطين إعتبرتْ أن الإنسان له" **إرادة حرة تمكنه من الإنتماء إلى إحدى المدينتين* بمحض إرادته غير أنها خاضعة للقانون، والقانون خاضع للإرادة وقانون الإرادة لديه إخضاع الحواس للعقل، وإخضاع العقل لله، والله هو المعلم الباطن، ومن تم فإن أوغسطين يستند في فلسفته إلى شهادة الوجدانْ** "[3] فالإرادة هنا هي التي يتمسك بها الإنسان مع الله، من خلال شهادة العقل الذي يعتبره ميزتٌ لربط الصلة بينه وبين الله، لأن العقل هو السبيل لفهم ما يقر به الله، وأن الله هو من لديه العلم المطلق والباطن، وهذا ما ينبنى ويتجلى في الوجدان الداخلي .

---

[1] – اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص229

[2] –عامر عبد الزيد الوائلي، مفهوم الانسان في فكر أوغسطين، الموقع الكتروني http://almothaqaf.com/index.php/derasat/60720.html، التاريخ:2017/01/21، التوقيت19:29

* لقد حدد العلاقة بين المدينتين من خلال " اعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" أنظر (محمد محمد حسن الكمالي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان،1993 ،ص10)

[3] – اتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص11

الاسلام:

لقد سادت في الفكر الوسيط لدى المسلمين اضطرابات ونزاعات فيما بينهم، ولكن رغم كل هذه الأجواء التي كانت تعمل على قمع العلماء واصلوا المفكرين في فلسفاتهم وإبداعاته، كغيرهم من الفلاسفة الذين أكدوا حضورهم بواسطة نظرياتهم التي لازالت صيتها لحد الساعة. ويعتبر الفارابي من بين أولئك اللذين اهتموا بالإنسان على المدى البعيد، فقد عرف الإنسان أنه " **جوهر واحد مؤلف من هيولي(مادة)،وصورة، فالمادة هي الجسم والنفس هي الصورة** "[1] فتكونْ الإنسان عنده من جانب مادي وصوري الذي يشكل جوهراً ثرياً في الجسد البشري لأن الصورة هي التي تعمل على قيادة المادة والمتمثلة في الجسم .

ويري الفارابي أيضاً أن مبدأ الثنائية الذي يتشكل منه الإنسان، هو المتمثل في" **أن للإنسان قوتان،(ناطقة وبهيمية)، الأولى تنزع نحو العلوم والأمور المحمودة، أما الثانية تسير نحو الذات الشهوانية**" [2]ويجب على الإنسان أن يحسن تسيير الثانية لكي لا تؤدي به إلى الهلاك، وليكون الإنسان معتدل يجب أن يحكم قيادة القوى الناطقة والشهوانية بدون قمع واحدةٍ منهما، بل مسايرتهما وأخذها إلى الطريق الحسن، يعتقد الفارابي " **أن النفس هي صورة الجسد وقوامه والقوة التي تعين إستعمال الأجسام وتساعدها على بلوغ كمالها**" [3] فالنفس هي التي تسير الجسد بحسب أهوائها، ولذلك وجب تحديد أهوائها، وعدم تركها تسير وفق ما تريد بل كما تريدها القوى الناطقة التي تركز على العقل كمبدأ أساسي في الحياة الإنسانية، لبلوغها مرحلة الكمال المطلق.

---

[1]– محمد حسن مهدي، المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها،ط1،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2014،ص46

[2]– يوحنا قمير، فلاسفة العرب : الفارابي ، ط2، دار المشرق، لبنان، (ب ت)، ص19

[3]– مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، منشورات دار ومكتبة الهلال، لبنان،1995، ص69

يقول أيضا عن النفس الإنسانية" **فإذا حدث للإنسان، فأول ما يحدث فيه القوة التي بها يتغذى، وهي القوة الغاذية، ثم بعد ذلك القوة التي يحس بها الملموس...ثم تأتي القوة المتخيلة التي تربط بين القوى الأولى والثانية** "[1] وينشأ قوة ثالثة يجعل لها وظيفة وسطية في الفهم والتحكم في القوتين، من خلال إرساء قواعد تتضمن المبدأ المطلق في فهم وضيفة العقل والنفس، ويعرفها أيضاً بقوله " **أنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة، وهي أيضا صورة للجسد**"[2] لأن الجسد وعائه الداخلي الذي يتحرك به هو النفس .

نفهم أن الفلسفة عند الفارابي هي تقارب بين الشريعة والعقل الذي كان يحاول الفيلسوف أن يجعل منها فلسفته و حاول أن يؤسس بها مدينته الفاضلة "**وعلى الفيلسوف أن يجهد للتشبه بالله قدر المستطاع، وبالنسبة للإنسان فان الوصول إلى هذه الغاية هي أولاً أنْ يرقى بنفسه ثم أنْ يعمل على ترقية الآخر في الدولة والمدينة**"[3] ولقد حاول الفارابي أن يجعل الإجتماع البشري ينطوي تحت غاية السعادة، التي تمدنا بنوع من " **إن قومنا يقولون أن السعادة ليست هي ثوابا على الأفعال التي شأنها أن ينال بها السعادة** "[4] فالسعادة هي ما يسعى الإنسان لتحقيقه عن طريق القوى التي يمتلكها، وليست معطى جاهز .

الإنسان في الفلسفة الغربية :

لقد اهتمت الفلسفات الغربية بالإنسان مثلها مثل جميع الفلسفات التي سبقتها، إلا أنها جاءت تخرج الإنسان من قصوره العقلي، إلا المجال الفكري، بالإضافة إلا أن الفلسفة الغربية جاءت مساهمة في بناء شخصية الإنسان " **إن التصور الحديث الذي يعتبر الإنسان مجرد حيوان**

---

[1]– مصطفي غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، مرجع سابق، ص80

[2]– محمد حسن مهدي، المدينة الفاضلة في فلسفة الفارابي وموقف الإسلام منها، مرجع سابق، ص46

[3]– عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي، ط4، دار الطليعة، بيروت، 1998،ص122

[4] – نفسه، ص105

بلغ درجة عالية من التطور"[1]، وهذا ما أحدث ثورة في الواقع التكنولوجي اليوم، خاصة في مجال الفكر الإنساني حيث أن الإنسان أصبح آداة في يد التكنولوجيا المعاصرة وما لها من آثار في شتى نواحي الحياة، لأن العلم المعاصر يبحث عن ما بعد الإنسان بواسطة التحكم في الشيخوخة والإنجاب وحتى في تقنية ما تسمي بالنانوا*، فكيف أصبح ينظر للإنسان في الفلسفات المعاصرة؟ خاصة بعد تبلور الوعي الأوروبي وخروجه من أزمته؟

ويعرف **مارتن هايدغر******Martin Heidegger** الإنسان على أساس إرتباطه بالتكنولوجيا فيقول " **لم تكن آلات التكنولوجيا وأجهزتها القادرة على القتل أخطر ما يهدد الإنسان، إن التهديد الفعلي كان دائما هو ما يصيب الإنسان في صميمه، كقانون التأطير الذي يهدد الإنسان عندما ينكر عليه أن يطرق وحياً أكثر إبداعاً ليخبر نداء حقيقة أكثر عمقا**"[2]، فهذا التصريح لوضعية الإنسان المعاصر وكونه أصبح إنساناً ذو أبعاد تكنولوجية نظرا لتفاعل التقنية وتحكمها فيه وهو الذي كان في السابق إنساناً كاملاً ويبحث عن حقيقته ولكن سرعان ما إختلفت جميع تلك التصورات الكلاسيكية وأصبحت تبعث عن روح أكثر راديكالية وتشاؤمية لوضعية الإنسان اليومي في الخطاب الغربي المعاصر، ولذلك نجد هايدغر يؤكد على البحث عن " **إنسانا أكثر إنسانية** "[3] من خلال معاملاته مع ذاته ومع الآخر في جانبه الايتقي.

1- هوتردتش، دليل أكسفورد، تر:نجيب الحصادي،ج1،المكتب الوطني للبحث والتطوير، 2003ص 110.

*تقنية النانوا: هي تلك التطبيقات الطبية ،وتتنوع مجالات الطب النانوي، وتلقي دعما كبيرا من مراكز علمية من الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تقنية فتحت الباب على مصراعيه؛ وذلك من خلال إنشاء آلات ومعدات تصنع خلايا كائنات حية أنظر:الموقع الالكتروني (https://ar.wikipedia.org/wiki) .

** مارتن هيدغر: فيلسوف ألماني ولد 26سبتمبر1889، وتوفي 26مايو1976

2- فرنسيس فوكو ياما، نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجيا، تر: أحمد مستجير، ط1، (ب ب)،2002 ، ص 25

3- محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، ط1،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008، ص79

موضوع الإنسان غير محدد في حقيقة الأمر سواء مع اليونان أو السفسطائيين وما نقد بهم الفلسفة الوسيطة سواء مسيحيين أو مسلمين، لأن مفهوم الإنسان سوف يثار بشكل أقوي في النزعة الإنسانية في فلسفة الأنوار، ففي عصر النهضة شهد مفهوم الإنسان تناولاً واسعاً ونلتمس ذلك من خلال السماح بالمساس بالجسد الإنساني (**التشريح***)، وهنا بدأت مسألة التفكير في الإنسان تتبلور في التفكير الفلسفي والإنساني بصفة عامة، نظرا لما يحمله في طياته من بحث عن الحقيقة والوصول إلى المعرفة، وأكثر من ذلك بحثه عن قضايا تشغل تفكيره الإنساني، وتبني عقائده الفكرية التي تنطوي تحت لواء الحرية والإحترام والكرامة الإنسانية كلها دعوى للبحث عن إنسانية الإنسان .

فتقدم الإنسان ولد لدينا وجود آلة، وهنا ظهرت أزمة الأنوار حيث أن الآلة حلت محل الإنسان، فلم يبقي الإنسان كإنسان، فغايته ووظيفته الإنسانية بدأت تتراجع مع عصر التنوير الذي شهد نهضة في جميع الأصعدة والمجالات الحياتية، و ما أزم الهوة في تاريخ الفكر البشري والفلسفي خاصة، ما إنتقل للفكر المعاصر اليوم فنجد العديد من الخطابات تتحدث حول موضوع موت الإنسان، كذات وهوية وليس كجسد. لقد أخرجته من واقعه الحسي الواعي إلى مجتمع الآلة والتكنولوجيا التي فرضت نفسها بشتى الأشكال وحلت محل الإنسان، فأصبحت مجتمعاتنا تسمى مجتمعات آلية، وهذا ما يستدعي منا التفكير في الإنسان المعاصر ومحاولة إيجاد تعريف لهذا الإنسان الذي أصبحت الآلة تتحكم فيه وهنا نجد مقولة " **فوكو الشهيرة الإنسان ولد في القرن ال17 ومات في البنيوية في القرن 19**

*التشريح : لقد عرفت الفلسفة الوسيطية بروز العديد من الذين اشتغلوا بالتشريح الجسد البشري من بينهم الشيخ الرئيس ابن سيناء، فكلمة تشريح نعني بها شق الجسم لغرض دراسة أدق صفاته ونجد أن ابن سيناء الشيخ الرئيس من أهم الذين انشغلوا بهذا المجال فأنجد كاتبه في الطب القانون في الطي ترجم للعديد من لغات العالم ،وهذا ما يدل على الحجم الفلسفي والمعرفي الكبير الذي يحويه الكتاب من معارف علمية ن حتى بالنسبة للمعدات التي تستعمل في التشريح كان أول من ابتكره هو ابن سيناء بتقنية جد دقيقة وهذا ما يؤكده الجراحين اليوم في المخابر العلمية .

مع ظهور العلوم الإنسانية"[1] إن هده العلوم التي ساهمت في موت الإنسان، بفقدانه لإنسانيته وذاتيته التي ظل يسعى لإيجادها وإقرارها ، إلا أن الوضع الذي آل إليه العالم من بدايات القرن ال19، جعل منه يعيش في دوامة من التقنيات تهدد مستقبله ومصيره، ولذلك تعددت الخطابات التي جاءت تدافع عن حق الإنسان في إقرار مصيره. " **إن الإنسان في نظر نتشه، لا يرقى إلى أعلى درجاته إلا حين تندثر هذه الاشكال السائدة** "[2] لأنه مخالف لأن تكون هناك سلطة على إرادة القوة، وبذلك لا وجود لسلطة تسموا فوق الإرادة الإنسانية، التي جعلها محور اهتمامه، وجعل من الغريزة مقراً لسلطته العقلية فبهذه النظرة أرجع الأخلاق إلى بداياتها الأولى، وحاول البدء أولاً بتأسيس أخلاق تهتم بحياة الإنسان .

وقد أعتبر " **أن الخير عند نتشه هو كل ما يعلو في الإنسان عن طريق الشعور بالقوة وأما الشر فهو ما يصدر عن الشعور بالضعف** "[3]، فالقوة هي خير في ذاتها أما الشر فهو منبع للضعف، ولذلك يسعى الضعيف دائما لبسط الشر و وقيام الحروب، بينما القوي يحافظ دائما عن الهدوء والأمانة، فالأخلاق عنده كانت بداية لحياة قوية معاصرة، وليس لحياة ضعيفة لا ينتج عنها إلا الضعف، لأن قيمة الحياة تكمن في قوتها وليس في ضعفها، وقد جعل محور إهتمامه " **بالسؤال الوجودي المرتبط مع السؤال الاكسيولوجي**"[4] فالجوهر الإنساني لن يتضح إلا من خلال الجانب القيمي، الذي تخضع له الأخلاق كون هذه الأخيرة عند نتشه لها مكانة خاصة في فلسفته للبحث في الحياة " **كان هيغل Wilhelm Friedrich Hegel* قد نظر إلى الإنسان ، بديا بما هو كائن السالب أو**

---

[1]– محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نتشه، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2008، ص283

[2] –نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم نماذج نيتشوية، ط1، دار التنوير،(ب ب)، (ب س)، ص56

[3]– نفسه، ص70

[4] –محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نتشه، مرجع سابق، ص284

* فيلسوف ألماني ولد27أغسطس 1770، توفي سنة 1831.

النافي نعني ذاك الكائن الذي شأنه أن يسلب الوجود "[1]، ووجوده المرتبط بجانبه الاكسيولوجي الذي يمثل غاية مطلقة لا يمكنه أن يسير من دونها .

[1]– محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر، مرجع سابق، ص256

تبلور الوعي Consciousness الإنساني:

لقد لقي الوعي الإنساني إهتمام العديد من الفلاسفة عبر تاريخ التفكير الفلسفي بداية مع الفلسفة اليونانية مروراً بفلسفات العصور الوسطي وصولا إلى الفلسفات المعاصرة ، فلقد شكل الوعي في تاريخ الإنسانية رابطًا مهما لبلوغ الفكر إلى المحورية والمركزية العقلية التي يشهدها العالم اليوم، لأن الوعي هو المشاركة الذاتية لأجل المشاركة الجماعية " **فالوعي لم يتطور بصفة عامة، إلا تحت ضغط الحاجة إلى التواصل**"[1] لأن عملية التواصل ترتكز على الوعي الإنساني، الذي يحقق لها ميزات إنسانية.

لا بد من فهم محطات التفكير الفلسفي التي مر بها الإنسان، مع التأكيد على أن الفلسفة هي الوحيدة التي تصنع الكيان الأخلاقي والحضاري للأمم والمجتمعات، وهذا ما يميز العقل الفلسفي الخلاق للوعي الذاتي منذ الوجود الإنساني، فبداياته كانت مع الإرهاصات الأولى للتفكير الإنساني، عن طريق طرحه للعديد من الأسئلة حول ما يحيط به هنا يصبح المجال الذي يبحث فيه من اهتماماته ولن تتحقق هذه الغاية إلا من خلال وعيه بما يحيط به، فإذا إنتبه لوجود شيء ما سواءً يتخلل هذا الشيء ذاته أو وجوده، لا بد من فهم المرحلة التي كانت قبل مرحلة وصول تفكير الإنسان إلى درجة من الوعي، لأن تاريخ الفلسفة مر بعدت مراحل والتي بدورها استقبلت الكيان الفلسفي وجعلته يتماشى ويتوافق مع الطبيعة البشرية، فالراهن الفلسفي اليوم هو مرتبط بالتسابق الحضاري الذي كان في فترة مضت من تاريخ الفكر البشري متشتت عنها ولا يعني لها أي شئ.

فالمجتمعات بإختلاف عقائدها ومرتكزاتها جميعها تبعث لروح وأفق جديدة للبحث عن مدى أهمية وجود هذا الإنسان، ومدى تبلور وعيه داخل مجتمعه أو مع المجتمعات الأخرى فجميعها استراتيجيات يجب التطرق لها من الناحية التاريخية، وهذا ما يدعو لوجود

[1]– محمد بهاوي، الوعي واللاوعي، مرجع سابق، ص26

فكر فلسفي خاضع لتجربة إنسانية فإن وصول التفكير الإنساني إلى درجة من الوعي هو دليل على التتبع التاريخي للإنسان، الذي يجد نفسه قد مر بالعديد من المراحل حتي وصل إلى الريادة، فقد كان في كل مرحلة يحاول أن يشكل ويؤسس لإنسانيته.

فهذه الأسس التي يحاول بنائها من خلال وجوده ، ومحاولته التحرر من جميع القيود ومن أهم المراحل التي تشكل فيها الوعي الإنساني هي فترة ما بعد العصور الوسطى التي كانت تعيشها أوروبا، وذلك من خلال الإنجازات التي قدمها مجموعة من الفلاسفة والمفكرين للنهوض بالفكر الإنساني.

فما الحاجة لمعرفة تبلور الوعي الإنساني؟ ومتى يمكن القول أن هذه الفترة قد ساهمت في بناء إنسان جديد بأبعاد جديدة؟ وماهي الظروف المصاحبة لهذا الوعي في النزعة التاريخية من الفكر البشري والفلسفي خاصة ؟ .

مفهوم الوعي:

المدلول اللغوي:

الوعي كلمة تعبر عن حالة عقلية يكون فيها العقل بحالة إدراك وعلى تواصل مباشر مع محيطه الخارجي عن طريق منافذ يستعملها العقل، أو مع تواصل الذات مع الأنا، فهنا تتحقق مرحلة الوعي" **فالوعي لغة هو ما نقصد به حفظ قلب الشيء وعي الشيء، والحديث بغية وعيا، وأوعاه حفظه وفهمه وقبله فهو واعٍ، وعندما نقول فلان أوعي من فلان نقصد بها أن فلان أحفظ وأفهم من الآخر**" [1] فكلمة الوعي تدل على شيء من الجمع والضم ومن هنا إستمدت في المعجم اللغوي كلمة وعاء التي تعني في مدلولها الإحتواء

1- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص4876

والضم والجمع [1]كما جاء في القرآن الكريم " **والله أعلم بما يعون** " [2] وقال الأزهري "**أوعي الشيء في الوعاء يوعيه أيعاء بالألف فهو موعي** " [3] فكلمة الوعي جاءت في اللغة على شكل وعاء، ومن ميزات الوعاء أنه يجمع ويضم.

وفي الحقيقة إن البحث عن التعريف المحدد للوعي هو صعب جدا، لأن الوعي يختلف من حيث مستوياته، ومن حيث تعريفاته لأنه يرتبط بالذات الإنسانية والتي بدورها لها ميزة اللاسكون في المفهوم، وبذلك تعتبر الذات الإنسانية من بين المفاهيم التي لا يجد الوعي فيها مكانا ثابتا، إلا أن هذا لم يحدث سكونا في الفكر البشري، بل حاول العديد من الفلاسفة أن يجدوا ضبط مفاهيميا حسب تاريخ الوعي الإنساني .

كما يمثل الوعي عند العديد من علماء النفس، الحالة العقلية التي يتميز بها الإنسان بملكات المحاكمة المنطقية الذاتية كما يعطونها العديد من التسميات :[4]

الإحساس بالذات :subjactivitty .

الإدراك الذاتي : self-awareness .

الشعورية : sentience .

كلها مصطلحات تؤكد على العلاقة الكائنة بين الإنسان، ومحيطه الطبيعي الذي يحيا فيه وهذا ما سوف نلاحظه و نلتمسه من خلال ذلك الوعي المتبلور في الحضارات الفكرية التي عرفها تاريخ الفكر البشري نتيجة الظروف المعينة التي كانت تعيشها الأمم، إذاً فالوعي

1- نصري هاني يحى، الفكر والوعي بين الجهل والوهم، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر وتوزيع، 1998، ص59.

2- سورة الانشقاق : الآية 23

3- يحى بن شرف الدودي، رياض الصالحين، دار الكتاب العرب، لبنان، بيروت، 2006، ص4877

4 -مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 694

حالة عقلية تؤسسها الحواس الخمس من خلال إرتباطها الوثيق بذلك العالم الخارجي الذي يمثل لها الآخر والذي من خلاله تحقق وجودها وكيانها العقلي.

المدلول الفلسفي :

تطرق العديد من الفلاسفة لتقديم مفهوم للوعي وهذا نظراً للجانب الفعال الذي أحدثه في تاريخ البشرية ونظرا للحالة التي عاشها تاريخ الفكر البشري، نجد أن كل فيلسوف حاول أن يعرف أو يكيف المصطلح حسب ظروفه التي عاشها، وحسب الظروف السياسية التي كانت سائدة في حقبة معينة، نجد على سبيل المثال: **هاملتون*** يعرف الوعي حسب نظرته الخاصة في قوله " **أنه ليس من السهل تعريف الوعي، لأننا إذا أدركنا بأنفسنا لا نستطيع أن ننقل وعينا إلى الآخرين**"[1]، يعني أن تصل الذات إلى وعيها بذاتها الذي بدوره سوف يأخذها لوعيها تجاه الآخر، وهذا ما أدى إلى ظهور نزعات إنسانية تدافع عن حقوق الإنسان، فلولا الوعي لما أدرك الإنسان وجوب المحافظة على إستقلاليته ومسؤولياته تجاه نفسه ومع الآخر الذي يعتبر مرآة لأفعاله.

أما أندريه لالاند يقول أن الوعي" **لا يمكن حد الوعي إنما يمكننا أن نعرف حتى المعرفة ما هو الوعي، و لكنّنا لا نستطيع إبلاغ الآخرين و بالالتباس تعريفا للوعي، مما نكتنفه نحن اكتناها واضحا، إنّ علة ذلك بسيطة هي أن الوعي أصل المعرفة و هو ما نكون عليه أدنى فأدنى عندما نقع وقوعا تدريجيا في نوم لا أحلام.... و ما نكون عليه أكثر فأكثر عندما توقظنا الضجة رويدا رويدا و هذا ما يُطلق عليه اسم الوعي**" [2]. فالوعي عنده هو مجرد تحصيل للمعرفة العقلية التي يري أنها ضرورية

---

* هاملتون كان رجل يمتهن القانون.

1 – ابراهيم مذكور، معجم الفلسفة، مجمع اللغة العربية، القاهرة،1983 ص222

[2]– أندريه لالاند: موسوعة الفلسفة، ، تر: خليل أحمد خليل، ط2، ج1، منشورات عويدات، 2001م، ص ص(211–212.)

لمستقبل أي فكر إنساني لدخوله العالم الراهن، وإقترابه من كل التكنولوجيات الحديثة التي تسعى إلى جعل الإنسان رائداً فيها ،وهو العنصر الأساسي الذي يتحكم في هذه التقنيات وليس خاضعا لها. " **فما هو معروف عن الوعي أنه جملة من التصورات والأفكار المستنيرة التي تتخللها الذات بذاتها وعن إنطلاقها من عالم خارجي، وهذا ما يجعل العالم في إتصال دائم مع الآخر، ومن خلال هذا يستوجب وجود علاقات إنسانية داخل وعاء الوعي، لأن قضية الوعي دوما تقدم لنفسها في شكل مفاهيم وصور**" [1]، لأن مجال تشكل الصور والمفاهيم هو العالم الخارجي وكلما ارتفع عقل الإنسان في إدراك للأشياء، ستخلق قوة في العالم المحسوس، وهنا يكون بذلك بمقربة مع العالم المعقولات وبهذه الطريقة تتسم عملية الوعي العقلي لدى الجميع، كما يعرفه وليام جيمس " **إن الوعي ليس شيئا ملموسا بل إنه سيرورة** "[2] وهذه السيرورة هي التي سيطرة على علم النفس الأمريكي لفترة كبيرة من الزمن.

أما نتشه يعرف الوعي على أنه " **ذلك النمو الأخير والأكثر تأخراً في الحياة العضوية، فهو أقل كمالاً وأكثر غرضة للعطب ...فالكائن البشري هو في الحقيقة يساهم في إلغاء إنسانيته التي تكاد تنقرض من جراء أحكامه الفاسدة**"[3]، لأن وعيه هو الذي ساهم في إفساد الطبيعة والإنسانية، من خلال الإنتهاكات الحاصلة على المجال الإنساني والكوني.

أما بالنسبة للوعي الهيغلى في مراحله المتقدمة من تاريخ الفكر البشري كان متميزاً لكونه يعي جيداً أن تاريخ الأمم والحضارات هو الذي يبلور وعيها ويساهم في تطورها ورقيها إلى الأحسن والأفضل فتتجلى حركة الروح العاقلة في الزمان والتاريخ بأعمدته، فيقول هيغل

1- مونيس بخضرة، تاريخ الوعي مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، (ط1)، منشورات الاختلاف، الجزائر ،(ب،س) ص17

[2] -محمد بهاوي، الوعي واللاوعي، مرجع سابق، ص35

[3]-نفسه، ص39

في هذا السياق " **إن العقل الذي يحكم التاريخ هو عقل واع بذاته يعرف ويعي ويدرك ما يفعل** " [1]، فالحضارة لن تكون ولن تتأسس إلا من خلال التاريخ والعقل، ونعني بالعقل هو الوجود الفعلي لعقل الإنسان الذي يمكنه من خلال فكره أن يدخل في دائرة الوعي، ويحقق به العديد من المكاسب ومن بين تلك المكاسب أن ينهض بالشعوب ويطور في نظرتها وعملها.

فكيف ساهم نشر الوعي إلى الدخول فيما يسمي بالوعي الانساني بانسانيته ؟

إن تشكل الوعي في فترة معينة من الفلسفة هو بفضل تدخل الروح والتي يقصد بها التاريخ يقول هيغل في الوعي الذاتي " **ما ينتظر الوعي الآن هو الخبرة بما هو الروح :هذا الجوهر المطلق الذي يؤلف في حرية الأضداد التامة وفي استقلالها أي وإن انبثق أكثر من وعي بالذات كل منها قائم لذاته، يؤلف مع ذلك وحدتها أنا مكترثة في نحن ونحن مؤتلف في أنا** "[2] فالوعي بالذات يساهم في تشكيل الروح (التاريخ) فالإنسان بوعيه لذاته يحقق ذاته مع كينونته ومع الآخر ومما سبق ذكره قدم هيجل ثلاث مراحل للحركة التي يفهم بها الوعي الذاتي مع الآخرين : [3]

- مرحلة الرغبة .
- مرحلة جدلية السيد والعبد .
- مرحلة الوعي الكوني بالذات .

فالمقصود بمرحلة الرغبة، هي قدرة الإنسان على الإقتراب من الأشياء وفهمها ضمن إطار معين تجعل من الذات واعية، تنتقل من فكرة داخلية إلى الإرتباط والتعلق بالجانب

---

1 – رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، تر: أحمد شيباني، مكتبة بركس ستريم،(ب ب)، 1988 ص 07

2– محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل،ط1،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت،2008،ص167

3– نفسه، ص169

العملي الخارجي، فكلما حاولت الذات أن تجد لنفسها مكان في عالم الأشياء ،وفي الواقع أن الذات هنا تكون أكثر رغبة في التعبير والتغيير.

أما بالنسبة لمرحلة جدلية السيد والعبد نجد الفيلسوف كوجيف يحلل لنا هذه الجدلية بأسلوبه الخاص الذي يتمتع بالمطلقية التاريخية" **إن المفتاح المناسب لقراءة التاريخ البشري الواقعي في هذه المرحلة هي ضرب من التمثيل الواقعي لجدل الوعي الإنساني في مرحلة من مراحل تطوره** "[1]، أما بالنسبة للمرحلة الأخيرة والتي اعتبرت أن الوعي يتأسس من خلال الكونية، نجد أن الذات والموضوع اللذان كانا منفصلان سرعان ما تدخل العقل وأنهى هذا الإنفصال" **فلم يبقي الموضوع بعيداً عن الذات ولا الذات بعيدة عن الموضوع**"[2]، فأصبح العقل محور إهتمام المواضيع العامة التي تشغل حياة الإنسان(الأخلاق، الحياة، القيمة...)، وحتى الذات الانسانية أصبحت تعطي للعقل الأفضلية في تحكيم توجهاتها الحياتية.

إن ما عاشته أوروبا من أزمات* في شتي المجالات وهي تحاول البحث عن ذلك الوعي المفقود، فسمي هذا بأزمة الوعي الشهيرة حيث لم يكن هناك نظام فكري وهذا ما إستدعي منا البحث قليلا في الدفاتر التاريخية للحضارات لكي نؤسس لما يسمى بالوعي الفكري داخل المجتمعات ومع التحديد الكرونولوجيا لفترة العصور الوسطي، " **قبل أن نتحدث عن أزمة الوعي الأوروبي وتمخض هذه الأزمة في نهاية المطاف عن نظام**

---

[1] –محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر المثقفين الهيغليين ، تر: الكسندر كوجيف وإريك فايل، ط1، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت،2008، ص ص(41/39)

[2]– محمد الشيخ ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل، مرجع سابق، ص178

* لقد عاشت أوروبا في فترة القرون الوسطى، طغيان فكري من خلال هيمنة رجال الدين (الكنيسة) على العلماء، وقد كان كل من بيكون وديكارت اللذان انطلقا من فكرة مفادها تخليص العقل الأوروبي من هيمنة الكنيسة إلي التجديد والبحث ، فالفيلسوف بيكون أسس للمنج التجريبي، أما ديكارت فقد عاد للعقل من خلال مقولته المشهورة "بما أنني أفكر إذا أنا موجود" والمقصود بها أنني ما دمت حيا يجب عليا أن أواصل التفكير لأنه التفكير هو الحياة والوجود وهذا ما سمي بالكوجيتوا الديكارتي(أنظر:

Maine de Biran, **Les œuvres complètes**, édition de Victor Cousin, v3, p 410)

الحداثة ينبغي أن نتحدث عما كان سائدا فترة العصور الوسطى "[1]، والذي أدى إلى ظهور فكر جديد يجابه به تلك المعتقدات الدينية الخاطئة التي كانت ضائعة أثناء القرون الوسطى في الكنيسة، التي قامت بمحاربة الفلاسفة والمفكرين وهذا ما نتج عنه خلق فكر جديد أو محاولة البحث عن رؤية عالمية للكون لبعث روح جديدة في أممها التي كانت مضطهدة من خلال الإنتهاكات الممارسة عليها.

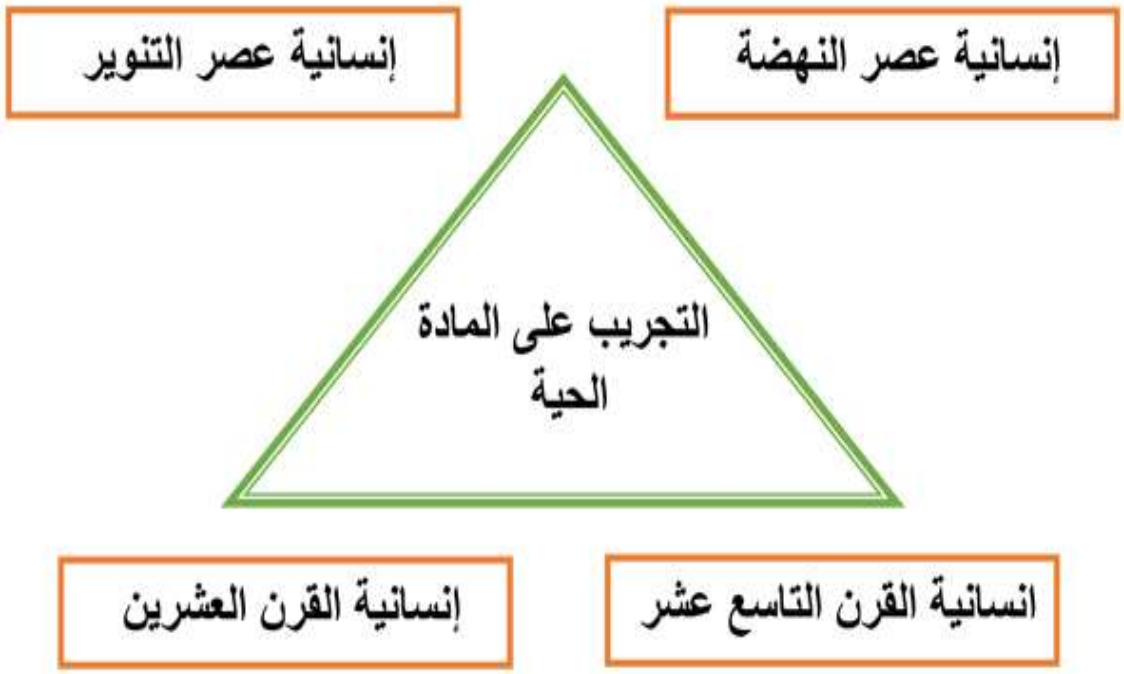

مخطط توضيحي من إنجازي

فقد اتصف عصر التنوير بهيمنة النزعات الوضعية (أوجست كونت) والنزعات المادية، والتي ركزت هيمنتها على الجانب الفكري للإنسان، وحاولت أن توفق بين ما هو جامد وبيولوجي، وبهذا العمل أحدث ثورة في مجال العلوم والمعرفة حيث أصبح الإنسان يرى أنه

1 –هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص 15

شيء قابل للتجريب أو الحساب، بل أكثر من ذلك فقد أخرجت الإنسان من دائرة الصبغة الإنسانية، إلى تأييد المبدأ العقلي وهو ما يقصد به فلاسفة الأنوار التنوير، يعني تنوير العقل ضد الأوهام والظلمات، فتخصيص العقل والدعوى على تشغيله للبحث في الأفق وتطويره للمعارف كلها مجالات نادا بها العقل الأنوارى الذي كان يحارب جميع صفات الظلم العقلي، وهنا نجد مجموعة كبيرة من الفلاسفة الذين أكدوا على ضرورة وضع أسس أخلاقية كوحدة أساسية للبحث عن إنسان واقعي وعقلاني، يستعمل قدراته للوصول إلى المبدأ الحقيقي، وبعث روح اتيقية معاصرة .

ومن أهم مراحل تبلور الوعي في تاريخ الفكر البشري هو تبلور الوعي السياسي لدى الحضارات مما أدى إلى بعث روح جديدة في العالم، من خلال ما قدمه فلاسفة العقد الاجتماعي متمثلا في (جون جاك روسو، جون لوك، هوبز)*، فكيف ساهمت فلسفة الأنوار في إخراج الإنسان من سلطة الكنيسة إلى المساهمة في البناء الحضاري؟

* فلاسفة العقد الاجتماعي : ان مرحلة الاعتراف بالانسان بوصفه كائنا اجتماعيا في مقابل أنسان الطبيعة المجردة (أنظر: لويس دمون، مقالات في الفردانية، تر: بدر الدين عردوكي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص139)

عصر التنوير والبحث عن إنسانية الإنسان:

لقد مر مفهوم تطور الإنسان عبر الحضارات بالعديد من المراحل التي ساهمت في تكوين هذا الإنسان والتي عنيت به كماهية وكأصل، ونجد أن تاريخ الفكر البشري مليء بتلك الإختلافات التي كانت تنظر للإنسان منذ بداياته وعلى درجة إختلاف الفلاسفة في آرائهم إلا أنهم أكدوا أن للإنسان قيمة إنسانية ،وهذا ما حاولت الفلسفة التنويرية أن تسعي إليه من خلال الثورة التي قامت بها ضد الكنيسة التي سيطرت على الفكر الإنساني ، " **قبل أن نتحدث عن أزمة الوعي الأوروبي، وتمخض هذه الأزمة في نهاية المطاف عن نظام الحداثة ينبغي أن نتحدث عما كان سائداً في فترة العصور الوسطى**"[1]، لقد عاشت أوروبا أزمات* في شتى مجالات الحياة، فقد حاولت من خلالها البحث عن الوعي المفقود، وهذا ما يسمي بأزمة الوعي الأوروبي.

لم يكن هناك نظام فكري موحد، ولا منظومة أخلاقية، لكن كانت هناك سيطرة وهيمنة من طرف رجال الدين، وتضييق الخناق على العلماء والمفكرون، فإن تدني الوضع في تلك العصور، كان يمس جميع النواحي الإقتصادية والسياسية، فالدولة كانت تعاني من ذلك التهميش المسلط عليها من طرف رجال الكنيسة، والأمر نفسه كان بالنسبة للمجال الفكري الذي شهد ركوداً كبيرا، وعدم قدرته على مواكبة ذلك الركب الحضاري الذي كانت تتمتع به

---

1 –هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص15

* لقد عاشت أوروبا في فترة القرون الوسطي، طغيان فكري من خلال هيمنة رجال الدين (الكنيسة) على العلماء، وقد كان كل من بيكون وديكارت اللذان انطلقا من فكرة مفادها تخليص العقل الأوروبي من هيمنة الكنيسة إلي التجديد والبحث ، فالفيلسوف بيكون أسس للمنج التجريبي، أما ديكارت فقد عاد للعقل من خلال مقولته المشهورة "بما أنني أفكر إذا أنا موجود" وهذا ما سمي بالكوجيتوا الديكارتي (أنظر: محمد عبد الرحمان بيضاء، تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، منشورات المكتبة العصرية، ط3، بيروت، (ب س)، ص82

الفلسفات الإسلامية، خاصة عندما حاولوا أن يخلقوا نهضة تناسب معتقداتهم الفكرية، كل هذا زاد من تأزيم الوضع الذي كان سائداً في أوروبا.

فقد حاول الفلاسفة البحث عن منفذ يمكنهم من تجاوز هذه المرحلة، وهذا ما أطلق عليه بالوعي المفقود داخل الحقل الإنساني، فلم تكن هناك قواعد ترسوا عليها الحياة، كل ما كان في الأمر أن الحياة كانت شبه بدائية متخلفة، وهذه الحاجة دعت العديد من فلاسفة التنوير أن يحاولوا الخروج من هذا الوضع الذي بات يؤرقهم.

مع العلم أنه لم توجد دراسات مؤسسة في ذلك الوقت التي توضح بشكل جلي ما كان يحدث " **نجد أن الطبيعة اليونانية والرومانية إمتدت من القرن 5 ق م، ما يزامن عصر سقراط ،إلى القرن 5 بعد الميلاد (تاريخ إنهيارالحضارة الرومانية وإنتصار الحضارة المسيحية، ثم جاءت بعدها طبقة العصور الوسطى التي إستمرت منذ سقوط الحضارة الرومانية ،في الغرب عام 486، ثم توالت طبقة أو الحداثة التي لاتزال منذ أربع قرون إلى حد الساعة** " [1].

إن مجيء ديكارت René Descartes* وبيكونFrancis Bacon **كان بمثابة نقطة تحول في القرون الوسطي، وبداية الفلسفة الحديثة، لأن ديكارت أسس للمنهج العقلي الذي يعمل على البحث عن غايات علمية، عن طريق استدلال العقل يقول أن " **الفكر الذي هو خاصية العقل مستلزم لعمله الذي يقوم به وهو التفكير، ولكن هذا التفكير لا يفسر شيء عند ديكارت سوى شعوره المجرد بوجود نفسه، فهو نوع من الوعي الملازم للعقل كملازمة الإضاءة للضوء**"[2] ديكارت عمل على تحرير العقل من جميع القيود التي كان يعيشها في

---

[1]–هاشم صالح ،مدخل إلى التوير الأوروبي، مرجع سابق ،ص ص (20،25)

* فيلسوف فرنسي ولد 31مارس 1596، وتوفي سنة 1650، لقب بأبوا الفلسفة الحديثة.

** فيلسوف إنجليزي ولد 22 أبريل 1561، وتوفي سنة 1626، كان كاتب دولة وفيلسوف وكاتب.

[2]– محمد عبد الرحمان بيضاء ، تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، مرجع سابق، ص92

العصور الوسطي وخاصة سيطرة الكنيسة، ولذلك ميز بين العقل والتفكير في قضية تحرير الإنسان .

إن الفكر عند ديكارت كان مرهونا بالوجود في مستويين يمدان الإنسان بالوعي، لأن إستمرار الفكر هو إستمرار الوجود، وبما أن الإنسان دائما يفكر بشكل طبيعي في جميع الأشياء التي تحيط به والتي تحفظ بقائه فهو يعي مدى أهمية الحياة بالنسبة له، وبطبيعة الحال يكون موجود في حالة ما وإذا إنقطع عن التفكير فسوف نلغي عليه صفة الوجود ولذلك إعتبر ديكارت أن الفكر مهم في الوعي الإنساني، ودعى إلى إتباع الخطوات المنهجية العقلية، التي يمكنها أن تكون فعالة بالنسبة لنا إجتماعياً وحضارياً في المستقبل ولذلك يري ديكارت أن " **الفكر هو حالة من الوعى والوجدان، قد نخطئ في موضوع فكرنا وقد نصيب وفي كلتا الحالتين، نحن نفكر أي أن طبيعتنا تنطوي على الفكر في جميع حالاته**"[1].

الوعي الفردي وتأسيس نزعة إنسانية عالمية:

قبل أن نبدأ في تعريف النزعة الانسانية يجب أن نعرج على الظروف التي سادت فيها ظهور هذه النزعة، والغايات التي جاءت لأجلها، لقد تميز" **تاريخ البدايات بطابعه الإنساني الشامل إذ أن هذا التاريخ يشمل البشرية برمتها، والقضايا التي يطرحها تهم الإنسان بصفته إنسانا** " [2]، وهذا مكان يلغي مرجعية الإنتماء، أو حتى المعتقد الروحي بل إن الصبغة الإنسانية التي كانت مفقود في طبيعتها، وموجودة في العهد القديم شكلت نزاع حاداً بين أبناء البشرية، ولذلك تأكدوا أن ما أنتجته البشرية من نزعات تهتم بالإنسان وتؤسس لغايات اتيقية كانت بمثابة النقلة الأساسية لفكر، اهتدى للبحث أن الإنسان خلاق لإنسانية متميزة. ومن بين الأمور التي عني به العهد القديم هي التي تثبت أن الإنسان كان من بين

[1]– عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية،(ب ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر،(ب س)، ص199

2 – روبير بندكى، الثراث الإنساني في الثراث الكتاب، (ب ط)، دار المشرق، بيروت، (ب س)، ص29

إهتماماتها بصرف النظر عن بعض المعاملات لبعض الأشخاص اللذين لم يفهموا النصوص المقدسة فنجد مثلا أن:" **إشكالية الشر والألم تهم الإنسان بصفته إنسانا** " [1]، فما كان مخيف في هذه المسألة أن يخرج الإنسان عندما يصبح إنساني عن طاعة الخالق من خلال تمسكه بالحرية، فمخافة من أن ينشئ صراع بين الخالق والمخلوق وهذا ما فسروه بسوء إستعمال الحرية كتمرد وقتل وفساد، كلها صفات ذميمة أكد الكتاب القديم على توخيها وعدم الوقوع فيها. فقد وصف العديد من الفلاسفة أن تاريخ الفكر الفلسفي اليوناني في بداياته كان إهتمامه ينصب على الكون فقط .

لقد تطورت أوربا من خلال معادلة إنسانية، كان الإنسان هو العنصر الأساسي فيها " **ومن بين الظروف التي أدت إلى تطور قيام النهضة الأوروبية هي تطور النزعة الإنسانية وانتشارها في مختلف أنحاء أوروبا** "[2]، وهذا ما جعل أوروبا تزدهر وتتطور، عما كانت عليه في السابق بإهتمامها بإنسانية الإنسان، فقد طورت من مناهجها ومباحثها، لأجل أن يعيش الإنسان في حرية، ويستطيع التعبير عن هويته، التي كانت مفقودة في فترة العصور الوسطى.

بالإضافة إلا أن جل القوانين الإنسانية التي حاول الإنسان إرساء قواعدها، وتفعيلها من خلال الخطابات أو حتى القوانين، هي في الحقيقة حق إنساني سماوي وهذا ما تقر به كل الرسالات السماوية من الناحية الأخلاقية " **أن أصل القوانين الإنسانية سماوية وأنها مرتبطة بقوانين الآلهة ومن ثم لا ينبغي للناس أن يبدلوا فيها أو أن يغيروها** " [3] لأن الأحكام التي يقرها الكتاب الرباني تضل أحكاماً صحيحة في غايتها، وحتى من ناحية مبدئها ولذلك نجد أن الإنسان المعاصر يسعي للمحافظة على مجموعة الأحكام والقوانين السماوي

---

1 – روبير بندكي، الثراث الإنساني في الثراث الكتاب، مرجع سابق، ص38

2–هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق ،ص 69

3 – أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية مشكلاتها ومذاهبها، ط1 ،دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 68

إما من خلال تأسيس لجان اتيقية أو حتى إعطائها صبغة فلسفية تبحث عن غاية الإنسان في الحياة، لكونه المحرك الأساسي لهذه الحياة ولذلك إهتم به البحث في جميع الميادين .

مفهوم الإنسانية :

يعود أصل كلمة هيومانيزم نجدها أنها تتركب في مفهوم HOMME والذي نقصد به الإنسان في اللغة اللاتينية، وهذا الإنسان الذي ظل يعاني طيلت العصور الوسطى والفلسفات السكولائية والخطابات التي كانت تفقده الروح الإتيقية وحتى الحوارية، ولذلك ظل عقل الإنسان يبحث عن طريقة تخرجه من هذه الأزمة الخانقة وهذا ما يعرف في تاريخ الفكر البشري بحركة التنوير الغربي أو الأوروبي" **لقد اشتقت في اللغات الأوروبية منذ القرن السادس عشر بالتحديد عام 1539، أما كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الإسم أو المصدر HUMANISME فلم تشتق إلا في القرن التاسع عشر، فيجب أن نفرق بين الصفة والإسم فيما يخص هذا المصطلح الشهير في تاريخ الفكر الإنساني والإنسي**" [1] فهذه النزعة الإنسية ومدلولاتها هي التي تتكلم عن الحرية وتبحث عن الكرامة الإنسانية المفقودة، التي كانت الشعوب تبحث عنها في العديد من الخطابات والسياسات التي سائدة في ذلك الوقت.

أما أندريه لالاند يعرفها في قاموسه الفلسفي " **على أنها مركزية إنسانية متروية، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه وإستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لحقائق ولقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال إستعماله إستعمالا دونيا، دون الطبيعة البشرية**"[2] فالمعرفة الإنسانية هي التي ساهمت في تحرر أوروبا من السلطة التي كانت تمارسها الكنيسة عليها، إلى البحث عن مجال للعلم

1- هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص 75

2- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ص569

ومبادئه، إذاً إن البحث عن الكيفية التي يمكنها إخراج الروح والعقل من سلطة الدين، التي كانت تقر أن الدين ورجاله هم من يملكون المعرفة الحقيقية والنهائية، فهذا ما حاول كل من مارتن لوثر وكالفن فعله وذلك بإخراج الإنسان من السيطرة إلى إعترافه بذاته وبالآخر وبهذا يصبح الإنسان محور إهتمام الفلسفات الإنسانية .

أما تزامنا مع الفلسفة الإسلامية نجد أن الخطاب الإسلامي عرف هذه النزعة الإنسانية من خلال سابقيهم الذين أسسوا لمفهوم الحرية والعقيدة التوحيدية التي كانت تنادي بأن يعيش الإنسان حرا ويكون متمتعا بكل مستلزمات الحياة ونجد في هذا المجال بيك الميراندولي الذي يقول" **قرأت في كتب العرب بأنه لا يمكننا أن نرى شيئا أجمل ولا أروع من الإنسان** "[1]،فالإنسان كان محور إهتمامهم لأن القرآن الكريم جاء صريحا في تكريمه للإنسان وللإنسانية جمعاء من دون تفضيل أو تمييز عرقي.

و بالنسبة لمحمد أركون فان كلمة Humanisitas اللاتينية تماثل من حيث المعنى فهذه الكلمة تعني :وجود ثقافة كاملة ومتكاملة لا يعتريها النقص أي تلم بكل شيء، إنها ثقافة تحتوي على كل المعارف والعلوم، وتتجسد في شخصيات تتميز بالأناقة المرهفة، والزي الحسن[2] فالصورة التي ركبها محمد أركون على كلمة هيومانيزم ، "...**بإختصار إنها تتميز بمراسم صارمة ودقيقة في العادات والسلوك، وهي مراسيم تهدف إلى توفير الخير الأسمى عن طريق تنمية الامكانات، الجسدية والمعنوية والثقافية للفرد ومساعدته على التفتح والازدهار**"[3] فالإنسانية عند الفيلسوف هي حياة جديدة منبعها أخلاقي محض، من خلال القيم الإنسانية التي تدعوا لها .

---

1 – هاشم صالح، مدخل إلي التنوير الأوروبي، المرجع السابق،75

[2]– محمد أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، تر:هاشم صالح، ط1، دار الساقي، بيروت، 1998،ص10

[3] – نفسه، ص12

" **إذا النزعة الإنسانية هي جملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة الأفراد النوع البشري التي تصدق عليهم تلك الصفات الإنسانية، من خلال تكوين كائن إجتماعي يتطور ويرتقي عبر الزمن** "[1]، وقد أطلق مصطلح الإنسانية على عدة حركات وتوجهات قامت كلها في أوروبا " **ومن أبرز أعلامها إبراز موس وتوماس مور، فقد كانت تدعوا إلى إعادة الكرامة الإنسانية والقيمة** "[2]، وأكدت على سمو ذات الإنسان من خلال تمسكها بمنطق العقل الذي يمثل الدعامة الأولى لمرجعتيهم الفكرية، وتعتبر كحركة فكرية إنتشرت في أوساط الطبقة المثقفة الأوروبية، بإختلاف تخصصاتهم سواء كانت أدبية أو حتى علمية إلا أن أساسهم أو هدفهم كان جلي وهو الظروف التي كانت سائدة في القرن الـــ16 للميلاد ما يسمي بعصر النهضة وما شهدته من إختلالات على المدى الإنساني .

مع النزعة الدينية الإسلامية التي أسست للمفهوم من خلال الخطاب الديني الإسلامي، يقول كورليس لامونتCorliss Lamont * (1902، 1995) في كتابه الفلسفة الإنسانية **THE PHILOSOPHY OF HUMANISM** " **أن هذا العالم بحاجة ماسة للحاجة الإنسانية** " [3] فالإنسانية في معناها العام، هي التي تسعى للوصول إلى الحقيقة من خلال العودة إلى العقل، يقصد أن العالم لا يمكن أن يكون إلا بعد البعث فيه روح اتيقية ويكون عالم مريح وعالم مكتمل في ظل وجود علاقة ثلاثية بين ثلاث عناصر أساسية هي : الأخلاق، الإنسانية و الحياة، وبرجوعنا لهذه الثلاثية نجدها أساس الوجود الإنساني، لأن الأخلاق هي التي تمدنا بالجانب القيمي الذي نحافظ به على إنسانيتنا وإنسانية المجتمعات العالمية، والحياة لن تكون مريحة إلا إذا وصل العالم إلى إنسانية عادلة

---

1 – ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص32

2 – مصطفي حسيبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 104

* فيلسوف أمريكي ولد سنة 1902، وتوفي سنة1995 من اهم كتاباته الفلسفة الإنسية.

3– Corliss Lamont, **The philosophy of humanism**, Eighth edition, 1997, p7

لا محدودة، ويؤكد هانس يوناس بقوله " **أن الإنسانية الشاملة هي التي أصبحت معياراً وليست مرجعا، إنني أضطلع بالإنسانية القادمة التي لن تقدم لي البداهة أية منحة وهذه اللامبالية تشكل عنصرا مميزا مادام واجبي ليس البتة بالصورة المقلوبة لواجب آخر**" [1]، فالمعيار الحقيقي للإنسانية يكمن في أن يعيش الإنسان في ظل إستقلاله الذاتي والفردي من أي إعتبارات إيديولوجية يمكن أن تحد من ذاته(إنسانيته)، وهذا ما يضفي إلى تبرير مبدأ الحرية كشرط وكغاية أساسية لإستمرار الفرد في الحياة الإنسانية .

يرى عبد الرحمن بدوي أن هذه" **النزعة تحتل فكرة الإنسان الكامل أو الإنسان الأول أو مركز الصدارة** "[2]، فنجد أن هذه النزعة الإنسانية كانت نزعة خالصة وإنفرادية تبحث عن إنسان يتمتع بشخصية تحررية من جميع القيود العقائدية، ولقد وصف العديد من الفلاسفة فلسفة الأنوار بأنها فلسفة النهضة وفلسفة القرن التاسع عشر لأنها أخذت بعد إنساني يقال عنها " **أنها فلسفة النسق والإنسان المهذب** "[3]، وهذا ما هدفت إليه النزعة الإنسانية بتحقيق مثل عليا للكمال الإنساني في كافة المجالات : سواءًا كانت أخلاقية أو فنية فهذه الحركة تعتبر حركة متفائلة بالنسبة للإنسان في جميع النواحي والإتجاهات، فهي تؤمن بالقدرات التي تكمن في الإنسان من إبداع وتألق ومحاولة الوصول بهذا الإنسان إلى الكمال المطلق خاصة في الجانب الأخلاقي، يرى عبد الرحمن بدوي أن " **النزعة الإنسانية الأوروبية تقوم في جوهرها على أساس الشعور العالي بأن العالم الإنساني الحقيقي يقوم**

---

[1] – جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، ط1،عويدات للنشر والطباعة،لبنان،2001، ، ص82

[2] – محمد عبد الرحمن بدوي، الانسانية والوجودية في الفكر العربي،(ب ط)، الناشر وكالة المطبوعات ودار القلم، لبنان، 1982،ص33

3– مصطفي حنفي، مقالة (إنسانية الأنوار أو خطاب العقل والحرية) ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية وكرسي اليونيسكو للفلسفة في العالم العربي، قسنطينة، (ب س)، ص 229.

في الإستقلال المطلق للعقل "[1]، ويمكننا أن نجمع المبادئ التي نادى بها المذهب الإنساني وهي:

- الإستجابة لحكم الفرد الخاص ضد سلطة الكنيسة وتأكيدها على قدرة ظهور الدولة القومية.
- محاولة ديكارت نشر الوعي الفكري والبعث على إستخدام العقل الإنساني.
- التأكيد على أن الشرور والنقائص التي إعترضت طريق الإنسان لم يكن سببها الخطيئة كما تقرر النصرانية، وإنما كانت نتيجة النظام السائد الذي همش الإنسان وضيق الخناق عليه مثلما فعلوا مع غاليلي .
- البحث عن الحرية الفردية في ظل دولة مستنيرة .
- البحث عن الإنسان الكامل من خلال وضع محاولات يمكن أن تدعم الإنسان وتفك عقله من كل تلك المعتقدات الخاطئة.
- وعي الإنسان بذاته والبحث عن إستقلالية فردية يحقق بها كرامته وكينونته الضائعة .

يوجد العديد من الفلاسفة الغربيين اللذين يرجعون أن أصل الإنسانية كانت مع الفلاسفة الأوربيين، ولكن محمد أركون يوضح ذلك ضمن الكتابات التي جاءت بها الفلسفات العربية والإسلامية " **يرد عليهم في مقدمته لنيل شهادة الدكتوراه عام 1969 حيث أكد على أن العرب والمسلمين وحتى الإغريق كانوا سباقين في هذه النزعة الإنسانية فالجاحظ مثلا وإبن مسكويه والتوحيدي وغيرهم، قدموا دراسات تثبت ذلك، بل أكد على أن حتى الغربيين هم من تعرفوا على هذه النزعة الإنسانية نتيجة الفتوحات التي قاموا بها وترجمتهم للعديد من المصادر العربية التي كانت تصل إليهم** "[2]، إن كل ما قدمته فلسفات

[1]– محمد عبد الرحمن بدوي، الانسانية والوجودية في الفكر العربي، مرجع سابق، ،ص30

[2] – محمد اركون، الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، تر :محمود عزب، ط1، دار الطليعة،بيروت،2006،ص29

التنوير والإسهامات العديد للفلاسفة أكدت على الإهتمام الكبير بالإنسان من ناحية إنفرادية ومحاولة خلق إنسان معاصر، يبحث في الإنطولوجية التي تمثل المحور الأساسي لخلق إنسانية تؤسس من خلالها كرامة وحرية لهذا الإنسان الذي كان يعيش عصورا تحت الظلام والتهميش، فنادت الفلسفات المعاصرة إلى إنسان متفتح على اللآخر.

نجد أن الإنسان أصبح يفكر وبشكل أكثر حماسا في بعث روح أخلاقية جديدة فتعتبر مسألة النزعة الإنسانية ونواحي تبلورها في شاكلة الوعي الإنساني من بين الظروف الأساسية التي شكلت وعياً فكريا عن طريق تطور الحضارات والأمم من خلال التفكير الإنساني ولذلك ظل الإنسان يبحث عن كينونته داخل هذه المجتمعات التي تحقق له إنسانيته فكما يورد عبد الرزاق الداوي في كتابه موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر مقولة للويس فيرى " **إن مسألة النزعة الإنسانية، هي بدون شك المسألة المركزية في الفلسفة المعاصرة** " [1] لأنها حاولت أن تجعل من الإنسان هو مركز الكون، وهو الغاية المطلقة في البحث عن الوجود، بعدما كان يخضع لتفسيرات اللاهوتية التي كانت تمارسها الكنيسة في فترة القرون الوسطي .

لحظة ميلاد الأنوار :

إن لحظة ميلاد الأنوار كانت هناك ضجة فكرية كبيرة حول إمكانية خلق عصر الأنوار جاءت ليوطد العلاقة بين الآخر، بإشراف الغير مع الذات يشكل لنا وعاء تواصل لضمان إنسانية الإنسان وهذا ما جاء مع النزعة الإنسانية التي تمخضه عن ظروف مست العديد من المجالات في حياة الإنسان فبعدما كان الإنسان يعنى به من داخل الجماعة كما كان في الفكر اليوناني والمسيحي، وهذا ما تجسده العديد من الكتابات الأفلاطونية مثل الجمهورية والمدينة الفاضلة للفارابي، فقد كانت نقطة فاصلة في مجال هذا الفكر الجديد .

1- عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، (ب ط)، دار الطليعة، بيروت، (ب س)، ص5

فالتنوير هو إتجاه فلسفي إجتماعي، حاول ممثلوه أن يصححوا تلك النقائص والمعتقدات الدينية التي كانت تتبناها الكنيسة في ذلك الوقت، وأن يحدثوا قطيعة في العديد من المجالات من بينها إعادة تشكيل أسلوب جديد للحياة من خلال نشرهم لآراء في الخير والعدالة والمعرفة العلمية، ويمكن أن نؤكد على أن الوعي لعب دوراً أساسياً في تشكيل التنوير الأوروبي، فيقول Roland Mortier رونالد مورتير "**إن القرن الثامن عشر هو أول عصر في التاريخ يشعر بذاتيته، وكياناته، ووحدته، كما أنه يشعر بأنه مكلف بتأدية رسالة مهمة للبشرية هي : التنوير**"[1] إن تحرر البشرية عن طريق البحث ومسايرت العلوم في أعلى مراتبها، لهو أكبر دليل على عصر جديد إنبثقت فيه صيرورة نمو متواصلة ومتزايدة ، بفضل العديد من الفلاسفة الذين كانوا يعانون من القتل والتهميش الفكري في فترة القرون الوسطي* .

الأحداث التي شهدتها الكنيسة في سيطرتها على الإنسان وفكره، بدعوى أن الدين لأي قابل العلم بل أكثر من ذلك،وهو أن العقل لا يجوز له أن يتدخل في أمور الدين فمن حيث هذا المنطلق وجد الإنسان الأنواري نفسه يكافح لأجل الوصول إلى مبتغاه العلمي والفكري.

ترى نورة بوحناش أن الفلسفة الكانطية " **لقد أثبتة أن التنوير هو التأكيد على المبادرة الحرة التي لا يسبقها توجه سوي توجه العقل نحو ذاته**"[2] يبدوا لنا أن كانط Emmanuel Kante **عمل على إدخال المبادرة الإنسانية من خلال الواجب الذي كان مزيجا كانطيا

---

[1]– هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص138

* خلال العصر الوسيط كله، وقسم كبير من عصر النهضة، مثلث الكنيسة السلطة الفكرية المهيمنة على كل أوروبا، وعلماء أوروبا في العصر الوسيط، كان رجا الدين يغلقون منافذ العلم ، فحتى الجامعات كانت تابعة للكنيسة ، حتى حدود القرن العاشر ميلادي، حارب آباء الكنيسة كل معرفة دنيوية معتقدين أن العلم يتعارض والنصوص الدينية أنظر (سالم يفوت، الفلسفة والعلم في العصر الكلاسيكي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت،1989،ص ص 22/21)

[2]–نورة بوحناش، الأخلاق والحداثة، ط1، افريقيا الشرق، المغرب، 2013،ص 98

** فيلسوف ألماني ولد سنة 1724، وتوفي سنة1804، أهم أعماله (نقد العقل الخالص، والدين في حدود العقل وحده).

ومسيحيا، فهذا توجه جديد يدعوا إلى الفيلسوف من خلال إرساء قواعد العقل الذي يعمل على تخليص الإنسان.

إن نتيجة تطور مجتمعاتهم وقد كان فلاسفة التنوير يوجهون، مواعظهم إلى جميع طبقات المجتمع، وخاصة إلى أولئك المتمسكين بالسلطة، وكان التنوير ينتشر في فترة الإعداد للثورة البرجوازية، ومن مفكري التنوير (فلاسفة العقد الاجتماعي، مونتيسكيو، هيردر، ليسنج، شيلر، غوته ....) فنشاطهم كان محاولة قطع النفوذ الذي كانت تتميز به الإيديولوجيا الكنيسة والإقطاعية ومناهج التفكير المدرسة السكولائية لأن " **العقل البشري لم يتحرر من اللاهوت، الديني المسيحي، دفعة واحدة وإنما على دفعات وتشهد على ذلك بشكل ساطع**"[1]. فلقد ساد في عصر التنوير، نزعة يمكن القول أنها كانت تتحكم في الإنتاجات الفلسفية والعلمية للعلماء؛ وذلك نتج عن خوف الكنيسة من إنتشار الوعي في المجتمعات وهذا ما كان يهدد مصالحهم في دولة الكنسية، فما حدث مع نيوتن في الأنوار هو نشر للوضعية المادية؛ من خلال تفكيره في الكائنات الحية أنها تتشابه مع المادة الجامدة، وذلك ما ينتج عليه إمكانية تطبيق القوانين الفيزيائية داخل هذا الحقل الإنساني، لغرض تطوير العلم والحياة الإنسانية للأفضل والأحسن، ومن هنا كانت البداية الفعلية للتجريب عن المادة الحية (الإنسان)، فتم إخضاعها لمبدأ الحتمية، وهو دراسة الظاهرة على أنها ظاهرة فيزيائية خالصة.

فهذه النظرة النيوتنية في الحقيقة للعلم والحياة، أدت إلى إعادة صياغة المفاهيم الإنسانية وإلى إعادة النظر إلى هذا الكائن الحي (الإنسان) الذي لديه خصوصية معقدة قليلا فالإنسان الذي كان في السابق لا يجوز المساس به وذلك بالمحافظة على كرامته وحرياته أصبح اليوم يتعرض للعديد من التجارب العلمية، وهذا ما أخضع الإنسان للمنهج التجريبي

[1]– هاشم صالح ، مدخل إلى التنوير الأوروبي، مرجع سابق، ص140

أولاً وللبحث العلمي ثانياً، فقد كانت دعوته صريحة في إعطاءه الحرية الكاملة بلإبتعاد عن الظواهر التي كانت تعيق عنه الإندماج في التجارب والأبحاث العلمية .

فقد تميز الفكر الأنوارى بتمجيد للعقل الإنساني، كنزعة جديدة يحاول بها الفكر الفلسفي الخروج من تلك العصور الوسطى التي كانت تسيطر فيها الكنيسة على الإنسان وتقيد جميع حرياته سواءً كانت فكرية أو سياسية " **إن أزمة الفكر المتطور هي في الجوهر أزمة الفكر الحديث للعقل، فنقد الأشراف والكنيسة والدولة والدين، بإسم العقل وعصر الأنوار كان ملحا منذ القرن الثامن عشر، إلا أن هذا النقد إنتهى أخيراً بنقد العقل** "[1]، إن الإنتقادات التي وجهت للفكر الوسيط، هو إهماله وعدم إعطاء العقل البشري الدرجة الأولى في التفكير لإخراج الناس من الأزمة التي كانت أوروبا تعيشها، الأزمة التي حاول الفلاسفة الإنطلاق منها، سرعان ما وجدوا أنفسهم فيها، وهذا ما نجده في كتابات كانط عند نقد للعقل الخالص؛ فالعقل الذي كان محل إهتمام ونقاش قدمه كانط بشكل من الجدية التي تحاول أن تبني مستقبلا تنويرياً ، أما بالنسبة للجانب العلمي اليوم لا يخفي علينا أن بوادر الأخلاق التطبيقية كانت شذراتها مع الفكر الأنوارى وذلك من خلال تمجيد الفكر التطبيقي في حياة الأفراد، ونشر الحرية الذاتية فقد " **كان للفكر الفلسفي الأنوارى أثر واضح في نشأة الفكر البيوايتيقي وتبلوره، ويتجلى ذلك فيما تميز به ذلك الفكر من إعلاء لقيمة العقل كوسيلة فعالة للبحث والإستكشاف من جهة ولحل مشاكل الإنسانية من جهة ثانية** "[2] وهنا يتفق العقل الإنساني من حيث الغاية (الايتقية، والعلم) أن الإنسان والعقل الإنساني، هما دائما محور إهتمام الفلاسفة؛ وهما البوادر الأولى لبعث حياة وواقع تقنوطبي يمجد الأخلاق التطبيقية.

---

[1]– هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي دور الديانات في السلام العالي، تر:جوزيف معلوف ,اخرون، ط1، (ب دار نشر)، بيروت،1998 ،ص39

2 – عمر بوفتاس، البيواتيقا، مرجع سابق،ص ص(36/35)

لقد إهتم الإنسان كثيرا بجانبه القيمي من حقوق وحريات وكرامة، لأنه في فترة معينة كان يعيش تهميشا ونزاعا أدى به إلى الوحدانية، خاصة ما شهده العالم من تأزم في الوضع السياسي أثناء الحربين العالميتين، ولذلك نشأت العديد من الجمعيات الخيرية والمؤسسات العالمية التي جاءت للتعبير عن حقوق الإنسان محاولة أن تضمن له الأمل في العيش الكريم من خلال حفظ كرامته، والإبقاء على خصوصيته التي يتميز بها عن سائر المخلوقات، ونجد من بين هذه المواثيق الدولية* التي ساهمت في بناء هذا الإنسان المتحضر فكرياً وإجتماعياً ،" **فقد رفع الفكر الأنواري شعار الحرية وفكرة حقوق الإنسان وشعارات أخرى مناهضة للفكر الإنساني، من حرية وكرامة، وللبحث عن ذلك الآخر الذي يمثل صورة الذات الإنسانية، فإن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948 يعتبر الميلاد الفعلي لها**"[1]، فقد كانت الإنسانية نقطة فاصلة في مجال هذا الفكر الجديد وهو " **خروج الإنسان من قصوره الذي هو نفسه مسؤول عنه، قصور يعني عجزه عن إستعمال عقله دون إشراف الغير، فقصوره هو نفسه مسؤول عنه لأن سببه يكمن ليس في عيب العقل** "[2] ، فلا يمكن القول أن الفكر الأنوارى وقع صدفة بل كان نتيجة ظروف مهدت لها أوروبا لفترة من الزمن وحاولت من خلالها أن تجعل الانسان يعيش حريته وكرامته وحتى شعوره بذاته.

* في الفصل الثالث سوف نستعرض بعض المواثيق الدولية التي أقرت بمبدئ الكرامة الإنسان.

[1]– أحمد عبد الحليم عطية وآخرون، الأخلاق التطبيقية، دفاتر فلسفية، العدد09، جامعة الزقازيق، 2015، ص110

[2] – ناصيف نصار، مقالة بعنوان: كانط والغزالي إشراف عقلاني أم تنوير عقلاني؟)، مجلة أوراق فلسفية، العدد11، القاهرة، 2004، ،ص221 .

الفصل الثاني

الكرامة الإنسانية بين الدين والفلسفة

المبحث الأول : مفهوم الكرامة الإنسانية

المبحث الثاني: الكرامة الإنسانية في الأديان السماوية

المبحث الثالث: الكرامة الإنسانية في الفلسفات المعاصرة

لقد إستمر الإنسان منذ القديم في البحث عن قيمته الإنسانية، داخل المجتمعات بغرض الوصول إلى حقيقة ذاته وهويته، التي لطالما أرقته في مسيرته الحياتية، إلا أن محاولاته كانت في كل مرة تجد عائقا فكريا أو إبستيماً، يعيق وصوله إلى مبتغاه العلمي إلا أنه أبى التنازل عن حقه في الحياة، وذلك بمطالبته بحريته، وكرامته، وحقه في تقرير مصيره.

ولكن سرعان ما وجد الإنسان نفسه داخل حقل تجريبي، تمارس عليه جل التقنيات البيوطيبية والبيوتكنولوجية، بعدما أصبح العلم أكثر تجريباً مما كان عليه في السابق، فوجد الإنسان نفسه حبيس التقنيات بل أكثر من ذلك، أصبح عنصراً أساسياً في عملية التجريب فالإنسان الذي كان يبحث عن قالب اتيقي يضمن له حقوقه، زادته العلوم التجريبية المعاصرة تأزماً فأصبح عنصراً لا يقل أهمية عن المادة الموجودة في الكون.

إن العلاقة بين البشر أصبحت علاقة بيولوجية بالدرجة الأولى، وهنا حدث الشرخ العلمي والفلسفي، فنجد العالم التقني اليوم يشهد العديد من التغييرات في جميع المجالات الحياتية ، حيث أصبح المعيش اليومي يخضع للعديد من الأسس التي يجب أن تكونها عليها العلاقات بين الأفراد، لأن الإنسان بحاجة ماسة أن يؤكد على ذاته أولا ، ثم يحاول بناء جانب اتيقي في معاملاته، ولذلك نتسائل حول ماهية وحقيقة هذه الكرامة الإنسانية ؟ هل هي مطلب إنساني يريد الوصول به إلى إحترام الإنسان وجسده ؟ أم أنها مجرد وهم إنساني لن يتحقق خاصة في ظل الثورة التكنولوجية الحادثة اليوم ؟

مفهوم الكرامة الانسانية :

لقد إنشغل الفكر الفلسفي المعاصر بفلسفة الإنسان، خصوصا بعد تراجع التعاطي للأطروحات الأخلاقية الكلاسيكية التي كانت تبحث فيما هو كائن، وبروز ما يسمي بالأخلاقيات الجديدة التي بدأت تطفوا على واجهة النقاش الفلسفي، وذلك من خلال معالجة أهم القضايا الكبرى التي تعنى بالإنسان والتي أضحت محط إهتمام الفلاسفة والمفكرين ورجال القانون ...الخ، فتمخض عنها ظهور خطابات إلتمسنى إرهاصاتها في التفكر الانساني منذ بداياته الأولى، ولمحنا تجدد ظهورها في الطرح الاتيقي الراهيني، ولعل أبرز مثال عن ذلك هو الحديث عن الكرامة الإنسانية و البحث عن إنسانية الانسان .

فالحقل الإنساني اليوم أصبح يطالب بتأسيس مشروعية اتيقية لحياة الإنسان، وهذا ما يستدعي طرح العديد من الإشكالات التي تتمخض في ضوء فكرة الرهان الفلسفي البيوايتقي، مستندتا على دراسات فلسفية تشتغل بالديالكتيك الاتيقي، الذي أوجده التقدم الكبير في شتي المسائل البيواتيقيا التي برزت في العلاقات بين علوم الحياة والتكنولوجيا والقانون والفلسفة، ففي خضم كل هذا الحراك الفلسفي الذي يجعل الإنسان محوراً أساسياً للبحث في ما يجب أن يكون، من خلال ديالكتيك الإحترام والكرامة الإنسانية، نتسائل حول مصير كرامة الإنسان في ظل التقنيات الطبية المعاصرة ؟ وماهو مستقبل الإنسان اليوم ؟ وماهي الإنسانية التي يجب أن نكون عليها.

" **تتمركز معظم الموضوعات الإنسانية اليوم على العنصر الأساسي الذي يربط البشرية ببعضها البعض ويؤكد على ضرورة إنفتاح الآخر**"[1]، فالغاية من الوصول إلى تحديد مفهوم للكرامة الإنسانية، هو الحصول على التقدير والإعتراف المنشودين في الأخلاق

[1]– Emmanuel Lévinas, **Humanisme de l'autre homme**, Biblio essais,1968, p52

التطبيقية؛ التي حاول العديد من الفلاسفة أن يضعوا لها قوالب اتيقية تجمع البشرية جمعاء في حواراتهم وسياساتهم وحتى معتقداتهم .

المدلول اللغوي :

" **كرامة مصدر كرم : الكرامة والمقصود بها الغطاء يوضع على رأس الجرة أو القدر، كرامة الإنسان : ونعني به إحترام المرء لذاته، وهو شعور بالشرف والقيمة الشخصية يجعله يتأثر ويتألم إذا ما إنتقص قدره . ويقال أيضا : أفعل ذلك وكرامة لك ونعم وحبا وكرامة أي أكرمك كرامة** " [1] ، فالمقصود في المعجم الوسيط بالكرامة هي أن يكون الإنسان في عزة ورفعة وذلك بحفظ ذاته تصرفاته ومعاملاته، حتى مع الآخر لذلك نجد أن العرب كانوا يمجدون الكرامة كثيرا ويكتبون فيها العديد من الأشعار، درايتاً منهم أن الفرق بين السيد والعبد يكمن في أن الأول يتمتع بكرامته بأعلى درجاتها، أما الثاني (العبد) ليست لديه كرامة لذلك يباع ويشترى وتمارس عليه شتى أوجه الطغيان والإستعباد.

المدلول الفلسفي :

الكرامة الإنسانية : la dignité humaine " **تترجم بالاتينية إلى dignitas ويقصد به في المعجم الإجتماعي السماحة** "[2]، وإذا ترجمنا هذه الكلمة في المعجم الوسيط نجدها تعني " **الكرم والسخاء** "[3]، فالمقصود بها أن تجمع بين الإنسان والآخر علاقات إنسانية يكون أساسها الكرم والمواخاة، فهذا فعل إيجابي لتطور الأمم، لأن الإنسان هو النواة الأساسية في هذه الحياة.

---

[1]– المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص813.

[2]– Noella Baraquin et autre**, Dictionnaire de philosophie**, 2e édition, Armand Colin, Paris 2000, p84

[3]–المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مرجع سابق ، ص36 .

إن تعارض القوانين الإلهية في التنظير الإجتماعي هو ما يعكس إختلاف الفهم الأخلاقي للكرامة الإنسانية، " **فالمجتمعات البدائية كانت أقل تهيئاً لكرامة الإنسان، مثلها مثل المجتمعات التي عاشت الطبقية** " [1]، حيث نجدها تلغي جانب من هذه الكرامة داخل الحقل الإنساني بدعوى أنه أقل إنتماءاً، فنجد على سبيل المثال المجتمع الإقطاعي ونظرته للإنسان تختلف عن المجتمع الرأسمالي وعودته الفعلية للإهتمامه بالفرد كعنصر أساسي،"**الكرامة الإنسانية هي الإحساس المعنوي بالشخصية الإنسانية، والحق في حماية كرامة الإنسان، فإحساسه بهذه الشخصية هو دليل على كرامته** "[2] فالغاية من الكرامة هي البحث عن إنسانية الإنسان وهذه العلاقة الاتيقية التي من الواجب إيجادها بين المجتمعات والشعوب بصفة عامة، وذلك على عكس مايتجسد لنا في العالم برمته، من حروب ودماء وتنكيل بالإنسان من طرف أخيه الإنسان خاصة في الجانب السياسي.

" **فالكرامة هي قيمة موضوعية، متعلقة بالذات الإنسانية لا تدرج فيها ولا إنقسام وهي مغرس للقيم الأخلاقية وجميع حقوق الإنسان** "[3] لأن الذات الإنسانية هي التي تكون فاعلة في حياة الأفراد ،لأن الإنسان يدرك كرامته من خلال ذاته المتفتحة على الواقع العملي، ولذلك نجد أن جل الفلاسفة إهمتوا وبشكل واسع بالذات الإنسانية والتي كانت محوراً أساسياً في فلسفاتهم، فالكرامة الإنسانية " **يشار بهذا الإسم إلى المبدأ الأخلاقي القائل إن الشخص البشري لا يجوز أبداً أن يعامل فقط كوسيلة بل كغاية في ذاته، بكلام آخر لا يجوز أبداً إستعمال الإنسان كوسيلة دون الأخذ في الحسبان في أنه غاية بذاته**"[4]، لأن الإنسان يعيش لغاية أخلاقية أكثر منها مادية، ولذلك فإن الجانب الإنساني مهم في حياة

---

[1] – Floton Dir, **Dictionnaire philosophique**, Edition du Progrès, Moscou, 1985, p138

[2]– فتحي جوهر المزوري ، كرامة الإنسان في الكتب السماوية، ط1،(ب دار نشر)، (ب ب)، 2015 ص ص(20/19

[3]– نفسه ، ص20

[4]– أندريه لالاند، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص284

الأفراد ليكونون معتدلين في المستقبل، لذلك وجب المحافظة على الإنسان لأنه هو من سوف يصبح الغاية المطلقة بالنسبة للآخر. ويعرف **بول ريكور** الكرامة الإنسانية " **إن الكرامة أقدم من الوجود الفلسفي، فهي موجودة منذ أن وجد الإنسان، مثل الإنسانية قديمة قدم وجود الإنسان**"[1] فالإنسان إذا إستطاع أن يصنع وجوده، فسوف يستطيع أن يحقق كرامته، برغم من كل التجاوزات التي تقف أمامه.

و بالنسبة للمعجم الأخلاقي " **إنها من السمات الأساسية للقول أن هذا الإنسان إنساني، وذلك من حيث أن هذه الكرامة تقدم له قيمته التي تضل نسبية، ولكن تبقي الصفة الجوهرية فيه لأن الإنسان كما يقول كانط kant لا ينبغي أبداً أن نعامل الشخص على ما ينبغي أن يكون بل على ما هو كائن** "[2] فهذا ما يحيلنا إلى تعامل مع الشخص على أنه غاية لا وسيلة لتأدية مصالحنا، فإذا تعاملنا معه بهذا المنطلق كنا قد نفينى له كرامته، لأن جوهر الإنسان يحمل مبادئ أخلاقية تؤسس لما ينبغي أن يكون وليس لما هو كائن، وهذه هي الحاجة الأساسية لمواصلة وتيرة الحياة.

وعند ولوجنا في المعجم الفلسفي نجد الكرامة المقصود منها " **أنها الحالة التي يبحث عنها الإنسان ليعيش عظمته، وهي مرتبطة بطبيعته الروحية** "[3] وهذا ما يدفعنا إلى التفكير في أن الكرامة الإنسانية نابعة من الذات الإنسانية، ولذلك عندما نمس الإنسان في ذاته أو جسده أو حتى فكره نكون قد مسسنا بكرامته، لكونها مربوطة بحياة المعيش الإنسانى، لأنه كائن يؤثر ويتأثر، ومن هذا الباب نجده يحاول أن يسوغ لنفسه قالبا اتيقيا تحكمه العديد من المواثيق الدولية، والحقوقية لتدافع عن حقه في أن يعيش كريماً .

---

[1] -Marie-Jo Thiel, **Au Nom De La Dignité De L'etre Hummain**,ibde,p9.

[2]– Noella Baraquin et autre**, Dictionnaire de philosophie**, 2e édition, Armand Colin, Paris 2000, p84.

[3]– Noella Baraquin et autre**, Dictionnaire de philosophie ,** op.cit ,p84 .

" **إن المدلول الفلسفي للكرامة يتضمن الغاية الاتيقية التي يطبعها الإنسان، من خلال القيم الإنسانية التي تشبعت من المنطلق الأساسي لحرية الأفراد وإستقلالية الذات**"[1] فقد نادت بها العديد من الديانات لكونها جاءت ترسخ هذا المبدأ، في ظل التغيرات التي عرفها الإنسان في حياته، ومن كل ذلك نصل إلى نتيجة مفادها أن الكرامة الإنسانية تمثل القيمة الإنسانية للذات في حد ذاتها، كقيمة متجذرة في الفرد بغض النظر عن جنسه ولونه، فالإنسان وبمجرد أنه أصبح فرداً في المجتمع إذاً يجب المحافظة على كرامته بتوفير جميع الظروف الملائمة لمواصلة حياته على أكمل وجه، وذلك بإحترام كينونته وذاته التي تشكل مصدر وعيه فكرامة الإنسان هي أن لايخجل من نفسه، وذلك الخجل الذي ينبعث إما من الذات التي تحط من قدر نفسها، أو من مساس الآخر بهذه الذات التي تحس نفسها أنها معرضة للخطر، فتدخل في دائرة الخجل.

المعنى الطبي : ذكر مفهوم الكرامة الإنسانية في المجال الطبي في الوقت الراهن وبشكل واسع، لأن الإهتمام بالمجال الطبي اليوم وبكرامة الإنسان الإنسان والخوف من الموت أصبحت فوبيا تعيشها المجتمعات، " **مقارنة بتلك الأوبئة التي أصبحت تضر بالكيان الإنساني وتخرجه من صفته الإنسانية إلى اللإنسانية، فقد أصبح يطرح المريض العديد من الأسئلة التي وجد نفسه بداخلها**" [2]، محاولاً تجسيد كرامته (جسده أو ذاته)، التي تتدخل التقنية اليوم، وبشكل واسع في تغيير من حيثياتها بشكر كبير، والملاحظ اليوم في المجال الطبي، هو بداية تهاوي العديد من المفاهيم الإنسانية الوطيدة بكرامة الإنسان خاصة من

---

[1]– A. Duprez, **De la dignité fondement des philosophies humanistes à ses traductions dans le droit contemporain**, Cycle de conférences de l'Espace Saint Jean, Nancy 2008, p1.

[2]– Guy Durand, **Introduction générale à la bioéthique**, Les éditions du Cerf, 1999, 397.

ناحية صيانة كرامة المريض، حيث نرى اليوم أن المريض قد أصبح مجرد آداة يستعمل في العديد من التجارب الطبية، التي صادقت عليها المخابر كتلك التي قامت بها النازية* .

يربط هابرماس الكرامة الإنسانية، بالعامل الإجتماعي الذي يراه مهماً في إعطاء تعريف جامع ومانع، ولذلك حاول أن يفصل في الطريقة التي يمكن أن تفهم من خلالها الكرامة الانسانية، والوعاء الذي طرحت فيه فيقول " **إن الكرامة الإنسانية بالمعنى الأدبي والقانوني الصارم، تعتمد على تماثل في العلاقات بين أعضاء المجتمع من الكائنات الأدبية ويستطعون هم وحدهم أن يسنوا بطريقة حرة القوانين والحقوق، ويصر هابرماس أن الكرامة الإنسانية ليست صفة طبيعية**"[1]، لإعتبار أن الإعتراف بالآخر من بين الأولويات الأشخاص لمواصلة عملية الإفصاح الإجتماعي أو العقد الإجتماعي، كما يسميه فلاسفة العقد الإجتماعي، لأن الحياة تحتاج إلى مبادئ لكي نكون في مأمن من الآخر المتسلط الذي يمكنه أن يلغي العلاقة الإتيقية والتي تفقد الهوية والذات الإنسانية كرامتها وإحترامها، لأن الذات البشرية تحتاج لذات أخرى عارفة" **فإحترام شخصية الإنسان(الآخر)، هو واجب عالمي** "[2]، فالكرامة الإنسانية هي مطلب لايمكن المسوامة فيه لأنها قبل كل شيء حق إلهي وهبة الله لعباده، لذلك لا يمكن التنازل عنه لأي سبب من الأسباب، وهذا الحق " **لطالما أهدر لعهود طويلة في تاريخ الفكر البشري**"[3]، ولا زال التلاعب بكرامة الإنسان لحد

*من بين الجرائم الطبية والإنتهاكات الإنسانية على البشر هناك التجربة النازية التي كانت تقوم بها داخل معتقالاتها فنجد مثلا: هيلينا هيجير (رافالسكا) التي نجت من محتشد رافنسبروك والتي قد تم إجبارها على التجريبات الطبية سنة 1942. ومعاملات أطباء كانوا قد لوثوا المرضى عمدا بالجراثيم والتراب وشظايا من زجاج. أنظر الموقع الالكتروني (www.ushmm.org بتاريخ 2016/10/17، توقيت 10:59).

[1] –كلود دوبر، الممكن وتكنولوجيا حيوية، تر: ميشال يوسف، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2014، ص 524 .

[2]– Jean Bernard, **De la biologie à l'éthique: Nouveaux pouvoir de la science, nouveaux devoirs de l'homme**, Edition Buchet/Chastel, Paris, 1990, p200.

[3]–رسمية شمسو، المسؤولية الطبية بين القانون والشريعة، ط1، دار العصماء،(ب ب) 2012، ص98

الآن من خلال التجاوزات التي يشهدها العالم اليوم*، ومن كل هذه التعريفات نجد في نفس السياق الفيلسوف باتريك فيربيرانPatrick** Verpieren، يقدم لنا أربع تعريفات للكرامة الإنسانية أثناء محاضرة التي قدمها حول الكرامة الإنسانية [1].

المعنى الأخلاقي : إن مفهوم الكرامة الإنسانية له جانب أخلاقي كبير وهذا ما نلاحظه من خلال الدساتير الأخلاقية التي تقر بهذا المبدأ كحق أساسي.

المعنى الإجتماعي : هو أكثر شمولية ووضوح، فالمعنى الإجتماعي للكرامة dignité تتضمن معنى التكريم وإعطاء لكل شخص حقه حسب مجهوده، وبذلك يتحمل كل إنسان مسؤوليته الإجتماعية لكي يكون هناك ردع قانوني.

فقد تطور الفكر الإنساني عن طريق الحقبات التاريخية محاولاً دائما الوصول بكرامته إلى أعلى المراتب بغض النظر عن كرامته الجسدية، كما حاول التأسيس لما يسمى بالكرامة الفيزيولوجية والتي تتضمن[2] : – تحقيق الفرد لذاته الإجتماعية داخل الدول والمجتمعات.

– البحث عن التأمين الذاتي داخل الغطاء القانوني للدولة وهذا مانجده يتوافق مع المعنى السياسي للكرامة الإنسانية .

---

*من بين التجاوزات التي تطرح إلغاء مبدأ الكرامة الإنسانية، مايحدث اليوم في الواقع السياسي وما يشهده العالم العربي بعيدا عن السياسية ،ولكن من خلال الانتهاكات الإنسانية فتشرد الأطفال ، وقتل الإنسان من غير سبب إلا لهدف واحد هو تجريب بعض الأسلحة ، أو أن تقول الدول العضمي لا زلت أتحكم في العالم بالغة اللسلاح والآلاة الحادة هذا كله منافي لخقوق الإنسان، مع العلم أنه توجد العديد من المواثيق التي تجرم هذه الأفعال إلا أننا لا نحرك ساكنا إتجاه هذه الأفعال فإلى أي حد نحن ذاهبون من خلال هذه الإنتهاكات الغير مبررة أصلا ؟

** فيلسوف فرنسي معاصر، لديه العديد من الأعمال في مجال البيواتيقا، من بينها كتاب حول الأخلاقيات الطبية.

[1] –Guy Durand, **Introduction générale à la bioéthique**, Les éditions du Cerf, 1999, pp 398/400.

[2]– **Dictionnaire philosophique**, ibid, pp 98/99

– الكرامة الفكرية وهي أن يتمتع كل فرد في الدولة بحريته الفكرية والتعبير عن حقوقه، وذلك لن يتحقق إلا عند تحقيق مبدأ إستقرار الشعوب والأمم .

المعنى السياسي : " كرامة الإنسان والواقع السياسي، هي تجاوز الحرية إلى حد الإنسانية "[1] فليس بمقدورنا أن نغير مجتمعاتنا إلا بعد بلورة تفكيرنا من منطلق إيتقي يضمن لنا حياة سياسية أفضل. كما يعرفها فرنسيس فوكوياما " **أن الكرامة الإنسانية هي أحد تلك المفاهيم التي يجب أن يطرحها السياسيون، وكل شخص من العاملين في مجال الحياة السياسية تقريبا، ولكن ليس بوسع كل أحد أن يعرفها أو يفسرها** "[2]، لأنها تبقى مفهومها مرتبطاً بقيمة الإنسان لذلك يصعب إيجاد تعريفاً محدداً لها من الناحية القيمية، لأن الكرامة الإنسانية هي غاية يحاول الوصول لها كل فرد في حياته لتحقيق هدف أسمى.

حالة الشخص : كل فرد لا يخلوا من صفات الشجاعة والعفة والطهارة، فهذه الصفات هي التي تحدد كرامته وإحرامه عند تعامله مع الآخر في بشكل حوار ايتقي، يتبني فيه آراء الغير ويستقل عنهم في ما لايجده يتوافق مع كرامته أو إحترامه، ولذلك سعى دائماً الإنسان أن يؤطر إلى ما هو أخلاقي ايتقي .

السمة الأساسية : تعتبر الكرامة من السمات الأساسية لحياة الأفراد وللمحافظة على هوية وذات الإنسان لكونه فرد ضل يحاول تجسيد مبدأ ال إحترام الأساسي بين الأفراد كسمة أساسية تقتضي إليها الغاية والضرورة الحياتية .

---

[1]– Joel Andriantsimbazovina, **Dictionnaire des Droit de l'homme** 1er édition, Presses universitaires de France, 2008, p 285.

[2] –فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري عوقب ثورة التقنية الحيوية،تر:علي المولا، ط1، مركز الإمارات للداسات والبحوث الاستراتيجية،أبوضبي، 2006،ص187

الكرامة الانسانية في الأديان السماوية* :

من بين الشعارات التي لاقت رواجا كبيرا، في عصور سابقة هي الشعارات التي جاءت منددت بحقوق الطفل وحقوق المرأة وحقوق الجنين، كلها جاءت منافية لما يحدث في العالم التقني من إنتهاكات لكرامة الإنسان وللإنسانية، فالعالم اليوم مدعو للحوار والتلاقي لتبادل الأفكار والأراء خاصة فيما تعيشه الإنسانية من إنتهاكات في الفترة الراهنة و هذا ما إستدعى من التفكير الإنساني الرجوع إلى الأصول من أجل البحث والتفقد في موروثنا لعلنا نجد السبيل للهدى والرشاد، وهذه هي محاولات العديد من الفلاسفة والمفكرين خاصة.

ونحن اليوم نعيش في مجتمعات تختلف فيها الديانات والإيديولوجيات والثقافات، لذلك إستوجب علينا الرجوع للأصل، من أجل إكتشاف القوانين التي يستند عليها الآخر في إعطاء حكم أو قاعدة،" **فما من مسألة في تاريخ الديانات أراقت الدماء والدموع مثل مسألة الحقيقة** " [1]، فالحقيقة التي ظل التفكير الفلسفي ينشدها منذ العصور والأزمنة الغابرة وصولا إلى حد الساعة هي من بين المشاكل الأخلاقية التي أزمت الوضعت الأخلاقي، وجعلت الإنسان يعيش في أزمة أقل ما يمكن القول عنها أنها أزمة إنسانية بالدرجة الأولى، ولذلك حاول الإنسان أن يبحث ويتفقد موروثه الحضاري ليصل به إلى العالمية، والمقصود هنا بالعالمية هي أخلاق شاملة تنطوي تحتها جميع الديانات والثقافات، كثقافة العيش معا وتأسيس حوار ايتيقي على أساس التعايش السلمي لأن جميع الصراعات الاثنية والعقائدية اليوم أساسها اللاتفاهم واللاتشاور، كلها سببة للإنسانية جمعاء فقدان الإنسان لكرامته و إحترامه، سواءاً في الجانب الإقتصادي أو السياسي أو حتى الطبي، فقد أصبحنا اليوم نسمع عما يسمى بالتأسيس لكرامة المريض، فمثل هذه المواضيع لم تطرح بهذا الشكل في فترة

* الأديان السماوية المقصود بها هي تلك الكتب السماوية التي أنزلت على الرسل ، مع العلم أنها حرفت إلا القرآن الكريم الذي أنزل على " محمدا صلى الله عليه وسلم تسليما ".

[1]– هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي (دور الديانات في السلام العالمي)، مرجع سابق، ص5 .

سابقة كل هذا مدعاة للتفكير، فنتسائل هنا تسائل مشروع، هل يمكننا أن ننشئ مشروع أخلاقي عالمي؟ يدفعنا لترسيخ قيم ومبادئ عليا كالتعاون والتعايش والسلام الدائم؟ وكيف رسخت الأديان السماوية مبدأ الكرامة الإنسانية ؟

إن تعاليم الأديان في مجملها تدعو إلى إحترام الإنسان وإرساء مبدأ السلام العالمي وبناء مشروع أخلاقي عالمي، كل هذه التعاليم لم تطبق بحذافرها في واقعنا اليومي، وذلك راجع إلى التفكير النقدي في تاريخ البشرية فيقول كينغ في هذا الصدد " **يبدوا الطرح التاريخي الذي، يتنبئ بنهاية الدين وموته طرحا خاطئا، فلا التيار الإنساني الملحد بحسب فيورباخ، ولا الإشتراكية الملحدة بحسب ماركس، ولا التيار العلمي الملحد، بحسب فرويد بحثت كلها عن الحلول مكان الدين، على عكس، كلما فقدت الإيديولوجيات مصداقيتها و القناعات ذات الطابع الملحد الحديث ترسخت الديانات والقناعات الدينية القديمة والحديثة** "[1] ولذلك وجب الرجوع دائما إلى مصدر الرسالات السماوية التي جاءت منددة بكل أشكال التهميش من الفلسفات الوضعية التي ألغت المفاهيم والمبادئ الإنسانية، والتي شيئت الإنسان.

لقد جاءت جل الديانات منددتا لما يحدث اليوم من تغيرات طرأة على الجسد البشري، وما يشهده العالم البيولوجي والتجريبي، من مساس بقدسية الإنسان، فالأديان جاءت تبعث لأخلاق ومبادئ عالمية، منطلقة من نقطة أساسية مفادها أن للإنسان قدسية يجب التمسك بها والدفاع عنها مهما كانت الظروف التي تحيط به، فما هي أهم المبادئ التي نادت بها الأديان ؟وما هي المرتكزات التي إعتمدت عليها في تأسيس قاعدة اتيقية؟

[1]–هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي (دور الديانات في السلام العالمي)، مرجع سابق ، ص 9

الكرامة الإنسانية في الثوراة (اليهودية)*:

تعتبر الطبيعة الإنسانية من بين الغايات التي يحاول الإنسان فهمها، بحل شفراتها، كل ذلك يستدعي التفكير والبحث، ولا يمكننا أن نتوصل لهذه الغاية في غياب النظرة الدينية وذلك راجع لأهمية الأصول الدينية في مثل هذه المواضيع، ولأنه الكفيل والمنبع الذي إنطلقت منه القيمة الإنسانية، فلا يمكننا البحث عن كرامة الإنسان أو البحث عن حقوقه وحرياته إلا بالرجوع إلى الأصول العقائدية .

فالكمال الإنساني لن يتحقق إلا بعد يقيننا أن الكتب السماوية جميعها قد فصلت في إحترام هذا الشخص، فنجد على سبيل المثال اليهودية(الثوراة) إهتمت كأمثالها من الرسالات السماوية بمركزية الإنسانية في العالم، وبأن الإنسان هو أحد المحاور الأساسية " **خلق الله الإنسان على صورته، صورة الله خلق البشر**"[1]، فحقيقة الإنسان وكرامته تكمن من خلال هذا الدليل الذي ورد في كتاب الثوراة وذلك أن الإنسان خلق من خلال صورة الله التي حلت فيه، ولذلك نجد الفكر اليهودي يدعي فكرة شعب الله المختار، وفي رأيهم أنهم مختارون من خلال تلك الروح المقدسة التي حلت فيهم ولذلك إعتبروا أنفسهم أشرف الشعوب والأمم على الإطلاق .

يقول فتحي جوهر المزروي في كتابه " كرامة الإنسان في الكتب السماوية" إن كتاب الثوراة في وصفه لكرامة الإنسان وقيمته نجده يقدم إتجاهين [2] :

---

*كرونولوجيا الديانات اليهودية وكتاب الثوراة اليهودية، هي أول وأقدم الديانات التوحيدية الثلاثة الكبري ، وهي ديانة وطريقة حياة الشعب اليهود ، وتستمد اليهودية شرائعها وعقائدها الأساسية من الثوراة ، وهي أول خمسة أسفار من الكتاب المقدس ، إن أهم تعاليم وعقيدة الديانة اليهودية هي الإيمان بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي يريد لجميع الشعوب أن تفعل ما هو عادل ورحيم ، وقد خلق جميع الناس على صورة الله الذي يستحق المعاملة بكرامة وإحترام .

[1]– سفر التكوين الإصحاح /27:01

[2]– فتحي جوهر المزوري ، كرامة الإنسان في الكتب السماوية، مرجع سابق ، ص ص(57/56)

الاتجاة الأول : يحط من قيمة الإنسان ويعتبره حفنة من تراب سريعة الزوال، ويطلق عليه في بعض الأحيان بالحشرة فقد شكك في قدسية الإنسان.

الاتجاه الثاني : وهو إتجاه عكس الأول بحيث يعطي للإنسان جانب كبير من ال إحترام والقدسية ويشبهه بالملاك الذي يسير فوق الأرض.

يتضمن الكتاب المقدس فكرتين أساسيتين متناقضتين، إلا أن هذا لاينفي أنه توجد نصوص تؤكد كرامة الإنسان و إحترامه كغاية مطلقة، ويجب أن تتمسك جميع المجتمعات بمبدأ حفظ حقوق و إحترام الإنسان لأخيه الإنسان، " **وجعلته أدنى قليلا من الملائكة أحيانا ثم كللته بالمجد والكرامة، وأعطيته السلطة على كل ما صنعته يداه وأخضعت كل شئ تحت قدميه، الغنم والبقر وجميع المواشي والوحوش البرية أيضاً**"[1]، ومن بين الأفكار التي رودت في العهد القديم *فكرة التجسد أو الحلول، وذلك ما نجده في كتب موريس تاضروس" **ويكفي لنا أن نتأمل كيف صار الله إنسانا حتى ندرك على التو كيف أصبح الإنسان مكرما، بل هنا يبدوا السمو والرفعة على أكثر ما تكون عليه درجات السمو والرفعة** "[2] تفسيرهم لهذا يرجع لمعتقدهم أن الخالق يحاول أن يكسبهم جزءاً من قدسيته فيهم (الإنسان)، وبذلك تتحقق كرامتهم، وهذا ما ينتج عنه أن الإنسان دائماً يحاول أن يرتقي

---

[1]– سفر مزمو الإصحاح ر8 : 5–7

*العهد القديم : هو الجزء الأكبر من الكتاب المقدس ويحتوي على جميع كتب اليهود بما فيها الثوراة الكتب الخمسة الأولي ويعرف بالتناح وهي كلمة مركبة من الأحرف الأولي من كل قسم من أقسامه :توراة (الثوراة) ، نفييم (الأنبياء) ، وكتوفيم (الكتب) ، ومواضيع الأسفار المختلفة ، فان اعتبروا سفر التكوين لقصيصا بالأولي ، فان سفر اللاويين تشريعا بالأحري أما المزامير فسفر تسبيحي (ويكيبيديا : العهد القديم ،2016/10/13 ، التوقيت 20:31)أنظر الموقع الالكتروني https://ar.wikipedia.org/

[2]– مقالة (التجسد رد للإنسان كرامته) التوقيت 20:37 التاريخ :10/13/ 2016 أنظر الموقع الالكتروني st-takla.org .

بذاته بعلاقة مع الله، فالإنسان يحاول أن يستجيب لنداء الله، أو يحاول أن يشبه الإنسان بالله وهذه كلها دعاوى للوصل إلى إنسانية عالمية .

يقول أحد حاخامات اليهود في شأن قدسية الحياة عند اليهود " **عندما يمشي رجل أو إمرأة على الطريق تسبقه الملائكة قائلة إفتحوا الطريق إفسحوا المجال لصورة الله** "[1]، فهذا يؤكد على أن للإنسان درجة عالية في الكتاب القديم عند اليهود، وأن الإنسان سواءاً كان رجل أو إمرأة فقد سخر له الله الإنسان والملائكة والحيوان كلها تحيا لخدمته، فالنظرة الإلهية تسعى إلى بناء إنسان متكامل من الناحية الإنسانية والأخلاقية .

أما بالنسبة للمرأة في تعاليم اليهود فيمكن وصفها بالمسكينة لأن ليس لديها أدني الحقوق أو ال إحترام فلا قيمة إنسانية لها *، فالمرأة عندهم هي الخطيئة وقد نعتتها الثوراة (خنزير، النعجة)، بإعتبارها أقل كرامة وحق من الرجل اليهودي فقد أصروا أن يجعلوها سبب كل بلاء وشر ،" **الرجل صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل** "[2]، وورد في العهد القديم أن " **فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، هذه تدعى إمرأة لأنها من أمراد أخذت** "[3]

لقد كثر الحديث في العهد القديم على قضية عدم تجاوز حدود الإنسان، وإنتهاك حياته من خلال قتله، فلا يجوز قتل الإنسان أبداً ويجب عليه أن يحترم أملاك الآخرين فمن معتقداتهم أن روح الإله حالة فيهم " **إليك وحدك خطئت وأمامك الشر صنعت** " [4]، " **فالله هو**

---

[1] – فتحي جوهر المزوري ،كرامة الإنسان في الكتب السماوية ، مرجع سابق ، ص57

*كتاب اليهود " النشيد وحزقيل وإن كان الكتاب يمارس السياسة على المرأة "

[2] –سفر كو الإصحاح 1 07:11

[3]–سفر تكوين الإصحاح 23/02

[4] – سفر مزمور الإصحاح 06:51

دائما معهم متى أرادو عاد إليهم لأنهم في رأيهم شعب الله المختار على جميع الشعوب والأمم الأخري السابقة واللاحقة" [1].

فالله يريد منا الحفاظ على قدسية الحياة وعدم التسبب في الآلام والآهات لبعضنا البعض، فالوصية الخامسة جاءت تنادي بإسم " **لاتقتل**"[2]، ومحتوى هذه الوصية هو وجوب عدم القتل الغير شرعي لأن الحياة الإنسانية ثمينة وغير مقدرة بثمن، وبما أن الإنسان هو صورة الله فيجب عليه أن يمثلها أحسن تمثيل وأن لا ينكل بهذه القدرة الربانية التي حلها الله فيه، وهذا ما يعطيه قيمة وكرامة [3]، فالحق هنا بارز عند المحافظة على الإنسان، فتلك هي القيمة الأخلاقية التي سعت إليها الديانات السماوية، لتحسين من حياة الإنسان بشكل أفضل وعلى أحسن مايرام كلها مبادئ إنطلقت منها العقائد الربانية لمصلحة الإنسان .

فقد جاءت كعقاب لمن ينتهك دم أخيه " **من سفك دم إنسان، سفك دمه عن يد إنسان لأنه على صورة الله صنع الإنسان** "[4] وإذا عدنا لقضية تحريم القتل مهما كانت غايته أو أسبابه، ولذلك وجد القصاص وهدفه إحقاق الحق وإقرار العدالة "**من قتل إنسان يقتل قتلا**"[5] ، فعقوبة القاتل في اليهودية هي قتل الجاني بنفس الطريقة التي أقدم عليها في قتل المغدور، وهو حق لأنه يؤسس لمبدأ الحفاظ على كرامة الإنسان.

---

[1] –مطران كيلس ،المسيحية في أخلاقياتها، ط1، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت ،1999 ،ص ص(21/20

[2] – سفر خروج الإصحاح 13:02

[3] – مطران كيلس، المسيحية في أخلاقياتها ، مرجع سابق، ص258

[4] –سفر تكوين الإصحاح 06:09

[5] –فتحي جوهر فرمزي، مقالة حول مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام الثوراة والإنجيل والقرآن، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد2/1، مجلد 8 ، 2014، ص40.

الكرامة الإنسانية في الإنجيل (المسيحية)*:

إن مصدر جميع الرسالات السماوية إله واحد، وغايتها تحقيق العدل والإحترام والكرامة بين البشر، فما جاء به الإنجيل من مبادئ أخلاقية كانت ومازالت موجودة لحد الآن، إلا في تغيرات طفيف من الناحية التوضيفية، ولذلك حاول المسيحيين أن يتمسكوا بجل العقائد الموجود لديهم لغرض التوضيح الأكثر، لأن الكرامة الإنسانية كانت قد ولدت عندهم "**وَأَنْتُمْ قَدْ أَكَلْتُمُ الْكَرْمَ. سَلَبُ الْبَائِسِ فِي بُيُوتِكُمْ. مَا لَكُمْ تَسْحَقُونَ شَعْبِي، وَتَطْحَنُونَ وُجُوهَ الْبَائِسِينَ؟ يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ**"[1]. فيتسائل هنا المسيح عن الضعف الذي يعيشه الفقراء عند سلبهم لكرامتهم الإنسانية وحقوقهم في الحرية والإختيار، وإضطهادهم وإستعمالهم في أعمال قد تتنافى مع كرامتهم في الحياة، وهنا يجب التأكيد المحافظة، على الحياة الإنسانية لأن الرب هو خالقها وممجدها داخل هذه الحياة ولا يجور المساس بها بأي طريقة كانت " **هذَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكَ رَاجِيًا أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ عَنْ قَرِيبٍ. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أُبْطِئُ، فَلِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللهِ، الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ اللهِ الْحَيِّ، عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ. وَبِالإِجْمَاعِ**

---

* الديانة المسيحية : ويعنى بهذا دراسة تاريخ الديانة المسيحية والكنيسة، منذ يسوع ورسله الإثني عشر حتى أيامنا الحاضرة. والديانة المسيحية هي ديانةٌ توحيدية أقيمت على أساس تعاليم وحياة يسوع. أما الكنيسة بمعناها اللاهوتي والمسيحي، فهي المؤسسة التي أقامها يسوع المسيح لتتابع من بعده مهمة نشر ثقافة الخلاص بين البشر. بدأت المسيحية في القرن الأول الميلادي كجماعة يهودية صغيرة، سرعان ما انتشرت في القرون القليلة اللاحقة في مختلف أنحاء الشرق الأوسط والإمبراطورية الرومانيةومستوطناتها بشمال أفريقيا الرومانية ومنها كنيسة قرطاج، وذلك رغم أعمال الاضطهاد التي كان أباطرة روما يمارسونها ضد أتباع هذه الديانة، لكنها ومنذ القرن الرابع غدت دين الإمبراطورية واكتسبت ثقافة يونانية ورومانية. تعتبر أرمينيا أولى الدول التي تتخذ من المسيحية الديانة الرسمية في عام301 ، تبعتها جورجيا عام319 ، أثيوبيا عام325 والإمبراطورية الرومانية عام.380 ، خلال القرون الوسطى وفي أثنائها واصلت المسيحية انتشارها فبلغت شمال أوروبا وروسيا .ومع قدوم عصور الانفتاح والاستكشاف انتشرت هذه الديانة في جميع أنحاء الأرض، حتى أصبحت أكبر أديان العالم من حيث عدد أتباعها؛ إذ يبلغ عدد أتباعها 2.2 مليار أي حوالي ثلث سكان الكوكب من البشر موسوعة ويكيبيديا أنظر الموقع (https://ar.wikipedia.org/wiki) 2016/10/24/التوقيت 09:24

[1] – سفر أشيعاء الإصحاح 15:03

عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ"[1]، فيمكن حصر الرؤية الفلسفية للكرامة الإنسان عند المسيحيين من وجهتين : الأولى ترى أن الكرامة فطرية تولد مع الإنسان، أما الثانية فترى أن الكرامة مكتسبة [2]، فقد وردت كلمة الكرامة في الإنجيل بعدة معاني*.

ففكرة الخلاص ** عند المسيحيين والمقصود بها هو إيمانهم بعقيدتهم، وأن المسيح عيسى إبن مريم هو مخلصهم*** في آخر الزمان؛ أما بالنسبة لفكرة الكرامة المكتسبة وهو رؤيتهم أن الإنسان مثلما يكتسب المشي وطريقة الأكل وغيرها من الصفات اليومية هو أيضاً يكتسب كرامته بتشبته بالحياة وتماسكه بها، داخل المجتمعات وتفاعله معهم .

---

[1] – سفر تيماتوس الإصحاح 16:03/05

[2]– فتحي جوهر المزوري ، كرامة الإنسان في الكتب السماوية، مرجع سابق ، ص22

*لقد وردت كلمة الكرامة في إنجيل يوحنا :semmotés,atimazo,timios,time,archè,exousia,dasca.

** فكرة الخلاص في المسيحية المقصود من خلاله الخلاص هو التحرر من الخطر أو المعاناة. لتخلص شخص ما هو أن تحرره أو تحميه. والكلمة تحمل معاني الأنتصار، الصحة، والحفظ. وفي بعض الأحيان يستخدم الكتاب المقدس كلمة مخلص أو خلاص ليشير الى الحرية الجسدية مثل تحرر بولس من السجن (أنظر :فيليبي 19:1) ، وأحياناً كثيرة أخري، تعني كلمة خلاص تحرير روحي وأبدي. فعندما قال بولس للسجان في فيليبي ماذا يجب أن يفعله ليخلص، فأنه كان يعني حياته الأبدية أنظر (أعمال الرسل 30:16–31). ولقد ساوي المسيح الخلاص بدخول ملكوت السموات (متي 24:19–25) من ماذا نخلص؟ في المعتقد المسيحي للخلاص، نحن نخلص من "الغضب" أي عقاب الله المستحق عن خطيئتنا (رومية 9:5 وتسالونيكي الأولي 9:5). فخطيئتنا تفصلنا عن الله وأجرة الخطيئة موت أنظر : (سفر رومية الإصحاح 23:6). فالخلاص الكتابي يشير الى خلاصنا من عواقب الخطيئة ويتضمن خلاصنا من الخطيئة نفسها.من يخلصنا؟ الله وحد القادر أن ينزع الخطيئة ويخلصنا من عقابها أنظر :(سفر تيموثاوس الثانية الإصحاح 9:1 سفر وتيطس الإصحاح5:3) أنظر الموقع الالكتروني (https://gotquestions.org/Arabic/Arabic-doctrine-salvation.html التاريخ 2016/10/24، التوقيت 11:02)

*** بولس رسول يسوع المسيح بمشيئته الله ، لاجل وعد الحياة التي في يسوع المسيح إلى تيموتاوس الإبن الحبيب نعمة ورحمة وسلام من الله الأب والمسيح اليسوع ربنا .

فقد أكدت المسيحية على تكريم المرأة وذلك ماورد في الإنجيل" **أَكْرِمِ الأَرَامِلَ اللَّوَاتِي هُنَّ بِالْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ. وَلكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلاَدٌ أَوْ حَفَدَةٌ، فَلْيَتَعَلَّمُوا أَوَّلاً أَنْ يُوَقِّرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمِ الْمُكَافَأَةَ، لأَنَّ هذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللهِ**"[1] هذا تصريح أكيد على أن الإنجيل أجاد في تكريم الإنسان، بإختلاف درجاته والغاية التي سادة أنداك هي تحقيق كرامة الإنسان والحفاظ على القيمة الحقيقية للحياة .

فالمسيحية أكدت أن الكرامة الإنسانية لا يجوز التفريط فيها، لكونها أساس إيماني بالدرجة الأولى، ولا يمكن أن يعيش الإنسان بدونها أو بدون حفظ حقوقه وحرياته، كلها مبادئ ترتكز عليها الديانة المسيحية في تعاليمها الأخلاقية، ولذلك كانت بمثابة الحافز لجعل الإنسان هو المركز الأساسي لإهتماماتها الأولى في الحياة والقيمة الإنسانية، لأن جوهر الإنسان يكمن في قيمته الإنسانية " **أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَنًا فَلْيُحْسَبُوا أَهْلاً لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ** " [2].

ونجد في من تعاليم اليهودية أنه يجور قتل الغير يهودي، والزنا مع الغير يهودية، وهذا ما يحيلنا إلى التساؤل إن كان الغير يهودي ليس إنسانا، أو أقل إنسانية من اليهودي؟ إلا أن المسيحية في تعاليمها تؤكد على عدم القتل "لأَنَّ الَّذِي قَالَ: «**لاَ تَزْنِ**» قَالَ أَيْضًا:«**لاَ تَقْتُلْ**». " **فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ. [12]هكَذَا تَكَلَّمُوا وَهكَذَا افْعَلُوا كَعَتِيدِينَ أَنْ تُحَاكَمُوا بِنَامُوسِ الْحُرِّيَّةِ. [13]لأَنَّ الْحُكْمَ هُوَ بِلاَ رَحْمَةٍ لِمَنْ لَمْ يَعْمَلْ رَحْمَةً، وَالرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ**" [3] وذلك لأنهم يعتبرون أن كرامة الإنسان مأخودة من كرامة الله « la fouler au pied la dignité des pouvres » " **من سفك دم الإنسان سفك**

---

[1]– سفر تيماتوس : الإصحاح 05:03/05

[2]– سفر تيماتوس : الإصحاح 05/ 17:03

[3]– سفر رسالة يعقوب : الإصحاح 11:02/02

دمه عن يد الإنسان، لأنه على صورة الله صنع الإنسان " [1]، لكون الله هو خالق كل شيء في هذه الحياة من جماد و كائنات، وهذا ما جعله يخلق صورته في الأرض وهم البشر، فمن التفسير يؤكدون على وجوب إحترام كرامة الآخر .

لقد عظم المسيحين الوجه الإنساني بإعتبار أن الرب كرمه، وبذلك يرون أن تكريمه ضروري وواجب رباني في الحياة الإنسانية، فقد ورد في الإنجل في تسخير الرب لحياة الإنسان وتسهيله لها " **إذا أرى سماواتك عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كونته فمن هو الإنسان حتى تذكره ؟ وإبن آدم حتى تفتقده وتنقصه قليلا عن الملائكة، وبمجد وبهاء تكلله تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه الغنم والبقر جميعا، وبهائم البر أيضا وطيور السماء، وسمك البحر السالك في سبل المياه أيها الرب سيدنا، ما أمجد إسمك في كل الأرض**" [2]، وهذا يعني أن الرب سخر الحياة ،وبكل موجوداتها للإنسان لكي يعيش في كرم إلى أبعد الحدود.

الكرامة الانسانية في القرآن الكريم:

من بين المحطات البارزة في تاريخ المسلمين؛ و التي لايمكننا تجاوزها هي رحلة الفكر الإسلامي، وما قدمه القرآن الكريم والسنة النبوية من إرشادات تمثلت في سنة نبينا ، وتعاليم شريعتنا الإسلامية ، والدعوي الصريحة للمحافظة على الكرامة الإنسانية. فقد صحح الإسلام العديد من المعتقدات الفكرية التي كانت سائدت في عصور الجاهلية، وقد اهتم بكل حيثيات العيش الإنساني وسن له جميع القواعد التي تظبطه من الناحية المعيارية والأخلاقية. فالدعوى الإسلامية سعت إلى فتح الأفق أمام الإنسان وتكريمه في قوله تعالى " **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا**

[1] –سفر تكوين الإصحاح 9 : 6

[2] – سفر مزامير الإصحاح 07:8

تَفْضِيلًا " [1] بالمحافظة عليه، وتسهيل رزقه أينما كان متواجداً، لأنه كرم لغاية مطلقة يجب أن الشعور بها في معاملاته مع الآخر، وذلك بتفضيله عن سائر الكائنات الأخرى.

ومن بيان التكريم لله عز وجعل أنه خلق لهذا الإنسان عقلاً ليفكر ويتفكر في خلق الله، ويصل به إلى الحقيقة التي ظلت تشغل الفكر الإنساني، فلإنسان قادر ولديه جميع المقومات ليعيش كريماً " **فقد عنيت الشريعة الإسلامية أشد العناية بحماية النفس البشرية فحرمت قتل النفس، وحفظت حق الإنسان في الحياة الكريمة** "[2] ومن آيات الله في تكريم الإنسان هو خلقه في أحسن تقويم يقول عز وجل في كتابه الحكيم " **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** " [3] .

وفي تحديده لمفهوم الكرامة الإنسانية في الفهم البشري المعاصر قال النمر:" **الكرامة هي تلبية الحاجيات الطبيعية والضرورية للإنسان، ومنها: الحاجيات العضوية كالتغذية والشرب والصحة...، والحاجيات الاجتماعية كالسكن والشغل والتعليم...، والحاجيات الفكرية كحرية التعبير والتفكير... والروحية كحرية التدين والإعتقاد...، وهذه الحاجيات مازال الكثير من الناس محروماً منها**[4]." فالكرامة الإنسانية ليست مرتبطة بالعادات والتقاليد والجنسيات، بل إن كرامة الإنسان تدعم القول أن يكون الإنسان محترماً ومكرماً داخل الإطار الذي يختاره للعيش فيه، ولذلك لا يمكن حصر كرامة الإنسان في جانب غير مستقر

وأكبر دليل على ذلك أن الله في كتابه كرم البشر، بإنفرادهم بنعمة العقل التي لا يدركها الإنسان في بعض الأحيان إلا بعد فقدانه لها ، لأن الله تعالى مجد الإنسان وأعطاه

---

[1]– سورة الاسراء : الآية 70

[2]–رسمية شمسو،المسؤولية الطبية بين القانون والشريعة، مرجع سابق، ،ص9

[3]– سورة الانفطار : الآية 07

[4]– مقالة بعنوان الكرامة الإنسانية التاريخ 2016/10/24 التوقيت 20:48: الموقع الالكتروني –http://www.al akhbar.com/node/256458

مكانة مرموقة عندما ميزه بالتفكير وترك له المجال مفتوحا لبسط حريتة ،من خلال عامل الإختيار ما هو الفعل الأحسن له ولذلك نجد أن الإنسان في هذا القالب الديني الإسلامي يجد نفسه يبحث عن الشرعية الدينية التي تحفظ كرامته الإنسانية " يقول إبن القيم رحمه الله في وصفه للمنهج الإسلامي " **أنه أعدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها** "[1] .

لذلك نجد أن العديد من الآيات نادت بكرامة الإنسان، وأقرت هذا المبدأ في إطار أخلاقي محكم، كالنصوص الدينية، و السنة النبوية التي إتصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد حدثنا عن آداب الحوار وآداب الأكل وآداب الحياة وآداب التعامل مع الغير سواءاً كان إنسان أو حيوان أو نبات، فالمنهج الرباني هو منهج لامحدود لأنه منهج فعال في حياتنا خاصة إذا تمسكنا به وتقيدنا بمبادئه، لأن الإنسان دائماً يحاول البحث والوصول إلى الحقائق التي يثبت بها لذاته أنه مؤهل للخوض في تجارب الحياة وربما أن منهجنا ورثنا العديد من القواعد الأيتقية التي يمكن بها أن نتجاوز العديد من المشاكل التي تسود الواقع اليوم. وقد قال أيضا إبن القيم " **أرسل الله رسله ليقوم للناس بالغيط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت إمارات الحق وبانت أدلة العدل وأسفر عن نوره بأي طريق كانت فثم شرع الله** "[2].

وقد أورد الله في كتابه العزيز الحكيم العديد من الآيات التي تصون حياة الإنسان وتعطيه الحق في العيش كيرمًا وقد حذر من إنتهاك حياة الآخرين وإعتبر قتل النفس الواحدة (جنينا كان أم بالغ) كقتل الناس جميعا " **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**"[3] فقتل الإنسان في الإسلام مهما كان دينه فهو يعادل قتل

---

[1]– جوهر الفرمزي ، مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام الثوراة والنجلي والقرآن العدد15،، مجلد8، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، (ب ب)،2014،ص12 .

[2] – نفسه ، ص12 . –

[3]–سورة المائدة : الآية 32

الإنسانية جمعاء، وهذا دليل على المكانة التي حضى بها الإنسان في القرآن الكريم. وكان القرآن الكريم مصدرا للعديد من التشريعات والدساتير التي نصت على إرساء العدل والحق بين الناس للمحافظة على كرامتهم وصيانتها وفرض إحترام الإنسان .

فكرامة الإنسان هي أغلى ما يملكه؛ لأنها تحوي الشرف والوفاء وقيمته الحقيقة والمطلقة، ولذلك نصت عليها كل الديانات وأعطت الحق للإنسان ووجوب صيانته من العبث والتلاعبات التي يمكن أن تلغي أو تنفي للإنسان كرامته، فحياة الإنسان مقدسة ولا يجوز لأي كان أن ينتهكها ولا لأي سبب من الأسباب بل وجب عليه أن يكون فعالا فيها وينشر الصدق وجميع الصفات الحميدة التي سوف يجازى عليها في الدار الآخرة " **فالكرامة الإنسانية مطلب لا يقبل المساومة لأنه حق من حقوق الإنسان التي كلفها الله للبشر ولذا فهي حق لا يمكن التنازل عنه** "[1]

نستخلص أن مفهوم الكرامة الإنسانية في الديانات السماوية، هو اجماع وإقرار عليها، وبعث بسلام عالمي تحكمه أخلاق كونية، يقول هانس كينغ" **لا إستمرارية من دون أخلاق عالمية لا سلام عالمي من دون سلام ديني ولا سلام ديني من دون الحوار بين الديانات** "[2] فالغاية ليست في تعدد الديانات بل الغاية هو عيش الإنسان مع إنسانيته في خدمة الله والإنسان وإرساء مبادئ وقيم يعيش فيها الجميع في إستقرار وحرية .لأن غير ذلك سوف يفضي بالعالم إلى نهاية غير متوقعة من كثرة العداء الذي نشب بين البشرية جمعاء، وهذا ما أدى إلى حروب بيولوجيةن وعسكرية أدت ببعض المناطق إلى نزاعات مفتوحة، وأزمات في حياتهم المعيشية.

[1]–رسمية شمسو، المسؤولية الطبية بين القانون والشريعة، مرجع سابق، ص97

[2]– هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي (دور الديانات في السلام العالمي)، مرجع سابق، ص10

الكرامة الإنسانية في الفلسفات المعاصرة:

من المعلوم أن تاريخ الفكر الإنساني قد مر بعدة مراحل مختلفة لتطوير نزعته الإنسانية، ووصوله إلى المراتب الأولى من خلال نهضته الإنسانية، وهذا لا يخفي علينا الأثر الكبير الذي حققته الفلسفات الغربية، في بحثها في مواضيع تهم الإنسان، بترسيخ مبدأ المسؤولية، والإعتراف، وال إحترام، والكرامة وغيرها من المواضيع. " **إن حقبة الأنوار تعد حقبة إعتزاز بالذات وحقبة وعي الإنسان الغربي بنفسه من أنه قادر على إدارة شأنه الذاتي والخارجي بكل ثقة وإتقان ولاحاجة له إلي أية منطلقات معرفية تتعالى على العقل الإنساني** "[1] ، فالكرامة الإنسانية هي نابعة من ضمير أخلاقي، لأنها تؤسس لما ينبغي أن تكون عليه الحياة الإنسانية، وتبعث بعجلتها إلى إنشاء أخلاق عالمية كونية تؤكد على القيمة الإنسانية. " **إن فكرة الكرامة الإنسانية نابعة من الضمير الأخلاقي لتعبر عن فكرة قيمية تحاول التأكيدعلى الموقف الأخلاقي وترى في ذلك إتجاهين** "[2]:

إتجاه أخلاقي للإنسان نحو نفسه .

إتجاه أخلاقي إجتماعي المقصود به (المجتمع نحو الفرد) .

فوعي الإنسان بكرامته هو شكل من أشكال حريته، وأساس متطلباته التي يحاول أن يؤسسها مع ذاته، ولذلك فإن التمسك بالشروط يجعله يعي أن الإنسان يستحق أن يعيش كريما، وهذا مطلب وحق شرعي، ولذلك يقال أن المساس بكرامة الإنسان هو مساس بذاته وهويته.

---

[1] –عبد الرزاق بالعقروز، مقال الكتروني :لذغة الانوار، الخميس 10 مارس 2016، أنظر مقالة الإلكترونية : 2016/07/28www.elwaten.com

[2] – Floton Dir, **Dictionnaire philosophique**, Edition du Progrès, Moscou, 1985, pp 138–139

فكرامة الإنسان ووعيه هو إتجاه واحد لبناء الذات الإنسانية، فبمجرد وعي الإنسان بذاته و بواجباته ومسؤولياته، فهو يجسد كرامته بصورة أخرى " **فرغم الوعي الكبير في مجال حقوق الإنسان في هذا القرن، إلا أن الإنسانية لم تشهد أعمالا همجية كالتي حصلت في القرن العشرين** " [1] ، ففي هذا القرن إنتشرت العديد من الظوابط الدولية التي سوف (نعرج عليها في الفصل الأخير)، التي جاءت تحافظ وتحث على إقرار مبدأ الكرامة الإنسانية نتيجة الوضع الذي آلت إليه شعوب اليوم، من تدمير لحياة الكائن الحي بصفة عامة، وهشاشة القيم الأخلاقية، التي من المفروض أن تكون منبع لاتيقا جديدة، إن الوضع الحالي يزيد تأزما يوما بعد يوم، سواءاً في المعاملات أو في المجال البيوطبي والبيولوجي خاصة والمجال البيئي الذي عرف تدهورا كبيرا، وهذا ما جعل المنشغلين بالحقل الاتيقي يعملون على إرساء قواعد تطبيقية اتيقية، في قوالب محورية يسعون من خلالها المحافظة على الإحترام والكرامة الإنسان.

ففي الخطابات العالمية اليوم " **لقد إستطاع الوعي البشري أن يبتكر علاقات عدة في رحلة الوعي الإنساني وذلك منذ أن كان الإنسان مجرد كائن بيولوجي يشكل وجوده جزءا من طبيعة** " [2] . فهذا الوعي الإنساني هو الذي خدم الغايات الإنسانية في البحث عن مبدأ ترسيخ الحياة الجيدة كمفهوم اتيقي، يأخذ منحى عملي، ولذلك نجد العديد من الفلاسفة الذين ساهموا في إرساء القواعد الأولى للوعي الإنساني ومن بينهم الفيلسوف كانط الذي يسمى في الفكر الغربي فيلسوف الكرامة، وهذا تعبيرا لمدى تجلياته في إرساء قواعد اتيقية في الحياة الإنسانية، ظف إلى ذلك ليفيناس الذي أعطى منحى آخر للفلسفة، من خلال الإيروس والذي يمثل أيضاً قالباً فلسفياً قائماً بذاته، وأيضا نجد الفيلسوف فرونس وداغوني الطبيب والفيلسوف الذي إهتم بالجانب البيولوجي مثله مثل جورج كانغيلام الذي إعتبر أن الحياة

[1]–هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي درو الديانات في السلام العالمي، مرجع سابق،ص8.

[2] –غيورغي غاتشف ،الوعي والفن ،تر: نوفل نيوف ،عالم المعرفة ، (ب ط)، (ب ب) ، 1990،ص07

ليست مجرد التحكم في التقنيات البيولوجية فقط، بل هي أيضا إرساء لقواعد اتيقية تتحكم في هذه التجارب الطبية كما كان يسميها كلود برنازد، والذي يعتبر أبوا الثورة الطبية البيولوجية بكتاباته التي اشتهرت بالتجريب الطبي على الكائن الحي، وهذا ما تعلمه من أستاذه فرانسوا ماغندي.

العلاقة الاتيقية بين الكرامة والإحترام :

مفهوم الإحترام:

لقد وردت كلمة الإحترام في المعجم الوسيط مرادفة لكلمة " **كرمه**"[1] ، والمقصود بالإحترام عند قولنا " **إحترم الشخص هابه والإحترام شعور خاص يتضمن الإعتراف بما لبعض الأشخاص أو المثل العليا من قيمة أخلاقية...فالإحترام هو الإمتناع عن التفريط فيما يجب القيام به من حق القانون أو الشخص** "[2] فالإحترام هو الحفاظ على إحترام الأفراد لحقوقهم وواجباتهم وحرياتهم وحتى معتقداتهم لأن الإنسان يجب أن يعامل بكل إنسانية بعيدا عن كل تفكير متطرف.

أما بالنسبة لتعريف كانط للحرية أنها قيمة من القيم الأخلاقية، وهي فن يستعمل في معاملة الأشخاص، لكونه يعتبر أن الذات الإنسانية في غايتها هي الإمتناع عن فعل ما يضر ويقول " **أن الإحترام دين لا بد من تأديته إلى من يستحقه، مع أن الانسان من حيث هو كائن طبيعي بعيد عن التقديس إلا أن الإنسانية الممثلة في شخصيه يجب أن تكون مقدسة**"[3] يحاول كانط نشر إلزامية المبدئ الأخلاقي، المتمثل في الواجب. أحترام الأشخاص وتقديس إنسانيتهم، الموجودة داخل إنسانية الفرد.

---

[1]– المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص199

[2]– صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، ب ط، دار الكتاب اللبناني، دمشق،1982، ص 41

[3]– نفسه، ص41

أما بالنسبة للفيلسوف **قيد وروند guy Durand** *يرى أنه من الصعب تحديد مفهوم دقيق للإحترام بتصوره " **أن الشخص الإنساني يتصل مع مفهوم الكرامة، والكرامة الإنسانية تتواصل مع إحترام الأشخاص، فكرامة الجسد الإنساني سواءاً كان بالغاً أو جنيناً يجب أن يعامل بكل إحترام لذلك من الصعب أن نساوي بين قاتل الإنسانية وبين البرئ "**[1] إعتبر الفيلسوف أن عمله ينطوي تحت مضلة الحفاظ على كرامة الإنسان، سواءاً كان بالغ أو جنين لم يرى النور بعد، فالأمل الكبير الذي يعد به اليوم علم البيولوجيا والتقنيات المستحدثة، هو أن يجعل من البشرية الغاية الأساسية والمطلقة في العالم، إلا أن الإنجاز العلمي قام بشرخ علمي اتيقي، ولذلك أصبحت البشرية تبحث عن طفل كامل بمميزات جينية تختارها الأسرة وهذا ما يحيلينا إلى البحث عن ماذا يمكن أن يكون ما بعد الإنسان، لأنها إبادة للإحترام وللكرامة الإنسانية بالمفهوم الشامل.

أما ديكارت يعرف الحرية على أنها "**أعلى مراتب الكمال عند الإنسان هو أنه حر الإختيار وهو أيضا الذي يجعله خليقا بالمدح والذم**"[2] فالحرية عنده لها معنى كبير في حياة الإنسان، لكونها تحول الإنسان من أسير لرغباته وشهواته، إلى سيداً يعمل ويتطور ويرتقي بفضل عقله والإرادة هي العامل الأساسي لذلك التحرر.

ومن القيم الأخلاقية التي يجب أن ترسخ في المجتمعات عامة، والتي تؤسس إلى إحترام وكرامة في نفس الوقت هي كما يدعي هانس كينغ : [3]

إحترام الإنتماء الذاتي دينياً كان أو اجتماعياً أو سياسياً.

إحترام التعددية الدينية والفكرية والثقافية في المجتمعات.

---

* فيلسوف ورجل قانون من كندا ، ولد سنة 1933، شغل منصب مدير جامعة مونتريال ، درس الطب والاتيقا.

[1]– Guy Durand, **Introduction générale à la bioéthique**, Les éditions du Cerf, 1999, p405.

[2]– عبد المنعم عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، مرجع سابق، ص410

[3]–هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي درو الديانات في السلام العالمي، مرجع سابق، ص ص 10/9.

العمل الجيد من أجل نشر السلام .

السعي إلى إحلال العدل بين الناس .

العمل على إحترام البيئة والمحافظة على الإنسجام بين الناس والطبيعة.

فالكرامة الإنسانية لها العديد من المجالات التي تتداخل فيها " **إن تمهيدنا لأن الكرامة الإنسانية نوعية نظام بناء موضوعي تدخل دائرة نظام إنساني انتروبولوجي، فلإحترام هو قاعدة اتيقية أخلاقية بإمتياز، لأن النظام الموضوعي والأنتروبولوجي كلاهما حوار اتيقي إنساني كامل، ومهما إنتشرت هذه القيم الأخلاقية والإنسانية (الكرامة والإحترام) إلا أنها لا يمكن أن تشمل الإنسانية جمعاء** " [1] فمهما إحترمت البشرية كرامة الأفراد من جميع النواحي، وعملت على الإلتزام الفعلي لحريات الأفراد وانتمائاتهم، هذا لاينفي أن الإنسان لازال مهمشا في واقعنا اليومي، وخير دليل على ذلك الجانب السياسي والجانب الطبي. ولا زلنا بعيدين كل البعد عن بعث تلك الروح الاتيقية في مستشفياتنا اليوم، وهذا مانتج عنه العديد من الأخطاء الطبية الفادحة، والتي أدت بموت العديد من الأفراد، أو تعرضهم إلي عاهة مستديمة في حياتهم.

أما بالنسبة للمجال السياسي نجد أن الفقر والتعذيب أفشى مفاهيم عدوانية بين المجتمعات وأدخلها تحت دائرة التناحر، فأصبحت الدول التي لا تملك قوة بيولوجية مهددت في حياتها الإنسانية، هذا سياق السياسي نجد أن كل من الفقر والتعذيب هي ظروف غير إنسانية تفقد الإنسان إحترام لذاته كإنسان وذات، فالعديد من الايديولوجيات اليوم تعترض الإنسان في العيش كريماً وهذا ماسبب العديد من الأزمات في شتى المجالات .

[1] –Gyn Durand, **Introduction générale à la bioéthique**, Les éditions du Cerf, 1999, p397

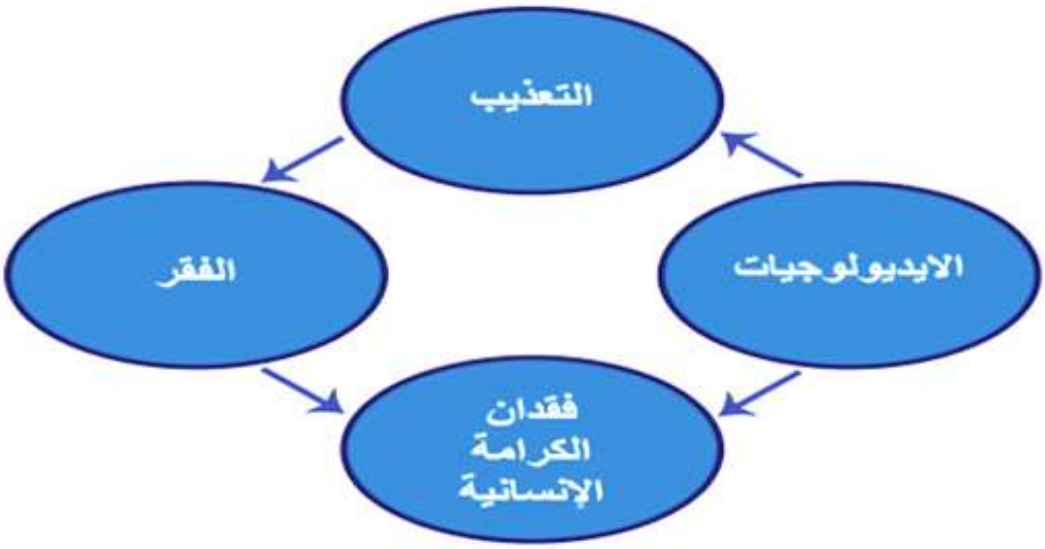

يبين لنا هذا المخطط(من إنجازي) أن فقدان الكرامة الإنسانية، ناتج عن ظروف قاهرة تتمثل في التعذيب والتهميش والفقر، لأن إنتشار الإيدبولوجيات ساهم بشكل كبير في فقدان إنسانية الإنسان. فقد أصبح الإنسان يعيش من غير ذات و كرامة.

يرى صبحي المحمصاني " **إن كرامة الإنسان هي تنوع كل الحقوق فهي دليل إنسانية البشر** ..."[1] إذا الكرامة الإنسانية هي في الحقيقة بداية فعلية وأساسية لكل مشروع اتيقي يحاول أن يقر قواعده الأخلاقية لحياة أكثر إنسانية "**أن عمق التفكير الاتيقي اليوم يتضمن المجال الذي خصص له، هذا المجال من ناحية التربية الأخلاقية لأن معاناة الإنسان دائما تطرح مشكلات جديدة** "[2] وهذا ما تؤكده القيم اليوم في بحثها عن أسس ايتقية تحاول أن تخرج هذا الإنسان من المعاناة التي أوصلته لها التقنيات الغير مراقبة، والتكنولوجيات المهددة للكيان الإنساني في جل إستعمالاتها، فصارت تهدد مصير الإنسان، لذلك يؤكد جان بيرنارد في كتابه البيولوجيا والاتيقا، أنه من الضروري ربط التصورات الاتيقية مع المبدأ العام

[1]– فتحي جوهر المزوري، كرامة الإنسان في الكتب السماوية ،مرجع سابق ، ص44

[2]– Jean Bernard, **De la biologie à l'éthique: Nouveaux pouvoir de la science, nouveaux devoirs de l'homme**, Edition Buchet/Chastel, Paris, 1990, p201

للحياة الطبية للإنسان، "**إن إحترام كرامة الأشخاص هي واجب أساسي وضروري، لإحترام كرامة الأفراد لأنه من الواجب أن يشعر كل فرد بحريته وكرامته لأنها مسعى حقوقي قبل كل إعتبار أخلاقي**"[1] إن الغاية من إرساء المبادئ الإتيقية كالإحترام والكرامة، هي قبل كل شيء حرية ذاتية تبعث جانب أخلاقي في الذات الإنسانية، ولو إنعدمت المساواة الفكرية بين الذوات العارفة، إلا أنه من الواجب أن يحترم كل فرد الذات الأخرى لأنه من دونها لا يستطيع التواصل والإستمرار في الحياة، فإحترام الإنسان لحرية الآخر وكرامته؛ هي في الحقيقة إحترام لكينونته التي تشعر بإحترامها من خلال الآخر.

وقد قدم جون راولز John Rawls فلسفة تتحدث عن العدالة والمساواة كمبدأ مطلق للحياة الإنسانية يقول جون راولز* " **ينبغي أن يكون لكل شخص حق مساويا في المنظومة الأوسع للحريات الأساسية للجميع، وأن يكون الحق ملتصقا مع المنظومة ذاتها للآخرين**"[2] فالحريات عند جون راولز تنقسم إلى أساسين، منها التي يمكن للإنسان أن يستغني عنها، ومنها ماهي متشبة بالإنسان، لأن الإنسان لا يمكنه العيش بدون حرية الفكر أو التعبير وغيرها من الحريات، التي تعتبر حريات تضمن للإنسان كرامته " **فالكرامة على ضوء الحرية هي سمة لمشروع اتيقي يبحث وراء الأفق البعيد الذي يحاول أن يقر مبادئ وقيم لا نهائية عالمية** "[3] فهذه وضعية جديدة تستدعي بناء قيم أخلاقية عالمية، والبحث عن أفق تتحدى بها الإنسانية ذاتها، وتؤسس لما ينبغي أن يكون.

---

[1]–Jean Bernard, **De la biologie à l'éthique: Nouveaux pouvoir de la science, nouveaux devoirs de l'homme**,ibid, p200.

* فيلسوف أخلاقي ولد سنة 1921، وتوفي سنة2002من أهم مؤلفاته نظرية العدالة

[2]–جاكلين روس،الفكر الأخلاقي المعاصر، مرجع سابق، ص143

[3]– Jean Bernard, **De la biologie à l'éthique: Nouveaux pouvoir de la science, nouveaux devoirs de l'homme**, ibid,p201.

كانط فيلسوف الحياة والكرامة :

تعتبر الحقبة التي ظهر فيها الفيلسوف كانط في تاريخ الفكر الإنساني بمثابة التحول الجذري لكل ما عاشته الإنسانية من قبل، ويعود الفضل في ذلك إلى كانط الفيلسوف الذي قدم فلسفة تنويرية في المجال الأخلاقي خاصة، وقد إنتقل الخطاب الفلسفي في حياة الفيلسوف كانط إلى الإهتمام بالإنسان وكرامته وحريته، وهذا ما ساهم في بلورت العديد من المفاهيم التي لم تكن سائدة في فترة سابقة. وجعل الفكر يشهد تحولا من وعيه العقلي إلى وعيه الحسي الذي إقتصر على الشعور بالشيء فقط . وهذا ما جعل من كانط يقدم أفضل ما لديه في الأخلاق التطبيقية، من الفكرة التي مفادها أن نبحث عما يجب أن يكون وليس ما هو كائن.

وبالإضافة إلى ما قدمه كانط في مسيرته الفلسفية لبناء إنسانية الإنسان على أساس الإحترام والحفاظ على الكرامة الإنسانية داخل الفكر الفلسفي، وهذا ما جعل العديد من الفلاسفة يسيرون في نفس النهج، الذي سار عليه كانط آملين أن يحققوا الغاية المطلقة لفلسفتهم الحياتية، فيمككنا أن نتسائل عن مدى راهنية فلسفة كانط في الأخلاق التطبيقة اليوم ؟

لقد عمل كانط دائماً على فتح الأفق العملي والفعال للحياة الإنسانية عن طريق إرهاصاته الأولى لبناء الفلسفة التطبيقية، ونظراً لتنامي الوعى الأروبي، بعدما كانت أوروبا تعيش الظلم وسيطرة الكنيسة، فقد كان ميلاد كانط في الحقيقة هو ميلاد للإنسانية وللمفاهيم القيمية أنذاك في أوربا، لأن الظروف التي كانت تعيشها، دفعتها لإيجاد حلول عملية تخرجها من قصورها الفكري، وهذا ما خصص له كانط فلسفة قائمة بذاتها، إذ أن الإنطلاقة الأساسية لكانط كانت بحثه عن ماينبغي أن يكون.

إن الإتجاه الذي سار فيه الفيلسوف لبعث فلسفة جديدة تواكب التغيرات الحاصلت في أوروبا محاولا التأسيس لفلسفة أخلاقية*، نتيجة الواقع الذي طغت عليه التقنية في جميع النواحي " **فالخطاب الفلسفي اليوم يسمى هذا الفيلسوف بصاحب أنطولوجيا العصر لكونه إرتقى بالحداثة إلى مستوى وسلوك اتيقي** "[1] واللافت للنظر أنها وجدت فلسفة اتيقية كانطية ساهمت في بعث أسس جديدة للمعيش اليومي، وهي التي إهتمت بالكرامة الإنسانية التي أصبحت محوراً أساسياً خاصة في الخطاب الأخلاقي التطبيقي الراهن، فقد أكد كانط على ضرورة إسهام الفرد في واقعه اليومي شرط محافظته على كرامته، وهذا ما دفعه لربط فلسفته بالحياة الإنسانية من خلال أخلقت الحياة. إن هاجس البحث عن من هو الإنسان، يدفعنا للبحث عن مستقبله؟ فالحاضر يرتبط بالإنسان لأنه لا وجود لإنسان من بدون حاضر، فيقول كانط " **إن هذا الأنا قد يمكن أن يؤخذ على معنيين : الأول هو الأنا من حيث أنه إنسان وهو مايقصد به موضوع الحس الباطن والظاهر، والثاني الأنا من حيث هو العقل فهو موضوع للحس الباطن فحسب** "[2]،فلإنسان عند كانط يجب أن يجمع بين الحس الباطني والخارجي معاً، إن هذا التعريف الكانطي أضاف الكثير للفلسفة الإنسانية التي عرفت تطوراً كبيراً في المفاهيم والمرتكزات مع الفسليوف كانط، ولذلك أقر وجوب معرفة الإنسان لذاته أولاً، وأكد على ضرورة التمسك بالمشروع السلام الدائم*، فقد إنطلق أن

---

* فالأخلاق تعني السلوك تحت السيطرة العقل الفاعل بهذا السلوك يحقق ذاته لحق ، وليس معني ذلك أن كل فعل إراذي لا بد من أن يكون فعلا أخلاقيا لأن الفعل الارادي ليس إلا تحقيقا لذات الفاعل فحسب ، وكلما سار المرء في أفعاله وفقا للعقل سما من الناحية الأخلاقية(أنظر: عبد الغفار مكاوي، المدخل إلى نقد العقل الخالص، أوراق فلسفية، مرجع سابق، ص39).

[1]–أم الزين بنشيخة المسكيني، كانط راهنا أو الانسان في حدود مجرد العقل، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، ص18

[2]– فتحي المسكيني ، كانط بعد هايدغر ، مرجع سابق ، ص194

* مشروع السلام الدائم : هو مشروع أقامه كانط من خلال إرساء مجموعة من القوانين التى من خلالها ينتشر ويعم السلام بين الأمم والشعوب.

المشروع يبدأ من الإنسان في شخصه ليصل للإنسانية لغاية كونية، فالإنسان كما ينظر إليه كانط كمشروع لبناء إنسانية عالمية. في ظل إنشاء قانون عالمي يحكم البشرية جميعاً، لأنه جاء للإعلاء من شأن الإنسان والإرتقاء بكرامته وإنسانيته لمستويات أفضل، فلم يميز جنساً عن الأخر، بل جاءت فلسفته للإنسانية والبشرية جمعاء بغض النظر عن الجنس والعرق وذلك بجملة من المبادئ، من بينها مبدأ إحترام الذات والآخر.

ومن المؤكد أن التفكير الأخلاقي واكب التطور الإنساني عبر جميع مراحله، وهذا ما دفع بكانط للبحث عن مجال عملي في فلسفته" **إن التشبع الذي نجده عند الفيلسوف كانط في المجال الأخلاقي والمجال الاتيقي التطبيقي يتمثل في أخلاقيات عديدة** " [1] التي تستدعي منا التمسك بفلسفة كانطية إيتيقية، والعودة إلى مشروع السلام الدائم الذي أراد من خلاله كانط أن يرتقي بالإنسان من مرحلة التدني إلى مرحلة السمو الإنساني ولقد ميز كانط بين شيئين أساسيين وهما: الشيء الذي لديه ثمن والمتثمل فيما يمكن تعويضه، من خلال قيمة معادلة له، والشيء الثاني ليس لديه ثمن ونقصد به الكرامة، فنستخلص أن الأشياء التي لها ثمن هي أشياء محدودة يمكن التحكم فيها. فيبدوا لنا أن خصوصية الإنسان في تجربته العملية، أعطت صبغة إتيقة لفلسفة جديدة، تبعث للبحث عن قيمة العالم المعاصر الذي يشهد ثورة إنسانوية معاصرة .

[1] – Guy Durand, **introdiction générale à la bioéthique**, ibid, pp 397/398

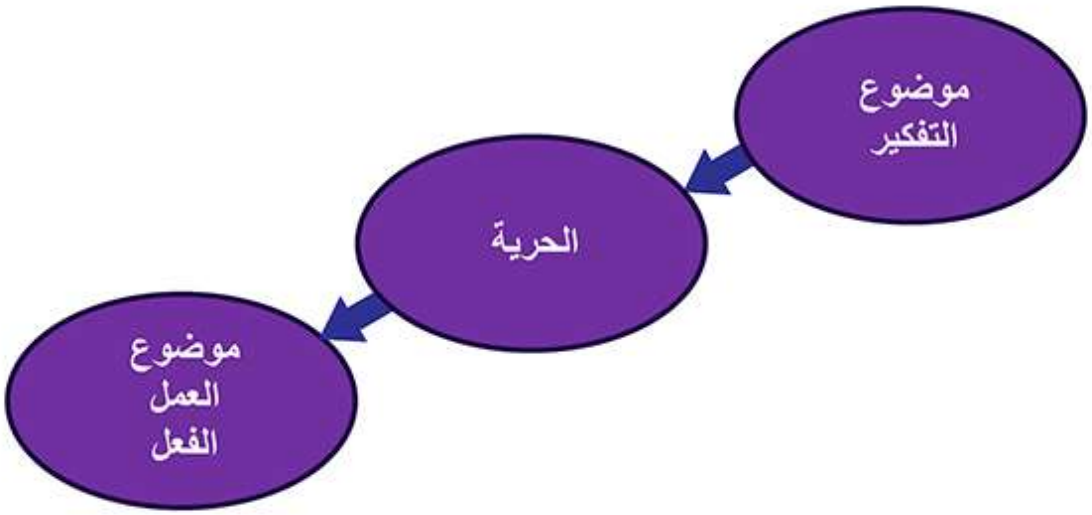

تتضح لنا مدى الأهمية التي أولاها الفيلسوف كانط لموضوع حرية الإنسان فالحرية تتوسط متغيرين، هما موضوع التفكير أولا والفعل الأخلاقي ثانيا، فإذا أردنا أن نتحدث عن صفة الفعل الأخلاقي أو الفعل في حد ذاته؛ نجد نظرية الواجب تحدد لنا هذا الفعل ولذلك يقول كانط الواجب لأجل الواجب وليس لأجل غاية أخرى، وذلك يدفعنا لتساؤل هل الإنسان حر ؟ وهل الإرادة الإنسانية حرة ؟

إنطلاقا من هذا التساؤل المهم في فكر كانط الأخلاقي والإنساني، نجد أنفسنا أمام تجربة كانطية تلغي التجربة التي تقر بالحتمية، فهو يلغي هذا المبدأ عن الإنسان، ويرى أن الإنسان إذاوصل إلى موضوع العمل فهو في الحقيقة يبحث عن الجانب الايتقي، لأن العمل ما هو إلا إنعكاس على الواقع التطبيقي اليومي، والمتمثل في الفعل الأخلاقي الخالص. فالحرية عند كانط هي صفة عقلية تم ربطها بالفكر وفي نفس الوقت مرتبطة بالعمل والفعل الاتيقي. ولذلك وجب علينا المقاربة بين أخلاق الواجب والأخلاق التطبيقية فيما يلي:

نظرية الواجب بين الأخلاق الكانطية والأخلاق التطبيقية :

من العبارات الأساسية التي مهدت لأخلاق الواجب في فلسفة كانط، هي العبارت المشهورة الواجب من أجل الواجب، أي إفعل الواجب كأنه غاية في ذاته، وليس لأي غرض آخر، لأن الطبيعة الإنسانية تحاول تتحقيق غايتها الإنسانية التي وجدت لأجلها، والإنسان لن يتمتع بإنسانيته إلا عن طريق مرجعية إتيقية، فقد تناول أيونج " **نظرية كانط الأخلاقية بإعتبارها المقابل المنطقي للنظريات النفعية، فهي نظرية لا تعلق قيمة الفعل على شيء خارجه وإنما تحددها بقيمة أصلية، فقد كان الإسهام الأساسي لكانط في تطويره لفكره**"[1] فالمبدأ الكانطي الأخلاقي يقوم على إرادته في إختيار مصدر أفعاله وتوجيهيها بحسب الغاية المراد الوصول لها، وهذا ما يساير مبدأ الموافقة الواعية .

إن القيمة الأخلاقية الأساسية لفلسفة كانط هي أن يشعر الفرد بحريته، ضمن إطار ومجال غير محدود فإذا أحس الفرد بقيمته الذاتيه بإعتماده على مبدأ الإستقلال الذاتي تحققت له حقوقه ولذلك " **تضمنت الفلسفة الكانطية الأخلاقية فكرة محورية قاعدية أن العديد من المبادئ والقيم تحاول حماية الانسان و إحترام حقوقه الروحية قبل المادية** "[2] فإحترام الأفراد لبعضهم البعض هو واجب أخلاقي ضروري في جميع محطات فلسفة كانط لكونها تقوم على الحرية والمسؤولية، لأن الفعل هو الذي يرقى بلإنسان ويلزمه بمسؤوليته اتجاه نفسه والآخر ولذلك وجب المحافظة على الإنسانية إنطلاقاً من هذا المبدأ الأساسي. الذي يضمن للإنسانية مجالا يمارس فيه مسألة الإلزام الأخلاقي،الذي قاعدتين أساسيتان هما الحرية الفردية والمسؤولية الجماعية.

---

[1] –أ.س.أيونج، الواجب من أجل الواجب، تر: محمد مدين، أوراق فلسفية، مرجع سابق،181

[2]– Guy Durand, **introduction générale à la bioéthique**, Les éditions du Cerf, 1999, p316.

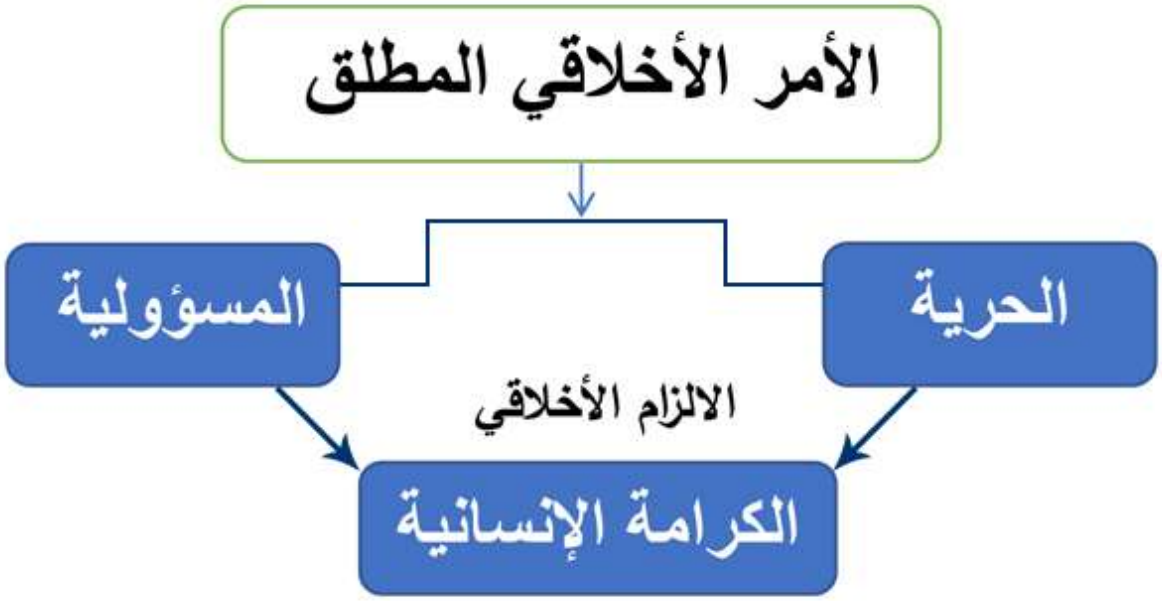

إن ما قدمته فلسفة كانط الأخلاقية، والتي تضمنت الأمر الأخلاقي المطلق، إنعكست على الحرية الإنسانية، والمسؤولية، اللتان حاولتا العمل على إبراز دورهما في بعث كرامة إنسانية، فالمنطلق الفسلفي الذي إنبثق عن الأمر الأخلاقي إنعكس بصورة إيجابية على الكرامة الإنسانية. فالبداية التأسيسية الفعلية الأولى لكانط لأخلاق الواجب كانت على أساس نقد الدين والميتافيزيقا بشكل دقيق، لكونهما كانتا من بين الدعائم التي قامت عليها الكنيسة في فترة العصور الوسطى، والتي سادت فيها سيطرة الكنيسة على زمام الأمور لأن العلم والعلماء في أوروبا كانوا تحت السيطرة المطلقة لرجال الدين " **فنجد في هذا الصدد عالم النبات السويدي كارلوس ليتيوس الذي قدم تصنيفا جديداً لعلم النبات يقوم على أساس جيناتها في كتابه نظام الطبيعة عام** 1835"[1] لقد إعتبر كانط أن ما جاء به العالم السويدي كان إضافة علمية في مجال الطبيعة، وهذا ما يدل على أن الطبيعة هي الأقدم زمانياً وتاريخياً عن الكتاب المقدس، وهذه كانت بمثابة الصدمة للفكر الكنسي آنذاك، رغم أنه كان يؤمن أن لهذه الطبيعة صانع هو الله، وهذا ما أدانته كلية اللاهوت بباريس، معتبرة أنه خروج

[1]–كرستوفروانت ، تر:امام عبد الفتاح إمام، ط1،م جلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2004 ،ص ص (17،19)

عن العالم الموجود، إن المعامل الرئيسي لإقامة قانون أخلاقي هو العقل والعقل عند كانط هو ما يخالف الموقف التجريبى والموقف العقلاني، أما بالنسبة لديكارت فقد عرف العقل العقل هو أعدل قسمة بين الناس، من هنا يؤكد ديكارت أن العقل هو ملكة فطرية بين الناس موزع بينهم بتساوي، لدرجة أنه إعتقد أن العقل هنا يمتلك الأفكار والمبادئ التي وجدت في اللعقل الانساني منذ الأزل. أما الموقف التجريبي الذي يقر بأن العقل لا يمكنه أن يصل للمعرفة من غير تدخل الحواس في عملية الإدراك، ولفهم ذلك إعتمد أصحاب هذه النزعة التجريبية، التأكيد على عامل أساسي و هو الحواس، وإنطلقوا من فكرة مفادها أنه لو كل الناس يولدون وفي عقولهم أفكاراً فطرية مثلما إعتقد أصحاب المذهب العقلي، لتساوى جميع الناس في مستويات المعرفة فيما بينهم، وهذا ما جعل جون لوك يرفض وجود هذه الأفكار الفطرية لدى الإنسان . و قدم كانط ثلاث حجج للعقل [1] :

حجة القيمة : لو أن العقل لا يفيدنا إلا في تحقيق الغايات للطبيعة فلماذا نكون له قيمة سامية .

حجة الخلف : الطبيعة إذا وضعت ثقتها بالعقل لكانت قد أخطأت في وضع ثقتها بالكائن الذي لديه عقل .

حجة تنازع : لو لم يكن العقل غير ملكة للوسائل فكيف كان يمكن إعطاء نوعين من الغايات أن يتعارضا في الإنسان.

وهذا ما ينبهنا لمسألة أساسية مفادها أن غاية العقل عند كانط تكمن في العقل نفسه وهو ما إصطلح عليه كانط مصالح العقل*.

[1] جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، (ب ب)،1997،ص7

*المقصود بمصالح العقل عند كانط هي الاهتمامات أنظر: جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، مرجع سابق،ص8

وبهذا حاول كانط أن يطعن في جميع تلك المفاهيم التي جاء بها المذهب العقلاني والمذهب التجريبي حول أولوية العقل والحواس للوصول إلى المعرفة، إلا أن المذهب النقدي للفيلسوف هو ما جعله يحاول أن يجمع بين النوعتين ويرتقى بالعقل إلى أبعد حدوده ففي نظر كانط أن غاية العقل تخرج عن نطاق التجربة والكنيسة، فالعقل هو الحاكم الوحيد الذي يستطيع به الإنسان أن يحكم بين الأشياء، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يصدر أحكاما لكون الأفكار تنشأ بداخله لوحده وهذا ما يجيز له القدرة على إعطاء قيمة للأشياء أو إبطالها.

وفي نفس السياق " **فالقانون الأخلاقي يشترط وجود العقل لذاته** "[1] فلا وجود لأي قانون تنظيمي توعوي إلا من خلال إشتراط وجود عقل فاعل (عملي) يؤكد على مصلحة الإنسان داخل الإنسانية وهذا ما يؤكد قوله " **نحدس بأن نقد العقل العملي سوف ينموا بالتوازي مع نقد العقل الخالص**"[2] إن القاعدة الصلبة التي تحاول ترسيخ فكرة القانون الأخلاقي هي الفكرة النابعة من العقل وذلك من خلال التسليم أن القانون هو الذي يحمي الإرادة وهو الذي يحقق الإحترام وخاصة الكونية التي طالما سعى لتحققها داخل قالب ايتيقي قد تنبئ به " **إن كل إنسان لا بد أن يسلم بأن قانونا يراد له أن يكون قانونا أخلاقيا أعنى قاعدة الإلتزام**"[3] لكون هذا الأخير يضمن المرجعية الايتقية للفرد والإنسانية، فالقانون الأخلاقي هو الذي يتأسس على مبادئ عالمية تضم كل الأفراد دون حدود، فيري كانط "**أن الإحترام الذي أحمله للقانون الذي أشرعه لنفسي هو وحده الذي يجعلني أنفذ الفعل ما يأمر به الأمر الأخلاقي المطلق العقل** " [4] فلإحترام ذاتي ومسؤوليتي إتجاه كرامتي لن تتحقق إلا بمساهمة

---

[1]– جيل دورولز، فلسفة كانط النقدية، مرجع سابق، ص14

[2]– نفسه ، ص15

[3]– ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق،تر:عبد الغفار مكاوي،،ط1،منشورات الجمل ،ألمانيا ،2002،ص22

[4]– نفسه، ص ص(12/11)

القانون الأخلاقي، الذي أجعله غاية تبحث عما يجب أن أكون عليه في المستقبل، لأحرر نفسي من كل إعتقاد يبعدني عن إنسانيتي.

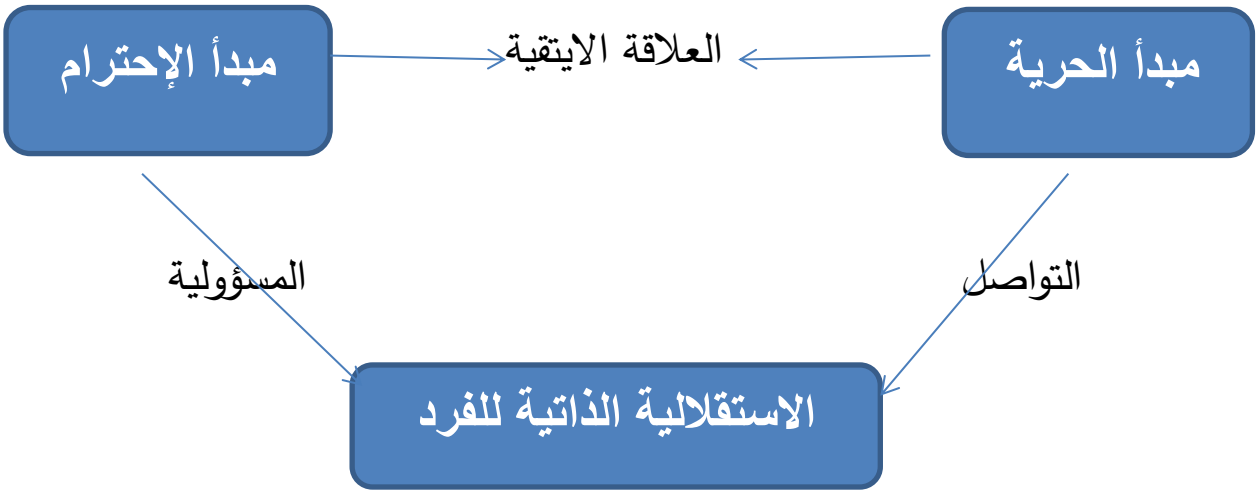

إذا أن الفعل الأخلاق المطلق يكمن في مقولة كانط " **إفعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك لإعتبار أنه إنسان ويجب أن يتمتع بنفس الحقوق التي تتمتع بها ولا تعامله أبداً كما لوكان مجرد وسيلة " لكن ينبغي أن تكون بضرورة الخير الأسمى والشرط الذي يتوقف عليه كل خير أسمى بما في ذلك النزوع إلى السعادة** "[1] فالفعل يكمن في الشخص الذي نتعامل معه بشكل من الإحترام والقيم الأخلاقية، التي تسعى للحفاظ على الحقوق التي لن يستطيع الفرد العيش من دونها.

إن من مهام الإنسانية جمعاء " **محافظة الانسان على حياته واجب** "[2] لكونه قيمة ذاتية فالإنسان كلما إستطاع أن يقدم يد المساعدة (الإحسان) للأخر فهذا واجب في حد ذاته لأنه يعيش داخل دائرة الانسانية ولا يجب أن يخلوا من الصفات الأخلاقية التي تنشد له

[1] – ايمانويل كانط ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، ص43

[2] – نفسه، ص46

الصلاح، فهذا تأمين لسعادته الذاتية وواجب، فالواجب هو ضرورة القيام بفعل يبرهن أن الإنسان اليوم يحترم القانون، وأي قانون، إنه القانون الأخلاقي المطلق في غاياته، فالواجب هو إحترام بالدرجة الأولى للقانون، والواجب الكانطي هو: الواجب :هو ضرورة أداء فعل الإحترام للقانون الأخلاقي .وصفاته :

1 . إلزامي : لكن إلزامه ليس إرغاماً لأنه لا ينفي الحرية لأن العقل هو الذي يمليه على الإرادة .

2 . مطلق : أي أنه غاية بذاته ليس وسيله لغاية أخرى وهو منزه عن أي غرض .

3 . كلي : أي أنه قاعدة شاملة وأمر موجه لكل إنسان في كل زمان ومكان .

نستخلص أنه مدام العقل يحاول تسليط الضوء على الارادة فإن الخير الأسمى هو ضرورة مطلقة لذلك يتوقف كانط عند ثلاثة قضايا يمكن أن توضح لنا معالم فكرة الواجب وهي :[1]

القضية الأولى : أن يضمن الإنسان سعادته الخاصة.

القضية الثانية : يجب أن تحدد الإرادة الحسنة من خلال مبدأ صوري للإرادة.

القضية الثالثة : الواجب هو ضرورة أن ينجز الفعل في إحترام القانون

تتميز الكرامة الإنسانية بإرتباطها الوثيق بما نادى به الفيلسوف كانط فقد تطرقة الفلسفة الكانطية بمفاهيم قيمية نادت بها الأخلاق التطبيقية اليوم مثل الإحترام والحرية والكرامة الإنسانية والواجب الأخلاقي، كلها قيم حاولت أن تعيد هيئة الإنسان الذي فقد ذاته وكينونته في العصور الوسطى، وحاولت الفلسفة الكانطية إعادة إحياء هذا الشخص في كل إنسان

[1]– أحماد اليعقوبي، مقال الكتروني بعنوان: من الواجب إلى مفهوم الشخص نموذج كانط ، تاريخ2016/07/28www.anfasse.org –

يخاطب كينونته الصادقة، بمفاهيم إنسانية أقل ما يمكن القول عنها أنها جاءت لمناهضت فلسفة الحياة، التي عانت في خضم مدرسة اللاهوت الغربي الأوروبي، الذي وضع الإنسان في درجة، أقل وعي وأقل تكريم وهذا ما يتنافى مع القيم الإنسانية، فالواجب الأخلاقي والإرادة والخير الأسمي والعقل كلها كان لها الدور الأساسي في فلسفته، الذي إعتبر أن الحياة لا يمكنها أن تخرج عن مصاف الحرية والإحساس بالمسؤولية، إن ماقدمه كانط أحدث ضجت عالمية وهو ماسماه بالكونية، وهذا ما مهد له بمشروع السلام الدام .

إن الجذور الفلسفية لإرهاصات الأخلاق التطبيقية يمكن أن نقر أن باياتها وجذورها الأولى كانت مع الفيلسوف كانط ثم إستمرت مع فلاسفة مابعد الحداثة، فكانط أكد على الواجب " **تتطلب منا ذواتنا المتمثلة في أخلاق الواجب أن نحترم شخصنا، في بعض قواعد العمل، مثل الشرف الوفاء بالوعود وعدم الكذب وعدم إذلال الآخرين وعدم قتل الأبرياء**"[1] فالأخلاق المعيارية؛ أو ايتقيا ما بعد الأخلاق تفتح أمامنا الآفاق للبحث عن الأصول والثوابت الايتقية، التي ينشد الإنسان من خلالها الخير المطلق، والوفاء في ذاته، وهذا مايفتح لنا مجالاً للبحث عن الكرامة الإنسانية، فعندما نقول يجب أن لا نقتل الأبرياء؛ نحن هنا نرسخ لمبدأ إحترام الآخر[2]. وإن للمصادر الأخلاقية تصنيفات مثلما يجيزها **توماس تاغل tomase tagel** حيث أنه يعتقد أن جل هذه المصادر قيماً مطلقة :[3]

1 الحقوق العامة وهي عدم تعريض الأفراد إلى الإعتداءات.

2 الواجبات الخاصة والمتمثلة في الوعود ومعاملة الغير بالمثل.

---

[1]– مونيك كانتواوآخرون، الفلسفة الأخلاقية، تر:جورج زيناتي، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، (ب ب)،2008 ص78

[2]– نفسه ، ص115

[3]– نفسه، ص89

3 الإلتزامات الشخصية وهي أن نفتح مجال الإختيار أمام الأفراد .

4 إحترام عواطف الغير وميولاتهم ورغباتهم في إختيار الأشياء.

5 البيان والذي يتمثل في الإرادة الحرة والخيرة في الأساس.

ليفيناس والموت من أجل الآخر :

قدم ليفيناس في كتاباته الإنسانية إهتماماً واسعاً بلإنسان والآخر، وهذا نتيجة المشهد الذي شهده العالم بعد الحروب التي تولد عنها صخب ثقافي أدى إلى التغريب أكثر من التلاقي، وهذا ما سعت الفلسفات الإنسانية حسب ليفيناس أن تتقدم به، لمواجهة تجارب الحياة من منطلق الحفاظ على غيرية الآخر " **التجربة الإنسانية ليست سوى ماهية تحقق جلاءها بنفسها وليست كوجيطو خالصا فهي تتجه صوب شيء في العالم يشغلها** "[1].لأن الوعي الذي بحث عنه ليفيناس ربطه بالفينومولوجيا، إذاً هذه الأخيرة هي التي تضبط الوعي الذاتي وتموقعه في العالم، الذي نتفاعل فيه بشكل دوري ومستمر. إن التفاعل الإنساني عند ليفيناس يكمن في إختبار المعقولات في العالم وهذا ما جعله يقر بمعقولين أساسيين في هذه التركيبية الإنسانية :[2]

المعقولية الفينومولوجية .

المعقولية الأخلاقية .

إذاً العلاقة بينهما (الأخلاقية والفينومولوجيا) تكمن في الإنتماء والتداخل في العالم فكل شيء يدخل داخل هذا الحيز الكوني في الحقيقة ماهو إلا معقولية فينومولوجية، أما الأشياء

[1]– ليفيناس، مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس، تر:إدريس كثيروعز الدين الحطابي ، ط1، منشورات الإختلاف،2013،ص7.

[2]– نفسه، ص14 .

الخارجة عن العالم أي التي لا دخل لها في المجال الإنساني هي معقولية أخلاقية، فلا يمكن أن تتحدد. وذلك يؤكد أن التفكير الإلهي يجب أن يكون داخل هذه العلاقة الاتيقية من خلال إلغائه لوجهة نظر الأنطولوجيا والوجود " **يجب التفكير في الإله ضمن هذا المنظور وليس المنظور الأنطولوجي، لوجودنا هنا أو لوجود مبدع أسمى مترابط مع العالم كما أكدت المتافيزيقا التقليدية ذلك غالباً** "[1] إن الفلسفات اليونانية التي تعد فلسفات تقليدية كانت ترجع الأسباب الأولى للوجود من خلال العلل الأولى للموجودات، إذاً إن العمل الذي قام به ليفيناس في الفلسفة الجديدة التي إرتقى بها لفهمه للآخر، هو إستبداله للبحث عن الوجود (الأنطولوجيا التي كانت سائدة) بسؤال الغاية من وجود الإنسان والإنسانية في العالم حيث إعتبر أنه من الضروري البحث في حياة الإنسان لترسيخ مبادئ وقيم إنسانية، لكي تؤطره داخل الحقل الايتقي وتدفعه لمواصلة فكره وفلسفته داخل الحقل التجريبي والعلمي .

تعتبر الهوية الليفيناسية المتجذرة في فلسفته الايتقية الداعية إلى " **الموت من أجل الآخر**"[2] هذا الآخر الذي يعبر عن ذاتي وكينونتي وأنطولوجيتي، هذا الآخر الذي كان عاملا أساسياً في إرساء قواعد إنسانيتي، هذا ما دفع ليفيناس إلى دمج الغاية الإنسانية بالحياة العملية، التي تمثل بالنسبة له فلسفة ايتقية تحفظ للإنسان كرامته وحريته " **الإنسان لا يلعب دور الذاتية المتعالية في هذه الأنطولوجيا، إنه يقال إنطلاقا من وجوده هنا ومن وجوده في العالم**" [3]. إن العلاقة التي يؤكدها ليفيناس هي علاقة إعادة النظر بين الإنسان والآخر، ووجوب إيجاد علاقة ايتقية تحكمها غاية التواصل بينهما، لأن هذا التواصل يفضي إلى المحفاظ على كرامة الإنسان وإنسانية الإنسان، وهذا ما يجعل فلسفته أكثر إنسانية وتطبيقية في الواقع الإنساني.

---

[1]– ليفيناس، مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس، مرجع سابق ص14

[2]–عادل ضاهر (مقالة بعنوان: ايمانويل ليفيناس)، أوراق فلسفية، العدد17، القاهرة،2007، ص75

[3]– نفسه، ص71

فقد أقر ليفيناس مجموعة من القيم الايتقية التي يجب أن تبنى عليها علاقة الأنا بالآخر (المحبة، الإعتراف، التواصل، الإحترام والإنسانية) وغيرها من القيم الأخلاقية التي تعمل على الشعور اتجاه الآخر بالمسؤولية، وهذا ما أكد عليه ليفيناس في العديد من كتاباته من بينها **éthique et infini** الذي يؤكد فيه" **أنا مسؤول عن المسؤولية الإجمالية التي تلبي للآخرين مسؤولياتهم أكثر من مسؤولتي على ذاتي** "[1]، وقد أضاف ليفيناس عند طرحه لسؤال ما هو البعد الإنساني في الإنسان ؟ أن مبرر الوجود الإنساني هو الإنسانية التي إهتمت بالوضع الذي آلت إليه الإنسانية، بعد إحتكاكها بالتقنية، فقد حاولت فلسفة ليفيناس الحفاظ على المعاني الإنسانية التي تبنتها إيتقيا التواصل مع الآخر، وغرضها إخراج تلك الذات الإنسانية من الظلام الذي سيطر عليها، محاولاً بذلك الأخذ بيد الإنسان إلى الأفق المفتوح؛ والمتضمن عنصرين أساسيين هما(الذات والغير) فالذات الإنسانية هي التي تجعل الإنسان أكثر إيجابية وتفاعلاً في السياق اليومي من حياته، أما الغير هو الذي تتحاور معه الذات حول المعيش اليومي، لأن فلسفة ليفيناس تؤكد على الوجه الذي يعتبر القلب النابض، فالفلسفة الإنسانية تنعكس على أخلاق الأفراد في تصرفاتهم ومعاملتهم لبعضهم البعض لذلك أثرت أفكار الفيلسوف في الأفراد وفي بناء ذواتهم.

يعتبر مسار ليفيناس مساراً مفعماً بإنسانية مفرطة لكونها إ،رتبطت بالفكر الواقعي المستمد من الغيرية التي عبر عليها بعلاقة اتيقية مفادها أن الإنسان هو الواعي الوحيد في الحياة الإنسانية ولذلك " **لقد إعتبر ليفيناس الاتيقا بمثابة نظام لما هو إنساني**"[2] فالتفاعل الذي يمكن أن نستمده من فكر ليفيناس الإنساني، هو أن الأسس الإنسانية مترفعة عن تلك المبادئ التي كانت سائد من ظلم ووحشية، قاصداً بها الظروف التي عاشها العالم في الحربين العالميتين التي شكلت خطراً مهدداً للحياة الإنسانية، ولذلك إعتبر ليفيناس

[1]– Emmanuel Levinas, **Ethique et infini**, 16e éd, Paris, 2011, p95

[2]– ليفيناس، مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس، مرجع سابق، ص31

أن " **الإعتراف بالآخر يمثل إنتقالا إلى الأخلاق، إنتقالا أساسياً لا نرجسياً**"[1] فالأخلاق لها مسؤوليتها المشروطة والمشروعة داخل الحقل البيواتيقي، الذي يستند إلى العلاقات الواضحة في الأنطولوجيا الإنسانية، لأنه لا يمكن أن نطمح لبلوغ أهداف إنسانية بعيدة عن حرية الآخر والحفاظ على كرامته ومبادئه، وهذه القيم هي التي دفعت بأوروبا الخروج من المجهول إلى المؤسس لغاية الأنا والآخر ولذلك يقول " **إن التحليل الأولي للمجتمعات الناجحة هو الذي يقوم على الحب الواعي بالعلاقات الايتقية التي يمكنها أن تساعد الانسانية جمعاء في النجاح والتقدم** "[2]

[1]– ليفيناس، مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس، مرجع سابق، ص49

[2]– Emmanuel Levinas, **Ethique et infini**, 16e éd, Paris, 2011, p.57

الفصل الثالث

اتيقا وضوابط االممارسات البيولطبية

المبحث الأول : الممارسات البيوطبية ومبدأ الكرامة الإنسانية

المبحث الثاني: المسؤولية الطبية واقرارها لمبدأ الكرامة الإنسانية

المبحث الثالث: الضوابط الدولية ومستقبل الإنسان

تعتبر الخطابات اليومية الداعية إلى البحث في المقاربة الاتيقية حول أهم عنصر والذي يبعث لنا الروح الاتيقية في العنصر البشري، ولدت في خضم النزاعات القائمة اليوم في الخطاب التقني والطبي حول هذا الكائن الذي كان في السابق مصدر إلهام للخطابات الحقوقية، ومع تجدد الخطابات وبرزو العديد من التقنيات الطبية، أحالنا إلى البحث عن كرامة هذا الإنسان في الفلسفات المعاصرة، ولن يتضح ذلك إلا بعد المرور على الفلسفات القديمة التي نجدها قد أفرشت الأرضية الفلسفية لما هو كائن اليوم في الساحة الفكرية الفلسفية، لأن التقدم والتطور العلمي الذي جاء به العلم المعاصر اليوم، تولدت عنه العديد من الممارسات الطبية، (خاصة في مجال الطب) وما نتج عنه من تقنيات علاجية للحالات المرضى التي يعاني منها الإنسان في حياته اليومية .

وهذا ما أدى إلى ظهور العديد من المواثيق والتشريعات، التي غايتها الأساسية هي ضبط ومراقبة التجارب التي تقام داخل المخابر على الكائنات الحية، بالإضافة إلى العديد من المؤتمرات والملتقيات التي تنشط في هذا المجال، حيث إجتمعت عليها في طاولة واحدة، لتناقش إنشغالات الفكر الراهن في المجال الطبي، بمساهمة كل من رجال الدين والفلسفة والأطباء وغيرهم من ذوي الإختصاص، وهذا لدليل أن الحوار البيوايتقي اليوم، هو بمثابة الحافز الذي سوف ينقل الحياة من أخلاق كانت سائدة تبحث عن قواعد بسطية، إلى أخلقة الحياة في جميع النواحي. إلى أي مدى يمكن اعتبار الضوابط الدولية قد قلصت من المساس بمبدأ كرامة الإنسان ؟.

الممارسات* البيوطبية ومبدأ الكرامة الإنسانية :

شهد القرن العشرين طفرة هائلة من العلوم الطبية والأخلاقية وذلك بغية التحسين من آداء الأطباء لهدف الحالات المستعصية التي يعيشها الإنسان وذويه من جراء الأمراض التي تصيبه، وهذا ما ترتب عنه لإستعمال العديد من التقنيات للحد من بعض الأمراض، من بينها الموت الرحيم الذي يدخل فيها الطبيب كعضو أساسي يحدد مستقبل مريضه بوضع حد لحياته فهو إستجابة الطبيب لمعالجة مريضه برغبة من هذا المريض، وذلك يكون بوضع حد لآلمه الشديدة التي لا يمكنه تحملها والميؤوس من شفائها نهائياً وقطعياً، أو مساعدته على الإنتحار لنفس هذه الأسباب.

ومن المسائل الراهنة التي أثارت الفكر البشري مسألة الموت الرحيم، التي تحتل مساحة كبيرة في مجال النقاش البيوايتيقي، وذلك نظراً لما تبلغه من أهمية، كون هذه الأخيرة ضربت بجميع المعايير الأخلاقية والأسس الاتيقية بدعوى حق تقرير المصير للمريض الميؤوس من شفائه، ولذلك طرحت مسألة الموت الرحيم طرحا خاصا، كون هذا النوع من الموت يحدث داخل المستشفى على يد طبيب كان مسؤول عن إراحة المريض وشفائه من آلمه بإستعمال معدات وآلات تقنية تضمن راحته وليس وضع حد لحياته، لذلك إختلطت العديد من المفاهيم بعد ظهور هذا النوع الجديد من القتل المبرر تحت عنوان الموت الرحيم .

فمجتمعاتنا اليوم تعيش حالة من الإستنفار الطبي، الذي نشاهده في البقايا الطبية بالمستشفيات أو في معاملات الأمهات في المراكز الصحية، كلها مدعاة لتفكير في إصلاح الواقع اليومي الذي يعيشه الجسد البشري، " **يعتقد Cream أننا في القرن العشرين نختتم فترة من تاريخ البشرية طولها خمسة آلاف سنة، وأننا في وضع شبيه بإنسان ما قبل**

* أنظر الملاحق : الوثيقة رقم 01

التاريخ عندما فتح عينيه ... لكن روعة المشهد ستكون أكبر وأعضم في القرن الواحد والعشرين، قرن الثورة البيولوجية وهندسة الأحياء"[1].اذاً الحياة الإنسانية لم تعد كما تصورها الإنسان قبل، وذلك أن يجد نفسه في الثورة البيولوجية، التي هدمت العديد من القيم وأنشأت مبدأ واحد، وهو الذي يدافع عن الضرورة والحتيمة لتطور العلوم حتى وإن كان على حساب كرامة الإنسان وإحترامه.

لقد إهتز النقاش الفلسفي داخل الحقل البيولوجي*، وذلك نظراً للمخاوف الجديدة التي يمكن أن تبدوا عن طريق النقاشات الأخلاقيات**،" **ففي الحقيقة أن بيولوجيا الحياة كانت قبل القرن ال19م مبهمة، لأن علوم الحياة كانت في أوجهها، فلا يمكننا أن نضع حدا**

---

[1]– سعيد محمد الحفار، مقال: (البيولوجيا ومصير الانسان)، سلة عالم المعرفة،العدد38،نوفمبر 1981،الكويت،ص16

*كلمة بيولوجيا أول ضهور لها من طرف الألمان (العالم الألماني كارل فريديريش)، في وثيقة الطبية1800، لغرض الحفاظ على كل ما هو طبيعي ، للدلالة على مالم يتم فيه التغيرات والتعديلات ظهر التقسيم الأنتروبولوجي، لغرض الحفاظ على الطب الطبيعي خوفا من مساس التقنية للإنسان وتجريده من خصوصياته كالاستنساخ والتلقيح ، وبعد سنتين من ظهور الكلمة ، قام كل من باشرا 1801، ولامارك1802/1801 فرنسيين) والألماني تريفيرانيوس ، قاموا باستعمال هذه الكلمة وتوضيفها في علوم الحياة . ولم تلقي هذه الكلمة حقها إلى في سنة 1830 من طرف العالم أوجيست كونت حيث عام تعميمها مثل الكيماء الفيزياء العلوم الأخري ;

Jean Arnould ,biologie et humanitè de l'homme,Forum Diderot,1er edition,presse) universitairesde France,paris,1999,p22

**النقاشات الأخلاقية سنة 1999 هز النقاش حول التقنيات البيولوجية في ألمانيا كل من يورغن هابرماس وسلوتربديك، فقد شبه نقاشهم بالمعركة التي الفسلفية انتشرت في الصحف الألمانية وذلك لكون مساءل مثل الاستنساخ وتشكيل الكائن الحي هي قبيل السير على أرض مغلولة موضوع النقاش كان بعنوان "قواعد للحديقة البشرية" كان سلوتربديك قد ألقاه في سنة 1998 ولما أعاده 1999أدخل عليها العديد من التعديلات وهذا ما تسبب في فضيحة، فما أثارته هذه القضية إلى حد كبير الرهانات البشرية المتعلقة بازدهار التقنيات البيولوجية، وتأتي في طليعتها الهندسة الوراثية خاصة والاستنساخ اللذان يبعثان على الخوف من انبثاق صناعة جينية جديدة– أنظر: كاترين هالبرن، مقالة (هل تمثل التقنيات البيولوجية تهديدا للانسان) تر:المنتصر الحملي، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2010،ص ص (66/65) .

للأشياء والكلمات في التفكير الكلاسيكي كما يقول ميشال فوكو "[1] لأن عصر البيولوجيا اليوم إنقلبت فيه جميع المفاهيم التي كانت عليها الحياة في القديم، وهذا ما أصبح يبحث عن البيولوجيا الأكثر إنسانية نضراً للتطبيقات الموجودة، ولكونها تربية بيولوجية تبحث دائما عن إنسانية الإنسان، وتحاول أن تعيش في حياة بيولوجية أكثر أخلاقية تطبيقية في المجال الطبي، فالحياة اليوم أصبحت تبحث عن النوعية التي تضمن للإنسان كرامته الإنسانية .

يقول جان قايون jan gaion " **تحاول البيولوجيا أن تجد لنفسها قيمة أخلاقية ومعياراً اضافياً، بالإلتزام والإنضباط بالمجال الطبي في علوم الحياة** "[2] فقد أصبحت لها مكانة في الوقت الحالي وعلم خاص بها متمثل بالوحدة (التفصيل)، فتوجد اليوم علوم تشمل مجالات ظواهر الحياة تفصيلي وحصري.

إذا الرهان الذي تقوم به البيولوجيا اليوم على الكائن الحي، متمثل في إختراق الجدار الإنساني عن طريق نشر التجارب العلمية، التي تؤكد على الضرورة العلمية للمنهج التجريبي داخل هذا الحقل الإنساني، الذي لديه خصوصياته سوءا في تركيبته أو حتى في التعامل معه، وهذا ما جعل الحوار الاتيقي اليوم يحتدم ويدخل مرحلة الصراع بين العديد من الفلسفات والخطابات، منها من نددت بما يحدث وأخرى تدعم هذه البحوث .

---

[1] – Jean Arnould, Biologie et humanité de l'homme, Forum Diderot, 1ère édition, Presses Universitaires de France, Paris, 1999, p22/25.

[2] - Jacques Arnould, **La biologie est-elle un humanisme ?**, Forum Diderot, 1ère édition, Presses Universitaires de France, Paris, 1999, p24.

الموت الرحيم L'euthanasie وغايته الاتيقية :

لقد انشغل التفكر البيوايتقي في هذه المسألة الأخلاقية طويلا، من حيت إهتمامه بالمرضى الذين يعانون من اهتمامه من حالتهم الصحية، فقد تغيرت اليوم العديد من المبادئ و أصبح ذلك المريض أو أسرته هم من يختارون له الأسلوب أوالطريقة، وحتى الجرعة التي تضع حداً فاصلاً لحياته، وهذا يمكن أن نرجعه إلى أمر أساسي، هو أن مفهوم الموت في المجتمعات الغربية التي تستخدم هذه التقنية يختلف عن مفهوم الموت في مجتمعات أخرى، لذلك نجد أن هذه الظاهرة سرعان ما إنتشرت وبشكل واسع في بعض المدن الغربية، مع العلم أنه توجد العديد من الهيئات والجمعيات المناهضة لمثل هذه التقنية ولها نظرتها الخاصة، ولذلك أطلق عليها العديد من التسميات مثل " **موت الرحمة belle mort وهو ذلك، الموت الذي يضمن للمريض السرعة في تخفيف المعاناة بالتدريج وبدون آلام** "[1]

وغيرها من الألفاظ التي تحمل نوعاً من الإنسانية، لغرض تتبعها من طرف المرضى أخذت جانيا كبيرا، ووصل به الأمر إلى الصفة القانونية، ونقصد به محاولة مثل هذه المراكز أن تضع قوانين تحميها عند تطبيقها لمثل هذه التقنيات، إلا أن السؤال المطروح والأساسي هو : أين تكمن كرامة الإنسان هنا هل في تطبيق الموت الرحيم ؟ وهذه مدعاة للتفكير والتسائل، فاالسؤال الايتيقي هنا : هل للانسان المريض الحق في وضع حد لمعاناته ؟ هل هو الغاء لكرامته الإنسانية ؟ أو التأكيد على كرامته ووضع حد لمأساته الصحية ؟

ففي ظل كل هذه التقنيات العلمية التي توصل إليها الإنسان بالتطور والتقنية فمن المفروض أن يعيش الرفاهية بنوعيها، رفاهية فكرية ورفهاية معيشية، إلا أن هذا التقدم قلب

[1] – Ghislaine Cleret de Langavant, Préface d'Edgar Morin, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2000, p192

موازين القوى وإنعكس بشكل أقل ما يمكن القول عنه أنه إنعكاس غير عقلاني، وخير دليل على هذا ما تعيشه اليوم المجتمعات الغربية خاصة في ظاهرة الموت الرحيم، وذلك بحجة تحرير الإنسان من الألم بوضع حد لحياته، هذا ما يبدوا أنه كان في السابق من الأمور التي لا يجب المساس بها لكون الانسان مقدس، ودليل قدسيته ثابت في الديانات السماوية والقوانين الوضعية، التي سوف نعرج عليها في الأخير، فتكريم النفس البشرية والجسد الإنساني لمن الأساسيات ليعيش الإنسان على أكمل وجه، فما تشهده المراكز الطبية اليوم من تطور في قضية إطالة عمر الإنسان، كطرح جديد المعدات التقنيات الطبية اليوم الموجودة في المستشفيات، حتي ظهر ما يسمى بالموت الرحيم euthanasi، كل هذا يدعوا من الفكر الأخلاقي التفكير والبحث فيما ينبغي أن يكون في الفترة المعاصرة، وفي ميدان الطب من أخلاقيات للمحافظة على كرامة الإنسان .

مفهوم الموت الرحيم

" **وردت كلمة الموت الرحيم euthanasie من اللغة اليونانية thanathos eu وتتألف الكلمة من مقطعين eu وتعني بالفرنسية bonne أي جيد أو خير وهو يعني رحيم، thanato وهي الموت وهو يعني بالفرنسية la mort وهو الموت الحسن واللطيف بدون ألم ومعاناة** "[1]، إذاً الموت الرحيم هو عبارة عن موت ولكن بصورة أعطية فيها جميع المفاهيم التجميلية لهذه التقنية الطبية، الغرض منها هو بعث جانب ايتيقي في هذه المسألة من ناحية الكرامة الإنسانية، ولذلك سمي" **Belle mort الموت الحسن أو الجميل**"[2]، يتضح

[1]– **Grand Dictionnaire de la philosophie, Larousse**, CNRS éditions, 2013, Montréal, Canada, p392.

[2] - Ghislaine Cleret de Langavant, Préface d'Edgar Morin, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2000, p192.

لنا من هذا المفهوم أن euthanasie تعني الموت بدون ألم، أم موت الشفقة ،[1] " **وأول من إستعمل لفظ قتل الشفقة هو الفيلسوف الإنجيليزي فرنسيس بيكون Francis bacon سنة 1620** " [2]وهذا يعني الموت الهادئ أو الطيب يكون بوضع حد نهائي للألم الذي طالما كان يصاحب المريض الذي لا غاية من شفائه أو معالجته يعني حالة ميؤوس منها محكوم عليها بالموت.

فالموت الرحيم أو قتل الشفقة أو الموت الجيد أو الموت اليسير، هي كلها أنواع ترتكز في داخلها بوضع حد لحياة هذا المريض، وذلك يكون بإستجابة هذا المريض لمطلب يريد تحقيقه كغاية له، تضمن له الراحته الأبدية من حالته المرضى المستعصية، التي أصبحت تؤرقه، لكون كل مريض " **لا يشعر براحة في حالته الصحية يمكنه أن يختار الطريق التى من خلالها يضع حداً لمعاناته الصحية** "[3]وهذا الإختلاف الواضح في إستعمال المفاهيم التي تحمل في طياتها عبارة واحدة محددة هي الموت أو القتل، إلا أن هذا التلاعب الإصطلاحي لغرض تغطية هذا الفعل، هو ما أدى بدعاة هذا الإتجاه لإيجاد تسميات تتوافق مع الشحنات الأخلاقية التي تعبر عن الفعل بشكل أخلاقي لائق، وهذا ما يجعل المريض لا ينفر من هذا النوع من القتل كونه يحمل في إصطلاحه معنى الرحمة والشفقة والرأفة، فهذا التلاعب الإصطلاحي دفع بلإنسان المريض للإقبال عليه، فهي " **إماتته بدافع الرحمة لمساعدة**

---

[1]–أحمد محمد خلف المومني ، القتل المريح بدافع الشفقة بين الشريعة والقانون ، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد 19،قسنطينة، 2008، ص67.

[2]– محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة على ضوءأخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية، مركز النشر الجامعي 2013، تونس، ص123.

[3]– Ghislaine Cleret de Langavant, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2000, p 194.

مرضى ميؤوس من علاجهم على موت هادئ وخال من الألم "[1] إن هذا النوع من الموت يكون بواسطة مواد قاتلة (**morphine– curare–barbrturique**) فهذه الأدوية عندما يتناولها المريض لا يحس بشيء وتساعده في التخفيف من آلامه ومع مرور الوقت هي في مضمونها تعتبر مواد سامة تؤدي به إلى الموت الفعلي، وهذا القرار يصبح أمراً مقنعا للمريض جراء تفتك المرض فيه، ولذلك يعتبر الموت الرحيم الحل الأنسب لهم ، لكونه يجنبهم العذاب ويحد من آلامهم الغير محتملة والتى بإمكانها مرافقتهم طيلة تشبتهم بالبقاء أحياءاً.

ويرى أيضاً الفيلسوف **بيتر سينغر " في جانب من فلسفته الأخلاقية في حقل الأخلاقيات التطبيقية التي أثارة جدلا واسعاً نظراً لموقفه الايجابي أمام الموت الرحيم**"[2]، فقد فتح مجال واسع لمناقشة هذه القضية، حول الكرامة الإنسانية ودعمه لطرح تطبيق الموت الرحيم كمبدأ أساسي بإختيار الإنسان لمصيره كونه هو وحده من يعيش الألم والمعاناة، وهذه التقنية (الموت الرحيم) هي التي تضع الحد الفاصل بينه وبين المرض، لم تنحصر على المرضى البالغين، بل تعدتها للأطفال الذين لا يمكنهم مواصلة الحياة نظراً للمرض أو التشوه الخلقي الذي لايمكن معالجتة.

---

[1]– عبد الرزاق الداوي ، حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في الألفية الثالثة ، مرجع سابق ، ص56.

[2]– Francis Fukuyama, **La fin de l'homme. Les conséquences de la révolution biotechnique**, Editions de la table ronde, Paris, 2002, p230

الموت الرحيم والحق في الحياة *:

لقد رفضت الديانات هذا النوع من القتل معتبرة إياه يقلل من قيمة الفرد، وخوفا من أن يصير الإنسان مجرد آداة يستعمل لأغراض أخرى غير التي وجد لأجلها، و من بين الدوافع التي أدت للإنشار الواسع لهذه التقنية في بعض دول العالم، هو الإقرار العائلي بممارسة هذه التقنية على المريض لهدف تحصيل ثروته، مدام غير قادر عن الدفاع عن نفسه، وهذا يعتبر إنتهاك خطير وصريح للكرامة الإنسانية، إذن قضية الموت الرحيم تختلف بإختلاف وجهات النظر الدينية والأخلاقية، كون اللجان الأخلاقية ترفض التطبيق هذا من التقنية على الإنسان وذلك خوفاً من التجاوزات التي يمكن أن تحدث في هذا المجال، فإلى أي مدى يمكن إعتبار الموت الرحيم حلاً إنسانياً لبعض الحالات؟ وما موقف الأديان من هذه الممارسات البيوطبيةالمعاصرة ؟ فهل نحن حقاً بحاجة ماسة إلى إستعمال تقنيات جديدة على الإنسان ؟ وما وجه الحاجة والضرورة لمثل هذه التقنيات الطبية في ظل التغيرات المعاصرة العلمية والتقنية ؟

لقد أصبح الإنسان مهددا بالخطر نظرا لما خلفته هذه الأبحاث على الصحة العمومية للإنسان، فبعدما كان هذا الإنسان مصدر إلهام الأطباء والمختصين أصبح مجرد أداة تختبر فيها المستجدات التقنية، بدافع التحسين من حياة الإنسان وترقيتها وتجاوز جميع الصعوبات والعوائق التي تواجهه في مواصلة مسيرته (المرض، الموت) .

فلم يبقي ذلك التصور القديم للطبيب الذي كان بمثابة مساعد للمريض والممد للحياة والباعث لروح جديدة، ولا لتلك الآلات والمعدات وغرف الإنعاش التي كانت تساهم في إعطاء

* (أنظر الموقع الالكتروني) https://www.youtube.com/watch?v=Rq4QsYyDdM0 محاضرة لدكتور طارق رمضان "هل الموت الرحيم حق ومطلب إنساني داخل الكرامة الإنسانية " جامعة باريس، 2015/09/06، التوقيت:17:12.

مفهوم جديد للمريض*، بل أصبحت مجرد آداة مساهمة في وضع حد لحياة هذا المريض الذي أصبح ميؤوس من وجوده في المستشفيات .

كرونولوجيا الموت الرحيم :

إختلفت تسميات الموت الرحيم من حقبة إلى أخري وذلك بالإختلاف مبررات إستعمالاته، والظروف التي إستعمل فيها والمواد التي يتم بها، فقد عبر الرومان سنة 1516 عن قتل الشفقة بمعنى تخليص المريض من آلامه للموت يقول **عبد الرزاق الداوي** " **هنا يجب التذكير بأن أقدام على مساعدة شخص ما على الموت في ظروف معينة كان مسموحا به أخلاقيا وقانونيا في بعض المجتمعات والحضارات البشرية القديمة مثل اليونانية والرومانية**"[1]، فإيجاز القتل بدافع المساعدة، كان في حضارات سابقة لا يخالف القانون ولا الأخلاق، نظرا لما يحمله من نتائج إيجابية .

---

* (CHUO) لقد توجهنا إلى القسم الخاص بالانعاش للأطفال والكبار في مستشفي وهران، وجدنا العديد من المرضى الميؤوس من حالاتهم ولكنهم لايزالون تحت الرقابة الطبية والمعدات التي تساعدهم على التنفس، أو يمكن القول عنها أنها معدات تعمل على جعلهم يتصلون بالحياة حتي وهم في أقصى حالاتهم الحرجة، فقد وجدت العديد من الحالات ولكن برغم من كل أن حياتهم في خطر إلا أنه لا يخول لأي شخص أن يضع حد لحياة أحد من هؤلاء المرضى، فقد وجدت حالة (رشيدة تبلغ من العمر خمسة وعشرون سنة) مع العلم أنها دخلت قسم الانعاش في عمر 6 سنوات، رشيدة لم تعرف الحياة خارج المستشفي كل معرفتها الحياة تنحصر تحت الحقنة والطبيب وآلات تعمل على مساعدتها لتشبت بهذه الحياة ، فكانت هذه الحالة التي دامت طويلا في مستشفي وهران، فهل رشيدة التي لازلت تصارع من أجل البقاء والحفاظ على كرامتها والتي إختارت مبدأ العيش أكثر من الموت، وجدت نفسها داخل هذا الاطار الاتيقي أم أنها إذا عرض عليها موقف الموت ممكن أن تختاره بدون أي تردد ؟ ومن بين الحالات التي تم اطلاعي عليها هي حالة الطفل(س) والذي بقى في قسم الإنعاش الخاص بطفولة لمدة 3سنوات مع العلم أن حالته كانت ميؤوس منها، إلا أن عائلته والقانون والدين وكل القيم الاجتماعية كانت بشكل أو بآخر ترى في هذا المريض أنه ممكن أن يشفي، إلا أنه فقد الحياة جل محاولات الأطباء، وتشبت العائلة به، فهل يمكن أن نسمي هذه السنوات التي عاشها في المرض كانت معاناة أم أنها تخفيف بالمرجعية الدينية الاسلامية؟ (أنظر الملاحق: الوثيقة رقم: 2)

[1]– عبد الرزاق الداوي، حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطالع الألفية الثالثة، مرجع سابق، ص 56.

وهذا ما نجده عند **توماس مور Tomase moure " في ذلك الوقت إذا كان المريض ميؤوس من علاجه يعاني من آلامه المبرحة والمتواصلة، يهرع إليه القساوسة ورجال القضاء، فيستحدثونه على مغادرة هذه الحياة أو السماح للآخرين بأن يقوموا بتخليصه من وضعيته اللإنسانية "**[1]ومن هنا يتضح لنا أن عبئ إنقاد المريض في الرومان قد إنتقل من رجال وأصحاب الكنيسة إلى الأطباء، وهذا يوضح مدى المهارات الطبية التي إكتسبوها، فأصبحت عملية تشخيص المريض وعلاجه من الأولويات، وهذا راجع إلى الدراية الواسعة والكبيرة في الطب الذي تميزوا بها، ذلك ما أعطى للأطباء السلطة الحقيقة في تقديم العلاج أو الإمتناع عن ذلك في بعض الأحيان[2]، ونجد أيضا أن مفهوم الموت الرحيم كان جلياً " **في بلاد الرافدين في القرن السابع قبل الميلاد المتمثل في نص طبي مبعوث إلى ملك أشردون يطالب فيه أحد الأطباء على موافقة الخطة العلاجية، بوضع وصفه له تحوي خصوصيات الموت الجيد، فهذا يدلنا إلى وجود تفكير في مثل هذه الأنواع من الموت الرحيم منذ القديم وحتى اليونانيون قسموا الموت إلى صنفين "**[3]:

الصنف الأول : هو الموت العنيف والمؤلم ويسمى كار (ker)

الصنف الثاني : هو الموت الطبيعي وهو الموت إلى سير والغير مؤلم ويسمى ثناتوس (thanatos)

ونجد الفيلسوف سقراط الذي كانت وفاته متمثلة في تناوله لجرعة من السم القاتل، بعد أن رفض كل محاولات تلاميذته اللذين أرادوا تخليصه من السجن، لكنه أصر على المحاكمة

---

[1]– محمد مفتاح ، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية، مركز النشر الجامعي، ط1 ، تونس ، 2013، ص124.

[2]– نفسه، (ص ص 123 125)

[3]– نفسه، ص124

الجائرة، وكانت النتيجة الموت، فهذا النوع من الموت(الموت الرحيم) أدى بسقراط للموت في هدوء تام .

ولهذا نجد بعض الفلاسفة يمجدون الإنتحار أو الموت الإختياري، بدعوى أن الفيلسوف الحقيقي هو من يختار موته بشرف وحرية كالفيلسوف سقراط، " **وقد عبر الإغريق في مدينة كوس (cos) عن الموت الرحيم بإستدعاء العجزة والشيوخ، فتوزع عليهم أكواب السم في شكل إحتفال، وهذا ما دافع عنه أفلاطون في جمهوريته، بإعطاء الحق للحكام للتخلص من أولئك اللذين لا جدوى منهم**"[1]، ذلك ما إستند عليه هتلر سنة 1939 حيث قام بالقضاء على بعض الأشخاص الغير مرغوب فيهم في دولته، بإعتبارهم ناقصين عقلياً والمضطربين عصبياً بحجة أنهم عالة على المجتمع النازي، الذي كان يدعوا للعظمة والقوة، فهذه الفئة كانت عائق أمام الدولة لذلك قرر هتلر وضع حد لأولئك المرضى، إلا أن هذا الحل غير مبرر لأنه يلغي كرامة الإنسان، ويهدد كيانه البشري وإستمراريته في الحياة، وقد أكد "**أفلاطون في جمهوريته على ضرورة الإهتمام بمن يخدمون المدينة، ويقدمون لها الجديد ويحققون نتائج، بمعنى أن لهم دوراً فعالاً داخل المدينة** "[2]، لقد إهتم الفيلسوف بجمهوريته التي إرتأي أن يوجد فيها أشخاص أصحاء، وفاعلين في الدولة، بضرورة تقديمهم كل ما يتناب مع مدينتهم وقد قدم الطبيب البلجيكي تصنيفا* جديداً لقتل الشفقة، في مقالة له تحت

---

[1]– محمد مفتاح ، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية مرجع سابق، (ص ص 123 / 125).

[2]– أحمد محمود صبحي وفهمي زيدان، في فلسفة الطب، تقديم محمود مرسي عبد الله، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، دط، بيروت، 1993، ص 155.

* Euthanasie agontique قتل الشفقة زمن الاحتضار يقارب الطبيب بريهانت بين هذا النوع من القتل وطريقة موت سقراط، أما بالنسبة لنوع الثاني من قتل الشفقة التطهيري Euthanasie eugénique ، وهو القتل لغاية ايديولوجية غايتها التطهير العرقي أو الجنسي (أنظر محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية، مرجع سابق، ص125)

عنوان" **الجدل حول قتل الشفقة**"[1]، وظهر النزاع في بريطانيا سنة 1870 بين إتجاهين: الأول يؤكد على ضرورة حماية حق الإنسان في الحياة، أما والثاني يقوم على تقنين قتل الشفقة كممارسة إجتماعية وخيار طبي، وهذا لإعتبارات عدة من بينها البرغماتية والنفعية، ولكن سرعان ما إنتهى الأمر إلى لأصحاب الرأي الأول لتأكيدهم أن موت الشفقة أو القتل الرحيم يدخل في إطار إنتهاك حقوق الانسان، لأنه نوع من القتل تحاسب عليه الدولة البريطانية مخافتاً من تفشي الظاهرة وبشكل سريع، فكل هذه التجاوزات التي تحدث داخل الدولة كانت غايتها مبررة أو غير مبررة، هي نفسها ما يطرح اليوم وبشدة داخل المجتمعات الغربية أي أن الموضوع واحد، ولكن المعيار والمجال الذي أستخدم فيه مثل هذا النوع من الموت، إنتشر وأصبح أمراً لا يختلف فيه إثنان لكون هذا الأخير يعتبره العديد من المختصين حلاً نهائياً وفاصلاً لوضع حد لألم الإنسان" **ولكن إذا رجعنا قليلا إلى قسم أبقراط المشهور، الذي إعتبر الطبيب المنظار الذي نرى بموجبها العالم والكون، ويقول الرأي عندي أن جميع ما كتبه هؤلاء الفلاسفة والطبيعيون من رسائل الطبيعة لا صلة لها بالطب، أما أنا فأذهب إلى أن الطب هو الأصل الوحيد للمعرفة الواضحة عن الطبيعة، ولن يستطيع أحد أن يصل إلى معرفة ما بالإنسان، وأسباب ظهوره في الوجود، وجميع هذه المباحث إلا بعد أن يعرف الطب حق المعرفة**" [2]. وهذا ما يثبت لنا نزاهة وقدسية الطب، حيث كان هذا القسم بمثابة الباعث الجديد لحياة الإنسان، على عكس ما نلاحظه اليوم من تجاوزات بيوطبية تدخلت فيها المصلحة الخاصة على حساب الكرامة الإنسانية، ولذلك كان يجب الوقوف أمام هذه التجاوزات الضارة والغير لائقة.

---

[1]– محمد مفتاح ، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية، مرجع سابق، ص125.

[2]– أحمد حليم عطية ، جالينيوس في الفكر القديم و المعاصر، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، دط، بيروت، 1999 ص 128.

أشكال الموت الرحيم_:

إتخذ الأطباء والمختصين العديد من التسميات لهذا النوع من الموت التي تجلب تعاطف الآخرين معه، فقد إستعملت فيه العديد من التقنيات لإنجاحه، ولكن يبقى المشكل المطروح أنه مهما تنوعت التسميات والأشكال لهذه الممارسة، يبقي نوع من أنواع القتل المحظورة وعلى هذا "**الأساس يجب أن نتعرض إلى الأشكال التي جاء بها، ويمكن أن نقسمه إلى نوعين**"[1]:

- **الموت الرحيم الإرادي أو الإختياري.**
- **الموت الرحيم اللاإرادي "**

الموت الرحيم الإرادي :

ويكون هذا النوع من القتل، فعالاً ومباشراً كما يسميه المختصين، والذي يتجرع فيه المريض جرعة قاتلة من الدواء المعد، بموافقته الإرادية في حالته العادية، أو بإختياره الخاص في وصية يتركها تنص على ذلك القرار الهام في حياته، بمفهوم آخر هو قيام الطبيب المعالج بإنهاء حياة المريض الميؤوس من شفائه بناءاً على طلب منه بواسطة حقنة مميتة تحوي جرعات زائدة من مواد مخذرة تؤدي به إلى الوفاة الفوري، وهنا تحترم إرادة المريض في أخذ القرار الحر المتعلق بوضع حد لحياته من طرف الطبيب، لأنه لا يستطيع هذا الأخير أن يتجاوز أو يتخطي إرادة المريض بشكل من الأشكال المنصوص عليها .

الموت الرحيم اللاإرادي :

وهنا تكون عملية القتل الرحيم على يد الطبيب بسلطة تقديرية، أي يقوم الطبيب بتقرير مصير حياة المريض، بعد تشخيص حالته يحدد كيفية وضع حد لآلمه بأقل ضرر

[1]– روجيه جاويش، الأخلاقيات في الطب، ط1، دار نوفل، بيروت، 2008، ص81

ممكن، ويتمثل في إعطاء المريض جرعات زائدة من المخذر بحجة تخفيف من آلمه، ويستمر الطبيب في زيادة الجرعات بإستمرار، حتى يتوصل إلى إيقاف بعض الوظائف في جسم المريض، مثلا قلبه والجهاز التنفسي والمخ، وهذا ما يؤدي إلى الوفاة.

ويمكن أيضاً أن" **يتوقف الطبيب عن معالجته للمريض بدعوى أنه لا جدوي من شفائه، حيث يقوم بإيقاف جميع الأجهزة والأدوية التي تساعده في العناية المركزة، وهذا ما يؤدي إلى وفاته العاجل، فقد إرتأى الطبيب وقدر أنه لا جدوى في إستقرار العلاج ولا أمل في بقائه على قيد الحياة لأن حالته تزداد سوءاً**"[1] ، فمسألة الموت الرحيم الإرادي واللإرادي تطرح أسئلة عديدة في الحقل البيواتيقي، وهذا ما دفع الفكر البشري لتأمل في مثل هذه المسائل، التي تقر بأن المريض لاجدوى من شفائه، حيث يصبح للطبيب السلطة والحق في تقرير مصير مرضاه، مع العلم أن الطبيب وظيفته الأساسية هي المحافظة على حياة المرضى ومساعدتهم لآخر لحضة في حياتهم، لكن هذه المساعدة إختلفوا فيها العديد من الأطباء والفلاسفة.

وإعتبروا أنهم بمجرد مساعدتهم للمريض ووضع حد لحياته، فهم يخلصونه من جميع الآلم التي كان يعاني منها وهذا ما نفاه الطب قديماً، مهما كان الجسد عليلاً، وينص قسم أبقراط " **ولن أعطي عقارًا مميتًا لأي إنسان إذا سألني إياه، ولن أعطي إقتراحًا بهذا الشأن. وكذلك لن أعطي لإمرأة دواءً مجهضًا. وسوف أحافظ على حياتي وفني بطهارتي وتقواي** "*، وهذا ما يثبت مكانة الفرد في الحياة بغض النظر عن حالتهم الصحية، فقد أكد الحكماء السابقين وآباء الأطباء، أن الغاية الوحيدة هي المحافظة عن حياة الإنسان وعدم المساس بكرامته، وإحترام حقه في الحياة، إلا أن ظهور الموت الرحيم قلب كل المعايير.

[1]– محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب، مرجع سابق، ص129.

* أنظر قسم أبقراط (الملاحق الوثيقة03)

وأصبحت مسألة إيقاف حياة الأفراد تستدعي تفكيراً عميقاً، وهذا ما طرح العديد من المشكلات. من بينها متى يمكننا الجزم بأن الفرد أو الإنسان قد مات فعلاً ؟ وهذا ما يسمى في المجال البيواتيقي le constat de la mort أي متى نتأكد من مسألة الموت الفعلي؟ وماهي الأعضاء التي يجب أن تتوقف في جسم الإنسان لكي يقرر الطبيب أن هذا المريض قد مات ؟ وما هي الأعضاء المسؤولة عن موت الإنسان الدماغ أم القلب ؟ لقد أكد الطب قديماً أنه بمجرد تعطل القلب أو توقفه عن العمل يتبن لنا أن المريض قد فارق الحياة، إذن فتوقف جهاز التنفس ونبضات القلب دليل كافي على أن المريض قد مات، ولكن بعد تطور الطب المعاصر ووجدت بعض الحالات في المستشفيات التي توقف فيها الدماغ عن العمل وبقيت نبضات القلب والجهاز التنفسي يعملان بواسطة معدات الإنعاش، هذا ما إستدعى تلقيهم لعناية مركزة، فيتم تعويض الأعضاء التي تعطلت في الجسم ببعض الآلات الطبية، فيصبح تنفسه إصطناعياً ويمكن إعادت دقات القلب بصعقات كهربائية؛ وهذا ما يضمن لنا أن المريض لازال على قيد الحياة " **وهذا ما إستقر عليه الأطباء والعلماء لفترة طويلة من الزمن أن موت اللإنسان مقرون بتوقف دقات قلبه وجهازه التنفسي، ولكن سرعان ما إنقلبت الرؤية من خلال أعمال المدرسة الطبية الفرنسية (مولاري وغولون) عام 1959، بعد إدراجهم لعبارت جديدة هي coma dépassé الغيبوبة المستمرة، وهي دلالة مباشرة للاعودة** "[1]، ومن هذا التقدم العلمي تغير مفهوم الدماغ حيث أن التوقف الكامل ولارجعي لوظائف الدماغ و أجزائه هو سبب الموت، إذن ليس توقف القلب والتنفس هو الدليل على موت المريض مثل ما كان في السابق، لأن الدماغ هو من يقوم بتوزيع الأنشطة لأعضاء الجسم، فهو المسؤول عن جميع أجهزة الجسم، ومن هنا نشأ مفهوم جديد للموت الطبي وهو الموت الدماغي، ففي هذه الحالة يتأكد الأطباء بعد الفحص السريري أن الدماغ

[1]– عمر بوفتاس، البيوايتيقا، مرجع سابق، ص166 .

قد توقف عن العمل، لأن خلاياه العملية قد ماتة وتوقف عمل الجهاز التنفسي بالرغم من عمل القلب وخفقاته.

موقف الأديان من الموت الرحيم :

لقد قدمت الأديان إتجاها فكريا متميزا، نظرا لمصدرها الإلهي الواحد، وهذا ما يثبت إتفاقها حول المصلحة العامة، والإهتمام بكرامة الإنسان وإنسانيته ومبدأ إحترامه، كل هذا إتفقت عليه جميع الملل والعقائد الدينية، كون الإنسان كان مصدر بعث وخلق العالم، لذلك جاءت جميع الكتب السماوية متمسك بالكرامة الإنسانية، وحثت بالمحافظة عليها، في أبعد صورها الإتيقية والدينية، وهذا ما دفعنا للعودة إلى موقف الأديان إتجاه موضوع الموت الرحيم.

المسيحية :

نجد في الديانة المسيحية أن من أبرز الوصايا التي وردت في الكتاب المقدس، وصية "لا تقتل"، وهذه دعوى صريحة لعدم إزهاق الروح مهما كان شكلها أو عرقها، لأن فعل القتل لا مبرر له سواءاً كان بدافع من المريض أو الطبيب، لأنه لا يجوز للإنسان أن ينهي حياته مهما كانت حالته الصحية، والطبيب ليس مخولاً للحكم بذلك، كما أصبحت تسند له في الطب المعاصر صفة السلطة الأبوية للطبيب" **فهذا غير جائز في الديانات السماوية، فمهما كانت حجة المريض ومهما بلغه من آلم وضرر، لا يجوز للطبيب أن يضع حد لحياته، أو يفصل فيها، ولا أن يعتبر موته بمثابة شفقة عليه، كون الشفقة والرحمة تأتي من الخالق وليس من هذا الطبيب** "[1]، ويظل مفهوم القتل الرحيم قتلاً، سواءاً كان برغبة من المريض أو الحل الذي يصل إليه الطبيب، فقد كان آباء الكنيسة يباركون كل عمل يساعد المريض على

[1]– هدي حامد قشوش، القتل بدافع الشفقة، ط2، دار النهضة العربية، (ب ب)، 1996، (ص ص 95 ، 96)

الشفاء، لكونهم يضعون الأمل في الله الذي يساعد هؤلاء المرضى ويخفف عليهم ألمهم ويعيدهم لحالتهم الأولى.

وهناك من يبيح قتل المشوهين خلقياً، والمعاقين لكونهم يشكلون عبئ على الدولة والأسرة معاً، وهذا غير مبرر في المسيحية لكون المعاق أو المشوه، يمكن الإعتناء به في مراكز خاصة تقوم بتوفير العلاج المناسب له، لتخفيف من مرضه، حتى ولو كانت حالته ميؤوس منها، إلا أنهم لا يزالون يحتفظون بتلك الحياة الخاصة بهم حيث لايوجد لأي أحد الحق في وضع حد لها، (لا طبيب ولا أسسرة المريض) لأنه لا أحد لديه ملكية الحياة، بل حتي المرضي ليس لديهم أدني حق الحق بأن يقرروا مصيرهم بالموت، لأن الحياة مقدسة وكريمة لا يملكها إلا الخالق الذي يؤتي الحياة ويأخذها ممن شاء وكيف يشاء.

في القرآن الكريم* :

لقد تعددت الخطابات الدينية المناهضة لحقوق الإنسان، والداعية إلى تجسيد مبدأ الكرامة الإنسانية داخل الحياة، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في تحريمه لقتل النفس البشرية. فإذا كان الموت الرحيم عند المهتمين به هو شفقة على المريض، فكيف نظر النص القرآني إلى تقنية الموت الرحيم؟ فإذا كان الموت الرحيم مبرر بأنه شفقة من الطبيب فأين تكمن شفقة الله؟.

كل هذه التساؤلات تحيلنا إلى الفوضى التي يعيشها الإنسان اليوم، والتي تعم العالم بأسره، وهذا ما يشهده الإنفلات الأخلاقي في المجال الطبي، حيث أصبح للطبيب

* إن قضية قتل الشفقة أو الموت الرحيم أو أي نوع من الانتحار المشروع لم يطرح كالاشكال ولا كموضوع في الفكر الاسلامي لا في مراحله المتقدمة ولا المتأخرة وذلك نظرا لما هو موجود في النص القرآني والسنة النبوية التي تجرم وتحرم قتل إنسان، بل أكثر من ذلك من يقوم بهذا الفعل فهو كأنه قام بقتل جميع الناس، وهذا يوضح لنا مدي قيمة الإنسان في القرآن الكريم .

خصوصية، وهي التحكم في مرضاه بدون أن يستند إلى دليل أخلاقي أو ديني، بل أصبح عمله يتمركز على مدى أنطولوجية الفرد في الحياة، وهذا ما جعله يقع في الإرتجاجات التي أسقطت مفهوم السعادة الإنسانية وكرامة الفرد وحريته وإحترام حقه في الحياة، فكل هذه المفاهيم سرعان ما تزعزعت بسبب ما وصل إليه الطب المعاصر، وتقنينه لبعض العمليات الطبية، وبالعودة إلى أسس الشريعة الإسلامية نجدها قد وقفت أمام هذه التجاوزات، وحاولت دائما المحافظة على الإنسان، وحثت على علاج المريض وصيانة مبدأ كرامته في الحياة، وكل هذا محفوظ في العقيدة الإسلامية كون الله عز وجل، أمرنا بالمحافظة على النفس البشرية وحرم قتلها، تحريما صريحا، وهذا ما ورد في **قوله عز وجل " من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً"**[1]، وغيرها من الآيات القرآنية التي تحرم قتل الإنسان أينما كان ومهما ساءت حالته أو بلغ منه العجز والكبر كقوله في كتابه العزيز الحكيم" **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما"**[2]، ونظراً للقيمة التي أعطاها القرآن الكريم لحياة الإنسان، فقد أمرنا الله بالمحافظة على المريض حتى في أسوء حالاته، ولو كان طاعناً في السن، لأن الحياة ليست ملكا لأحد، غير الله، وقد ضاعف إهتمامه بلإنسان بوضع ما يسمي القصاص، الذي يتوجب فيه الحكم على القاتل بالموت.

والقتل الرحيم الذي حاولت بعض الهيئات والجمعيات التأسيس له رفض من قبل عديد المفكرين في العالم الإسلامي، فمهما ساءت حالة المريض وأصبح ميؤوس من حياته، بعدم قدرته على الحركة والعمل، كل هذه الأسباب لاتبرر ولاتجيز للأطباء أو أصحاب الإختصاص إنهاء حياته، يؤكد محمد الطنطاوي في هذه الممارسة أنه ليس قراراً متاحاً من

---

[1]– سورة المائدة : الآية 32.

[2]– سورة الإسراء: الآية 23.

الناحية الشرعية لا لطبيب أو أسرة المريض والمريض نفسه أن يوضع حداً لحياته، فحياة المريض مسؤوليتنا جميعا ويجب المحافظة عليها لأنها أمانة، وقد حرم الإسلام القتل بغض النظر عن نوعه وزمانه ومكانه وطريقته في **قوله تعالى** " **ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** "[1] فالشريعة الإسلامية تحرم القتل بدافع الشفقة(الموت الرحيم)؛ تحريماً مطلقاً وتعتبره كبيرة من الكبائر لأن الله هو وحده من يحيي ويميت، فقد إعتبر الإسلام الموت الرحيم شكلاً من أشكال الإعتداء المطلق على النفس البشرية، ومن الواجبات التي تمليها علينا الشريعة الإسلامية إزاء المريض هي زيارته ومحاولة التخفيف من آلامه ومواساته في مرضه، لأنه مجرد إبتلاء يختبر فيه الخالق عز وجل صبر عباده وإمانهم، ولذلك يجب عليه الدعاء لأننا نؤمن بأن المريض مهما كان مرضه خطيراً ومستعصياً اليوم، يمكن أن يتحسن ويشفى في المستقبل.

تقنية الإستنساخ* le clonage البشري:

من بين التقنيات العلاجية اللامحدودة على الكائن البشري، والتي أثيرت بصددها نقاشات أخلاقية، وعرفت جدلاً واسعاً بين اللجان الأخلاقية والأطباء الممارسين للإستنساخ، وذلك نتيجة ما توصلت إليها الأبحاث والتجارب الطبية، في بحثها عن بعض الحلول للمرض الذي يعاني منه الإنسان، مثل تلف في أحد أعضائه، وتعويضها بعضو آخر مستنسخ، وقد تعرض العديد من المختصين إلى تعريف الإستنساخ، ونجد في هذا السياق فواز صالح يعرفه على أنه" **طريقة من طرق التكاثر البدائية، إذ كانت تتكاثر بهذه الطريقة الكائنات الأولية وحيدة الخلية مثل البكتيريا والأمبيبيا، وعندما ظهرت كائنات أكثر رقياً بدأت الحاجة إلى طريقة أخرى للتكاثر أكثر تطوراً، ومن شأنها أن تؤدي إلى إنشاء تمايز في الأنواع**

[1] – سورة النساء: الآية 29

* أنظر قائمة الملاحق : الصور رقم :01

والأشكال وهذه الطريقة هي طريقة التزاوج بين الذكر والأنثي، التي تعد الطريقة الكلاسيكية في التكاثر،في حين أن الإستنساخ يعد طريقة إستثنائية "[1].

تعتبر تقنية الإستنساخ من بين التقنيات الطبية التي برزت وبشكل جلي مع تطور العلم في الفترة الراهنة، وقد جاءت هذه التقنية " **كنقطة تقاطع بين البيولوجيا وعلم الوراثة وتقنية الإخصاب المعملي وعلم الأجنة وخاصة فرعها المتعلق بالخلايا الجذعية الجنينية"[2]**، كلها تقنيات حاولت أن تسهل على الإنسان حياته، بتسهيل الإختبارات الجينية التي يمكنها أن تعدل جينيا بعض الأمراض قبل ولادة الجنين، إضافة إلى قضية صعوبة الحمل و إستحالت الإنجاب الذي كانت في قديم، ولكن مع وصول الطب التجريبي إلى أبعد الحدود أصبحت قضية الإنجاب وبشتى أنواعها منها الإصطناعية، ممكنة في ظل هذه التقنيات الطبية، وهذا ما دفعنا للتساؤل عن المبدأ الايتقي وإنعكاسات ممارسة الإستنساخ على مبدأ كرامة الإنسان؟

إن من بين الدعائم الإنسانية التي يحاول الطب اليوم ، أن يفعلها في الواقع التجريبي هي تقنية الإستنساخ وهو " **إنتاج إصطناعي لكائنات متطابقة وراثياً** " [3]، والمقصود بها أنه يتم إعتماد الخلية في إنشاء خلية أخرى مطابقة لها، فالإستنساخ هو " **توليد كائن حي أو أكثر إما بنقل النواة من الخلية الجسدية ،أو عن طريق البيضة منزوعة النواة وإما بتشطير بيضة مخصبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء** "[4].فالإستنساخ هو أسلوب في

---

[1]– فواز صالح، مقالة إلكترونية بعنوان: القانون الخاص اللإستنساخ البشري في القانون http//arab ency.com/law/detail/163، 17/03/2017 ، التوقيت:13:12.

[2]– محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية،مرجع سابق،ص29

[3] Jens clausen–أنظر الموقع الالكتروني :

http://www.bpb.de/gesellschaft/umwelt/bioethik/33773/klonen : التوقيت23:45التاريخ 2016/10/24

[4] – محمد لحبيب بن خوجة ، مقالة بعنوان الإسلام وعلم الأحياء، الملتقي الدولي حول أخلاقيات في علوم لأحياء، تونس،1998، ،ص102.

التكاثر اللاجنسي بين المني والبويضة عند الكائن البشري، فعملية التلقيح أصبحت اليوم تحدث خارج الرحم، وهذا ما سهل حدوث الحمل بشكل إصطناعي .

لقد ترتب عن ممارسة الإستنساخ جوانب أخلاقية عديدة، التي إنعكست على حياة الكائن الحي، وغيرت في نظام الطبيعة والتكاثر، عندما أستنسخ أول كائن حي ثدي وهي المعروفة بالنعجة دولي**، بر**غم من توصل هذه التقنية إلى إيجاد كائنات حية مستنسخة جينيا، ومهما كانت التكنولوجيا المستخدمة في ذلك، حتى وأنها تخرج أشياء مطابقة للأصل، فإنها منافية للأخلاق لأن الإستنساخ مهما كان يبقي مجرد شيء معادي للعاده وغير مبرر**" [1] فقد عرف الإستنساخ أنواع كثيرة بحسب الغاية التي تراد منه : "**فهناك إستنساخ إنجابي وإستنساخ علاجي**"[2]، فبالنسبة للإستنساخ الإنجابي طرح مشكلاً كبيراً في تهديد الأسرة والمجتمع، وفي هذا الموضوع يتسائل الدكتور محمد مفتاح، إلى أي حد يمكن أن نتصدى لهذا التطور الطبي على حساب مبدأ الكرامة الإنسانية ؟، إن هذا السؤال الجوهري يربط الإنسان بكينونته وأصله، فإذا كان غرض الإستنساخ الإنجابي هو التلاعب

---

*النعجة دولي 1996 هي أول حيوان ثدي يتم استنساخه بنجاح من خلية جسمية. تم استنساخها في معهد روزلين في جامعة إدنبرة في اسكتلندابالمملكة المتحدة. ولدت عام 1996 النعجة دولي التي اشتهرت بكونها أول حيوان ثدي يتم استنساخه من خلايا حيوان آخر بالغ. وقد أكد نبأها معهد الأبحاث الاسكتلندي الذي قام بعملية الاستنساخ. واتخذ المعهد قرار إنهاء حياة النعجة المريضة، التي بلغ عمرها ست سنوات، بأسلوب القتل الرحيم بعد أن أظهرت الفحوص البيطرية أنها مصابة بمرض صدري في حالة متدهورة.(أنظر الموقع الالكتروني :

http://www.bpb.de/gesellschaft/umwelt/bioethik/33773/klonen التاريخ 2016/10/24 التوقيت 23:43 مترجمة من اللغة الألمانية ترجمة المترجم).

[1] –Francis Fukuyama, **La fin de l'homme. Les conséquences de la révolution biotechnique**, Editions de la table ronde, Paris, 2002, pp 222/224.

[2] – محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية (الإستنساخ، قتل الشفقة،كراء الأرحام)، مرجع سابق، ص ص8/9.

بالأجنة لأجل أغراض أخرى، وتجاوزات لا أخلاقية. يجب الحد منها والتأسيس لاتيقا التجارب البيوطبية.

أما بالنسبة للإستنساخ العلاجي هو الذي يكون بإستعمال أنسجة في صناعة عضو مطابق للعضو المريض، ولا يخفى علينا أن هذا الإستنساخ فتح مشاكل اتيقية كبيرة في مجال الطب المعاصر، فعلى سبيل المثال أصبح بإمكان الممارسين لهذه التقنية أن يقوموا بالعلاج الجيني للجنين إذا كان مريضاً، عن طريق إستعمالهم للخلايا الجذعية* المسؤولة عن صناعة عضو جديد، وهذا مايسمى بالعلاج الجيني المبكر، فالعلاج الجيني** أصبح اليوم حقيقة مثبت في المخابر العلمية" **يمكن الحصول على أنسجة متطابقة وراثياً تماماً، مع الشخص المريض، وبالتالى تمكن هذه الطريقة من تجنب مشكلة الرفض المناعي للعضو المزروع** "[1] وهذا ما سهل في حل العديد من المشاكل الطبية، التي واجهت البشرية منذ زمن، عن طريق إستخدام تقنية الإستنساخ، لكونه بعث الأمل لعائلة الجنين الذي يعاني من تشوه خلقي، فأصبح بإمكان المختصين معالجة الجنين في رحم أمه وهو في مرحلة النمو وقبل حدوث الولادة.

يعتبر موضوع إستنساخ البشر من بين المواضيع التي أثارت نقاشاً ايتقيا، في البحث عن قيمة هذا الإنسان المستنسخ" **السؤال الذي يطرحه الإستنساخ اليوم يتضمن السؤال القيمي، والجوهري في الكرامة والحرية والإستقلال الذاتي للإنسان، فهل هذا الإستنساخ يتماشى مع الواقع اليومي أم أنه مجرد غاية لما بعد البشر؟**" [2] إن المرآة العاكس للقيم،

---

* أنظر قائمة الملاحق االصور 03/02

** أنظر قائمة الملاحق الصور 05/04

[1]– محمد مفتاح ، قضايا طبية معاصرة، مرجع سابق، ص38

[2]– Ghislaine Cleret de Langavant, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2000, p16

والتي تدفعنا اليوم لتجديد النقاش الاتيقي، في نداء عميق، يضمن للإنسان مبدأ إحترام كرامته وإنسانيته، كلها غايات يبحث عنها المشرع الأخلاقي اليوم ، لتفادي أزمة إنسانية على الكائن البشري،" **لقد كان الطلب على إستخدام هذه التقنية (الإستنساخ)، وسيلة لعلاج الحالات التي لا يمكنها الإنجاب الطبيعياً** " [1].

و لقد ذكر عمر بوفتاس نوعين للإستنساخ حسب الحاجة إليها [2] :

إستنساخ من أجل التوالد والتكاثر clonage reproductif

إستنساخ من أجل العلاج clonage thérapeutiqu

وقد أضاف عمر بوفتاس أنه يوجد ثلاثة أنواع لإستنساخ[3] الإنسان :

الإستنساخ الخلوي: وهو الذي يستعمل في زرع خلايا بشرية تساهم في مساعدة الإنسان لإيجاد متطابقة وراثية، فمن الناحية الأخلاقية، هذه التقنية لا تطرح أي مشكل أخلاقي، لأنها لا تمس بالنواة أو الخلية في جوهره .

إستنساخ خلايا جينية: فابنسبة لهذه التقنية التي طرحت العديد من المشاكل الأخلاقية، وذلك بسبب إختلاط الأنساب، لإستخدام الأجنة المسؤولة عن تكوين الجنين.

إستنساخ توالدي: هذه التقنية تطرح مشكلة هوية الطفل والإنسان، لكونه يعتبر أكثر تعقيداً عن غيره من التقنيات.

---

[1]– Ghislaine Cleret de Langavant, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2000,p174.

[2]– عمر بوفتاس، البوايتيقا، مرجع سابق،ص308

[3]– نفسه، ص312

إن الغاية من الإستنساخ يمكن ضبطها في غايتين أساسيتين، سوف نعرض أهم فوائدها في الجدول التالى :[1]

الإستنساخ بغاية الإنجاب	الإستنساخ بغاية البحث العلمي والعلاج
- يمكنه حل مشكلة عقم الأزواج - يمكن الأفراد الذين يرغبون في الحصول على أطفال مرتبطين بهم بيولوجيا، ولكن من خارج إطار عقد الزواج. - يمكن الأزواج الذين يعانون من مشكلة العقم من عدم اللجوء إلى إستعمال الخلايا الجنسية المأخوذة من المتبرعين، وبالتالي إجتناب ولادة طفل له خصائص وراثية من خارج إطار الزواج. - يمكن من إيجاد نسخة لابن أو قريب بصدد الاحتضار، وهي طريقة لتجاوز المصائب الكبري والإبقاء على نوع من العلاقة مع من نحبهم. - يمكن المجتمع أو الأسرة من إعادة إنتاج شخصيات ذات ذكاء أو موهبة فذة أو مواصفات نادرة.	- يمكن من تجنب الأمراض الوراثية وإنجاب أطفال أصحاء. - يمكن من الحصول على أنسجة متطابقة وراثيا تماما مع الشخص المريض، وبالتالي تمكن هذه الطريقة من تجنب مشكلة الرفض المناعي للعضو. - يمكن من فهم أعمق للإضطرابات التي تصيب النمو الطبيعي للجنين في كل مراحله. - يطور العلاج الخلوي، بإستغلال أفضل للخلايا الجذعية.

[1]- محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة، مرجع سابق، ص38

" **إن جل النقاشات التي طرحت حول الإستناخ والتنضير الذي أقيم حوله، كان لتفادي إستنساخ البشر**" [1] إن محاولة إستنساخ البشر هوتهديد للحياة الإنسانية، وتلاعب بجميع القيم الإنسانية التي نشأ عليها الإنسان، لأن إستنساخ الطفل سوف يفقده هويته داخل مجتمع، الذي يعتبره طفل غير طبيعي المنشأ بل كان نتيجة تعديلات وراثية في المخبر.

يرى **يورغن هابرماس*** أن المساس بجينات الطفل قبل ولادته تلاعب بنوعيته، وهذا ما أورده في كتابه مستقبل الطبيعة البشرية "**إن التلاعب الموروثي يمكن أن يغير فهمنا عن أنفسنا بإعتبارنا أشخاصاً لهم جوهر موروثي إلى درجة أن تصوراتنا القانونية والأخلاقية المعاصرة أصبحت مهاجمة، وفي الوقت نفسه، فإن الأسس المعيارية للإنسجام الإجتماعي هي التي قد تصاب**"[2] وفي خضم هذا النقاش البيوتيقي حول الإستنساخ بدأ البحث والتفكير عن مبدأ التأسيس لكرامة الإنسان لأن هذه التقنية البيولوجية تمس بماهية الفرد وجوهره ، فالعقم الذي كان سابقاً عائقاً أمام الزوجين، صار اليوم إنجاب طفل أمر سهل وبسيط بإستخدام تقنيات بيولوجية حديثة(الإستنساخ)، ولكن هذا يطرح مشكل هوية لدى الطفل المستنسخ، الذي يبحث عن ذاته وعن تبرير لطريقة وجوده داخل هذا المجتمع، وما أزم الوضع وجعل مفهوم الحياة يستحيل التعاطي معه، بعد إستعمال هذه التقنية التي تمس بمبدأ كرامة الإنسان .

ومن بين المؤيديين للإستناخ البشري عمر بوفتاس الذي يرى" **إن الآباء من سكان الأحياء الراقية، يمضون أوقات فراغهم في صحبة أبنائهم لممارسة أنشطة مختلفة،**

---

[1]– Ghislaine Cleret de Langavant, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2000, p178,p178

* يورغن هبرماس فيلسوف وعالم إجتماع ألماني معاصر ولد سنة 1929.

[2]–جان نيكولا تورنييه، الكائن الحي مفكك ترميزه، مرجع سابق، ص281

لتحسين الأطفال، الذين هم شباب المستقبل. فلماذا لا نحسن هؤلاء الأطفال بطريقة الإستنساخ؟"[1] وهذا دفاع عن نوع من أنواع الإستنساخ وهو إستنساخ للخلايا الجينية الذي يصطحب تلقيح البويضة منذ البداية بإضافة خلايا جينية خارجة عن أصلها، بإختيار المورثات التي يريدها الوالدين في الجنين بعد ولادته، فالعامل الوراثي هو الذي سيظلم الجنين إذا جاء بحالة غير مرغوب فيها، فالحاجة تستدعي أن نجعل من الجنين مهيئاً في جميع النواحي ليكون قادراً على تحقيق ما أراده الولدين مستقبلا، وهذا التساؤل يحلينا إلى مخاوف كبيرة، لأن الجنين الطبيعي الذي كان يتحدث عنه الطب الكلاسيكي قد تلاشى، ونشأ مفهوم جديد للجنين نتيجة التعديل الوراثي، الذي يعتبر مساس بمبدأ الكرامة الإنسانية.

ولهذا أقرت الأمم المتحدة يوم 8 مارس2005، بتبني إعلان موضوع إستنساخ الكائن البشري " **إن الدول الأعضاء مدعوة إلى منع كل أشكال الإستنساخ البشري، لأنها تتنافى وكرامة الإنسان وحماية الحياة الإنسانية**"[2]، كان هذا الإعلان بمثابة التحكم في أحقية الدول المشاركة ومنع ممارسة تقنية الإستنساخِ، الذي إعتبرته مساساً بالكرامة الإنسانية، ويتنافى مع مبدأ حماية حياة الإنسان وهويته وذاته. إلا أن هذا الإعلان لم توافق عليه جميع الدول لأنهم كانو يستخدمون الأجنة المستنسخة في بحوثهم العلمية التي تجرى خفية داخل المخابر لغرض التجريب .

[1]– عمر بوفتاس، البيوايتقيا، مرجع سابق،320

[2]– رجاء بن سلامة وآخرون، البيوايطيقا، مرجع سابق، ص215

زراعة الأعضاء البشرية :

لقد إهتم الإنسان بالعديد من القضايا البيوتيقية، التي شغلت تفكيره، من بينها تقنية زراعة الأعضاء البشرية، التي تستلزم مهارة كبيرة، لإعتبارها تستعمل كحل فاصل بعد فشل العلاج بالأدوية، ليستطيع المريض مواصلة حياته على أحسن حال، وهذا ما جعل الأطباء دائما يفكرون في حلول فعالة تمكنهم من المحافظة على الإنسان" **فلإنسان قادر على إستقبال وإستدماج، عضو من أعضاء غريبة عنه، وبالتالي تبنيه كما لو كان عضوه بالذات صحيح أن التغير الطارئ، لكن بالموازاة لذلك ثمة ردم لنقص، وتحول الجسد من مستوى قدرة أقل إلى قدرة أرقى**"[1]، فزراعة الأعضاء البشرية هي القدرة على تغيير أنسجة متلفة، بأنسجة أخرى سليمة. فتعتبر مساعدة المريض مبدأ اتيقي في حد ذاته، لكونها توفر له حظوظ البقاء، والتشبث بالحياة أكثر مما كان عليه في السابق.

وقد إستعمل في زراعة الأعضاء البشرية، ما يسمي بالتشريح في فترة القرون الوسطى، حيث كان إبن سيناء يحضر جثث الموتى ويقوم بتشريح* أجسادهم، لدراستهم أو الإستفادة من أعضائهم " **إلا أن الكنيسة حرمت هذا الفعل وإعتبرته أنه مساس بالكرامة الإنسانية، وقد خصصت الأفراد الذين يمكن أن ستفيد من أعضائهم وهم المجرمين، بعدما يطلب رجل الكنيسة من الرب السماح له بتشريحهم**"[2].فقد استفادوا من المجرمين بنقل

---

[1]– حسن أوزال، مقالة(الطب رهان فلسفي)،ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا،2010،ص116

* يقول" الرازي" عن التشريح "أول ما يسأل عنه طالب الطب التشريح ومنافع الأعضاء ، وهل عنده علم بالقياس ،وحسن وحسن الفهم والدراية في معرفة كتب القدماء فإن لم يكن عنده علم فليس بك حاجة إلى امتحانه في المرض " (أنظر : محمد الحبيب، مقالة بعنوان: الاسلام وعلم الأحياء، الملتقي الدولي حول أخلاقيات في علوم لأحياء، تونس،1998 ص67)

[2]– روجيه الجاويش ،الأخلاقيات في الطب (مدخل إلى مقاربة فلسفية)، دار نوفل، ط1، بيروت،2009 ، ص ص 46/63

أعضائهم البشرية، وإستخدامها في إنسان آخر. وكأنهم ليست لديهم أدنى حق في مواصلتهم للحياة، أو التعبير عن آرائهم.

إن حاجة الإنسان اليوم لمثل هذه التقنيات الطبية، جراء أي حادث ممكن أن يصيبه، وممكن أن يسبب له عجزاً في أحد الأطراف، أو تشوهه خلقي يمكن أن يلد به الطفل، هذا دافع إلى إجراء عملية زراعية أو إستبدال العضو المريض بالعضو السليم، وهنا أثبت العديد من الجراحون براعتهم في تطبيق هذه التقنية الطبية داخل المخابر، وبشكل ناجح، لغرضه الحفاظ على كرامة الإنسان وبقائه على أحسن وجه فنجد على سبيل المثال:" **لقد أجري الطبيب كريستان برنار في جنوب إفريقا 1986، أول عملية زراعة قلب طبيعي، بنقل قلب من شخص ميت إلى آخر مريض**"[1]، فقد تمت عملية الزرع بعد أن تعرض شاب بنزيف داخلي، فبعدما شخص الأطباء حالته وجد أن جميع الخلايا الدماغية قد ماتت ، أما قلبه لزال على قيد الحياة من خلال أجهزة الإنعاش التي تساعده على ذلك، بعد ذلك طلب من عائلة الشاب أخذ قلب الميت وزرعه في جسم آخر، وتمت الموافقة ونجحت العملية وقد واصل المتلقي المقصود به المريض حياته قرابة 18 سنة. ولذلك إختلف الأطباء حول مفهوم الموت، وماهي الأعضاء المسؤولة عن الوفاة ؟

إن المصاب في أحد أعضائه سوف يصبح عالة على المجتمع والأسرة معاً، ويمكن أن يكون محل سخرية، إلا أن المجال البيوطبي اليوم لقد تطور كثيرا في بحثه عن حلول عملية يمكن من خلالها أن يتجاور المريض إعاقته بشكل عادي، بل أكثر من ذلك بإمكانه أن يعود لحياته العملية بشكل طبيعي، بإعتمادهم على نقل عضو، لأن إنتفاع إنسان من إنسان آخر من دون أي قيد أو شرط هي تجسيد لإحترام الإنسانية وكرامتها. ويمكن أيضا أن يستعمل

[1]– محمد إبراهيم سعد الندي، موت الدماغ، ط1، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية،2010، ص17

عضو غير طبيعي مثل أن تستبدل الساق المريضة، بساق أخرى مصنوعة، ولكن هذا لا ينفي وجود تجاوزات داخل الحقل البيوطبي، وهذا ما تعمل اللجان الإتيقية، والقوانين أن تحكمه، خوفا من إنتشار الواسع للإتجار بالأعضاء البشرية الذي شهد مساراً آخرا .

لقد أعطت جل الديانات موقفها من عملية النقل وزرع الأعضاء، نجد من بينها أن الشريعة الإسلامية التي دافعت على حق وكرامة الإنسان في الحياة، مادامت ممارسة نقل وزراعة الأعضاء البشرية جاءت للمحافظة على كرامة الإنسان، فإن الأمر جائز من الناحية الدينية. فإذا إحتاج المريض لعضو لمواصلة هذه الحياة على أكمل وجه ولذلك نجد أنهم إعتبروا أن التبرع بعضو هو غاية نبيلة " **إن عملية التبرع عملية إنسانية يتضح فيها مبدأ الإيثار للمحافظة على الجنس البشري والمحافظة على الحياة، لأن علماء الدين لم يقفوا أمام التطورات العلمية** "[1] ، وهذا ما جعل من زراعة الأعضاء يجد مجالاً واسعا في مجتمعاتنا، أصبح اليوم التكلم حوله بكل مطلقية، لأنه يحقق غاية إنسانية ويحفظ كرامة الإنسان.

ولقد أصبحنا في وقعنا اليوم نشهد العديد من التجاوزات، والمتمثلة في سرقة الأطفال والإتجار بالأعضاء البشرية بإنشاء شبكات عابرة للقرات، تعمل على سرقة الأعضاء وترك ذلك الإنسان جثة هامدة، فهذا فعل غير أخلاقي ولا يمت بأي صلة من الغاية الأولى التي سمح فيها إستعمال ونقل الأعضاء البشرية ؛ " **فمن المؤسسات العلمية الفقهية التي أجازت، الغرس الذاتي بشرط أن لا يؤدي التدخل الجراحى إلى ضرر ونص القرار الصادر عنها رقم 99 بتاريخ1402/11/6**" [2].

---

[1]– سمية بيدوح، فلسفة الجسد، مرجع سابق، ص 39

[2]– محمد الحبيب بن خوجة، الاسلام وعلم الأحياء، مرجع سابق، ص91

لقد حققت زراعة الأعضاء البشرية العديد من الإيجابيات*، إلا أنها طرحت جدالاً واسعا بين الفلاسفة والقانونيين، وذلك لكونها عرفت إلتواءات عدة في مدى تطبيقه والإخلال به، من ناحية النظام العام." **فقد أثار الموضوع مشكلات قانونية تتصل مباشرة بكرامة الإنسان وحرمة الجسد وذلك بإرساء ضوابط عملية النقل والزرع بما يحفظ كرامة الإنسان أثناء وبعد العملية** "[1]، فالكرامة الإنسانية هي الغاية الوحيدة التي يسير دائما البحث حولها لكونها غاية هادفة، وقيمة إنسانية لاحدود لها، أن القضايا الأخلاقية التي يمكن أن نناقشها أيضا والتي تولدت على زراعة الأعضاء البشرية، هي تلك الانتهاكات التي انتشرت بسرعة جدا في العالم برمته، إن الإتجار بأعضاء البشر، طرح مشكلاً أخلاقيا كبيراً " **لكي نسموا بكرامة الإنسان وإحترامه داخل الحقل البيوايتقي يجب علينا معاقبة المتسببين في الإتجار بالأعضاء البشرية الإنسانية** "[2]. لأن هذه المشكلة أزمة الوضع الإنساني ، وتحول الإنسان إلى قطع غيار وهذا ما أعاده إلى بداياته الأولى، ولذلك يري لويس سيفي أنه يجب اقرار قوانين تلغي المتاجرة بالعضو البشري، وعدم تشيئته كمادة يمكن الاستفادة المادية منها، لأن ذلك سوف يحدث خلل في الكائن البشري، ويمس الإنسانية بصفة عامة "**ميز المشرحون الإنسان عند جسده وفسخوا الجثث وانكبوا على المثال الجميل للآلة البشرية، حسب تعبير مارغريت بوسار التي لها هوية مختلفة، إن القاعدة الإبستيمولوجية للطب ترتكز عل إنعدام الجاذبية**

* لقد أجرى جوزيف موراي ببوسطن أول عملية زرع كلية لشاب يدعى ريتشارد هيرك، أخذت من شقيقة التوأم حيث عاش 8سنوات، ومثلث هذه العملية انتصارا كبيرا في مجال الطب، وثورة حقيقية في مجال الجراحة، وهو حدث تاريخي تلته أحداث علمية أخري ساهمت في إنجاحها أيضا شجاعة المرضي.

[1]– زهدور أشواق، مقالة بعنوان: المسؤولية الجزائية للطبيب الناجمة عن نقل وزرع الأعضاء البشرية والاتجار بها)، مجلة الدراسات الحقوقية، العدد01، الجزائر،2016، ص9

[2]– Lucien Sève, **Pour une critique de la bioéthique**, Ed. Odile Jacob, Paris, 1994, p316.

مدرك بصفته لاقطا للمرض"[1]، فالمرض هو المحدد لحالة الجسد، وهو الواضع لحدود هذه الحياة، لأن المريض يصبح عليل الجسم وينتظر في أي نهاية يمكنه أن يصل لها، لأنه حادثة فيزيولوجية تعمل على تفريقه مع روحه التي تصبح في مكان آخر غير الجسم.

نجد بيتر مدور يقول أنه " **ان زرع الأعضاء سيصبح في المستقبل عملية جراحية عادية... دون أن يكون بحاجة لتفسيرات فلسفية والسبب واحد وهو أن الانسان يفضل الحياة على الموت** "[2] ربما هذا ما صلنا إليه اليوم وما يجسده الواقع، في إتساع دائرة زرع الأعضاء البشرية بشكل كبير، لأن رؤية بيتر مدور كانت سنة 1969ونحن اليوم نجد أن مثل هذه التقنيات أصبحت منتشرة، نظرا لما توفره للإنسان من حلول وقبول في حياته(سوف نقدم بعض السندات التي يملؤها المريض لغرض إستبدال عضو أو زرع عضو، أو التبرع بعضو)* وهذا دليل على أن حتي التشريعات أعطت للموضوع اهتمام أكثر وبشاطة اكثر، لتفادي أي تجاوز غير أخلاقي قد يمس بكرامة واحترام الانسان.

---

[1]– دافيد لوبروتون، أنتروبولوجيا الجسد والحداثة، تر:محمد عرب صاصيلا، طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1997،ص180.

[2]– روجيه الجاويش، الأخلاقيات في الطب، مرجع سابق، ص71

* أنظر قائمة الملاحق الوثيقة 07/06:

المسؤولية*الطبية وإقرار مبدأ الكرامة الإنسانية:

ظهرت مهنة الطبيب مند وجود الإنسان، فهي مهنة مقدسة وشريفة، لأنها تحافظ على سلامة وصحة الإنسان، والممارس لهذه المهنة يجب أن يحترم الشخصية الإنسانية، ويحافظ على مبدأ كرامة المرضى بصيانة وإحترام حقهم في الحياة، وبأن يكون مستقيماً في عمله وممارسته، فالأساس الفعلي للفلسفة التطبيقة، تبحث عن ضمانات اتيقية، يكون فيها المريض على وعي تام بأنه يريد حياة أفضل مما هو عليها في حالة مرضه، ولذلك يعتبر الطبيب هو الباعث لحياة إنسانية جديدة بعدما كان الإنسان يعاني بسبب المرض الذي يفتك بحياته.

ولذلك تعتبر مهنة الطب من بين المهن التي تحاول أن تعيد للإنسان حياته من جديد، أو تحد من تطور المرض وإنتشاره في الجسم العليل، لذلك إهتم العديد من الفلاسفة منهم الفلاسفة الهلنسنيين بتطوير إمكانياتهم في التحكم ببعض الأمراض وإيجاد حلول لبعض الأمراض المستعية، ظف إلى ذلك أنها لقد هيئة العديد من المراكز الطبية والمستشفيات لغرض الإهتمام بحياة الإنسان، وذلك لغرض تجسيد العلاقة الإتيقية المبنية على الإحترام والسعادة بين الطبيب ومريضه، لأن الدافع الذي أدى بالمريض إلى اللجوء لطبيب هو العلاج

---

* المسؤولية : لقد اشتغل العديد من الفلاسفة حول هذا المفهوم، محاولين بذلك التأسيس المعياري ، لكونه عنصر أخلاقي، وأساس اتيقي تستند عليه العلاقات الإنسانية لمواصلة مسيرتها الحياتية، فالمسؤولية في المنجد يقصد بها الإلتزام في الأفعال (أنظر:المنجد في اللغة العربية، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ط2000،43،ص159)، إلا أنه عرف مفهوم المسؤولية تطورا كبيرا في الفكر المعاصر وخاصة مع هانس يوناس إعتباره أن هذا المفهوم هو فعل أخلاقي ، فالطبيب مسؤول أمام مريضه على حفظ سره ،والمحافظة على حياته ، فمدام الإنسان مسؤول عن واجباته وأفعاله وشعوره إذا هو مسؤول عن كل إحساساته الصادرة عن وعيه بذاته وبهويته ، فلمسؤولية هنا أنواع هناك مسؤولية أخلاقية، مسؤولية أمام الضمير ومسؤولية أمام المجتمع ، وغيرها من المسؤوليات والإلتزامات داخل الحقل المعرفي للحياة أنظر

Paul Foulquié, **Dictionnaire de la langue philosophique**, Presses universitaires de France, Paris, 1962, p 637.

الفوري الذي يتمناه لجسده، تعتبر التقنيات الطبية* التي طرحت كأساس اتيقي اليوم في الحوار البيوايتقي، من بين التقنيات البيوتكنولوجية التي تحاول أن تساهم في إطالة عمر الإنسان، بأي شكل من الأشكال، إلا أن الإنسان اليوم كجسد ووعاء ذاتية يحاول أن يقدم للبشرية اتيقيات العيش السليم بتوطيد فكرة التعايش وتحصيل السعادة بين الطبيب والمريض، تلك العلاقة الاتيقة المؤسسة على شكل من التواصل الأخلاقي (الإحترام، الكرامة، المسؤولية).

يقول هانس يوناس في كتابه «L'art médical et la responsabilité humaine» " **إن المسعي المعاصر اليوم لبعض التقنيات الطبية هي فرض قانون أخلاقي بالإضافة لكونها غاية اتيقية**"[1]، هذا ما يجعلنا نفكر في إعادة تأسيس تلك العلاقة الأكثر من الأخلاقية، ما نعني بها العلاقة الفنية بين الطبيب والمريض، مثل أن يضع الطبيب ذلك المصاب كأجمل لوحة فنية تحكمها ضوابط إتيقية، بالمحافظة على سلامته وكرامته بشكل أساسي، وهذا أجمل وصف يجب أن يفعل داخل مستشفياتنا اليوم، نظراً لما يشهده من تجاوزات، بالإضافة إلا أن يبحث عن حد لألمه الجسدي الذي يعتبر عائقا أمام مواصلته للحياة.

لقد طرح الطب المعاصر العديد من المشاكل الأخلاقية التي يحاول أن ينظر لها الفيلسوف من جانبه القيمي، محاولا بذلك ولوج عالم جديد ما يسمي بالبيواتيقا، متمنيا تحقيق

*جاء في الرأي 63الصادر بتاريخ 2000/01/27للجنة الوطنية للأخلاقيات الطبية بفرنسا " **أن تظل الكرامة صفة ملازمة لكل شخص**"(أنظر محمد مفتاح ، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية،مرجع سابق،ص146) فقد وحدة النظرة حول الموت مهما كان نوعه ومهما كانت غايته، هو يلغي كرامة الإنسان وليس لديه أي صلة مع احترام كرامة الشخص لا من قريب أو من بعيد.

[1]–Hans Jonas, **L'art médical et la responsabilité humaine**, préface d'Emmanuel Hirsch, Editions du Cerf, Paris, 2012, pp 23/30.

إطالة عمر الإنسان والإستنساخ والموت الرحيم وزراعة الأعضاء، كلها مواضيع أجاد بها الطب وتمادي في تعامله معها، وهذا ما دفع بفيلسوف اليوم أن يفكر داخل حقل اتيقي تجريبي، يسعى من خلاله إلى أخلقة الحياة والمعيش اليومي.

هذا ما يدفع إلى البحث عن التأسيس الفعلي للوعي الانساني بكرامته أولا –وإنسانيته ثانيا، يحث الفيلسوف الألماني ديتر بيرن باخر" **أن تأسيس علاقة اتيقة بين المريض والطبيب (السلطة المطبقة والسلطة المتلقية)، هي إعطائها فرصة إختيار تقرير مصيرها اتجاه بعض التقنيات التكنولوجية الطبية أو العلمية، أو السياسية** "[1]، معناه وجوب أن تكون العلاقة بينهما علاقة ود والصداقة، مبنية على أساس الإحترام والإهتمام بهذا الآخر، وفي المقابل يجب أن توضع ظوابط أخلاقية وقانونية تفضح الممارسات اللأخلاقية التي تستنزف الفرد وتمس بكرامته.

إن كل تلك التقنيات جاءت لترسخ مبدأ كرامة الإنسان، من خلال الحلول التجريبية العملية التي جاءت بها، إلا أنها وجدت نفسها في منعطف آخر، تولدت عنها مشاكل وتساؤلات اتيقية، تبحث على مجال أخلاقي يبررها، فقد أصبح الحوار الإتيقي اليوم يشغل العديد من العلماء والأطباء ورجال الدين، وهذا راجع لإنعكاسات التقنيات لم يستطع أن يفك شفرتها العالم برمته. يقول رويشي إيدا " **إن التقدم العلمي وتقدم علوم الحياة بصورة خاصة يعتبر من أهم الظواهر في القرن ال20؛ فهو يمثل إنتصار لذكاء الإنسانية، ويشكل في الوقت نفسه تحدياً كبيراً لحياة البشرية نفسها**"[2]، إن كثيرا من المشاكل الصحية التي كان

---

[1]– Dieter Birnbacher, **Bioethik als Tabu? Toleranz und ihre Grenzen**, Lit, Verlag Münster, Hamburg–London, 2002, pp 41/50 .

[2] – جيروم بنتام وآخرون، القيم إلى أين؟، رويشي إيدا، مقالة بعنوان أخلاقيات علوم الحياة ومستقبل الكائن الحي، (ط1)، بيت الحكمة ، تونس ،2005، ص 355

يشتكي منها الإنسان في القديم، وكانت تقف أمام الإنسانية جمعاء، متمثلة في إنتشار بعض الأمراض المعدية، التي تهدد حياة الإنسان ومستقبله، فقد أصبح اليوم العلم قادراً على حلها، وإيجاد حلول نهائية لبعضها، وهذا كله يرجع لعملية التجريب وتطور العلوم؛ وأن الإنسان ظل يبحث عن حلول يصل من خلالها إلى ترسيخ مبدأ كرامته (قيمة الإنسان) "**وحفظ كرامته كان من بين أولوياته؛ وأهدافه لذلك سعى دائما لتطوير كفاءاته** "[1] .

لا يخفي علينا أن المسؤولية الطبية كانت منذ القديم، بالإضافة إلا أن أخطاء الأطباء هي أيضا كانت سائدة بدورها "**تعتبر الأخطاء الطبية من الموضوعات التي لازمت الممارسة الطبية منذ القدم، ولذلك وضعت تشريعات لكي تضبط هذه الأفعال**"[2] وهنا نجد شريعة حمورابي* التي أجازها في تسعة فقراة، أنه إذا استعمل الطبيب دواء وشفي به المريض هنا يجب أن يجازى عن عمله، الذي أنقد حياة مريض كان مصاباً.

فهذه أخلاقيات الطب التي شهدها الإنسان منذ أزمنة، هي بدايات لتفكير الإنسان في حقوقه وكرامته. إن من المبادئ التي تطرح على شكل قيمة أخلاقية هي مسؤولية الطبيب أمام المريض يقول هانس يوناس " **إن القيم الإنسانية التي تمثل جانبا كبيرا في حق الجسد الإنساني أن يكون في صيانة تامة من ناحية لا متناهية في المجال الطبي** "[3]، لذلك اعتبر الفيلسوف أن الطب هو فن، فإذا أدرك الطبيب أنه فنان في مخبره وفي عيادته، هنا سوف

---

[1]– سعيد محمد الحفا، البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والشؤون والآداب نوفمبر 1981، الكويت، ص83

[2] –رسمية شمسو، المسؤولية الطبية بين القانون والشريعة، مرجع سابق، ص13

* تعتبر قوانين حمورابي أو كما يطلق عليها شريعة حمورابي هي أول قانون عرف في التاريخ وكان مسجلا في مدينة بابل 1790ق.م، المبدأ الذي تأسست عليه شريعته هي العين بالعين، والسن بالسن.

[3]– Hans Jonas, **L'art médical et la responsabilité humaine**, Editions du Cerf, Paris, 2012, p50.

نضمن للمريض علاقة أخلاقية ، لأن الحقيقة اليوم تقر أن التقنية سادت في جميع المناحي وهذا، ما يستوجب من الأطباء أن يتحسن من تصرفاته، وليس إلغائه وإخراجه من النطاق الأخلاقي.

"**إن احترام كرامة الأشخاص هي في الحقيقة باعث اتيقي لقيمة لا نهائية**"[1] لأن الغاية من الحفاظ على كرامة الانسان هي مبدأ لا حدود له، لكونها تسموا بأخلاق الفرد من المستوي الكائن إلى المطلق، سواء كان مريضا أو بصحة كاملة، فهذه القيمة les valeurهي التي تحافظ على إهتمام الأفراد بذواتهم، فالانسان هو الحاكم الفاصل بين ذاته التي تسعي لغرس الاحترام والكرامة مع ذاتها ومع الآخر الذي يشكل بالنسبة لها آداة اتيقية، تتداخل مع كل ماهو قيمي أخلاقي، ولذلك نجد العديد من المواثيق التي دعت إلى الحفاظ على كرامة الإنسان حتي في ظل الممارسات التقنية. ظف إلى ذلك أن مبدأ تكريم الإنسان وإحترامه، هي صورة تعكس خليفة الأرض ومعاملاتهم لبعضهم البعض، فإذا كان هناك إحترام متبادل respect égal بين البشر فيما بينهم، هذا ما يجعل منهم متحابون ومتعاونون فيما بينهم، إذاً دائما العلاقة التي يجب أن تحكم الإنسان مع أخيه الإنسان الآخر هي علاقة اتيقية شعارها إحترم الآخر لكي يحترمك. أما هانس يوناس يؤكد على مبدأ المسؤولية لأنه غاية اتيقية يحقق الإنسان من خلاله كرامته الذاتية .

يؤكد **فرونس وداغوني** على احترام حياة الإنسان، وذلك للمحافظة على طبيعته التي وجد عليها، مع استمراره في إستخدام التقنية، لكن من دون جعلها سيدتاً عليه لدرجة أنها تعدم حريته، وتلغي كرامته بشكل كبير" **يسجل فرونس وداغوني ثلاثة حدود لتدخل التقني في الكائن الحي بعدم تجاوزها وهي: علينا المحافظة على تنوعه، الأخذ باعتبار تركيبته**

[1]– Alliance catholique canadienne de la santé, Journée mondiale des malades de l'an, «**La dignité de la personne humaine**», article tiré du guide d'éthique de la santé, 2000, p1.

وتعقيدها وإنقاد الإنسانية "[1] فمهما كان التدخل التقني في حياة الإنسان، هذا ليس داعم أن نمس بقيم الإنسان، بل يجب أن نجعل من التقنية تخدم هذا الإنسان وتحافظ على قدسيته التي خلق بها ولأجلها، لأن الإنسان مهما بلغ من تطور في جميع المجالات التي تحيط به، ومن تسهيلات في حياته، إلا أنه يحتاج إلى ذاته وهويته الإنسانية، وإلا سوف يعيش حالة من الإغتراب الذي سوف يعمل على قمع كرامته وذاته.

إن المنطلق الاتيقي يأخذنا دائما إلى البحث عن مسؤولية الانسان نحو إنسانيته وانسانية مايحيط به، وهذا ما دعي له هانس يوناس في مبدأ المسؤولية الذي يرى أنه قائم على إحترام الإنسان والطبيعة لكونها جزء من حياته تحقق له الرفاهية والأريحية في التواصل والبقاء"**إن التفكير في المسؤولية الجماعية، هو في حد ذاته مسؤولية إنسانية**"[2]، نفهم هنا أن التفكير الإنساني دائما لا يزال في رحلة بحث لتأسيس مسؤولياته القائمة عن غاية مطلقة التي تبحث عن إنسان واعي" **لقد وسع هانس يوناس التصور الاتيقي ويجعله بلاحدود، تعدي الإنسانية ويحترم كل الكائنات وعدم التفكير في الأضرار بالكائنات التي لم توجد بعد**"[3] قاعدتنا الأساسية هي جعل المبادئ الاتيقية تتعدي جميع الحدود، إلى مرحلة إنتقالية يكون فيها الكائن الحي هو الغاية، التي يجب أن نصل بها إلى حل نهائي .

" **لقد شبه Guy Durande الطبيعة الطبية، والطب عموما بالتسوق الجيد super- marché**"[4] إن المريض يجد عند الطبيب غاياته وآماله، التي لايجدها خارج المجال

---

[1]–العمري حربوش، التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة فراونس وداغوني، مذكرة لنيل شهادة المجيستر، جامعة قسنطينة، 2008، ص137.

[2]– Lucien sève, **Pour une critique de la raison bioéthique**, Ed. Odile Jacob, Paris, 1994, p180.

[3]– سمية بيدوح، فلسفة الجسد، مرجع سابق، ص111

[4] – Guy Durand, **La bioéthique**, Ed. Cerf-Fides, Canada, 1997, p92.

الطبي، والذي يحقق له إنسانيته بإستعمال الممارسات التي تستعمل اليوم، والتي تسهل على المريض مواصلة حياته بشكل أحسن وأرقي، فالإختيار الجيد والتسوق الأفضل هو ما يعبر به النإسان عن حريته، فالطب هو تقنية يجتاز من خلالها المريض مرحلة الإختيار في زراعة الأعضاء. كاختيار قلب أو كلية أو خلية، كلها تقع على مسؤولية الطبيب الذي يمكنه أن يجعل من الحاجة، حقيقة وهذا هو الربط الاتيقي بين الطبيب والمريض.

إن ربط الأسس الاتيقية بين المريض والطبيب ترتكز على ثلاث مستويات تقوم عليها العلاقة الاتيقية(القيم ، المبادئ والقواعد)، كل هذه المستويات تشكل لنا، حوار فلسفي مبني على أساس من التأمل العقلي، في جل القضايا الواقعة اليوم في الطب، ووجب على الطبيب أن يجعل من مهنته مبنية على أساس أنطولوجي، يتماشى مع الواقع البيوطبي التطبيقي، الذي يحترم كرامة الإنسان، ويكلف الطبيب بدرجة أولى على المسؤولية الطبية، التي تشيد بخصوصية المريض.

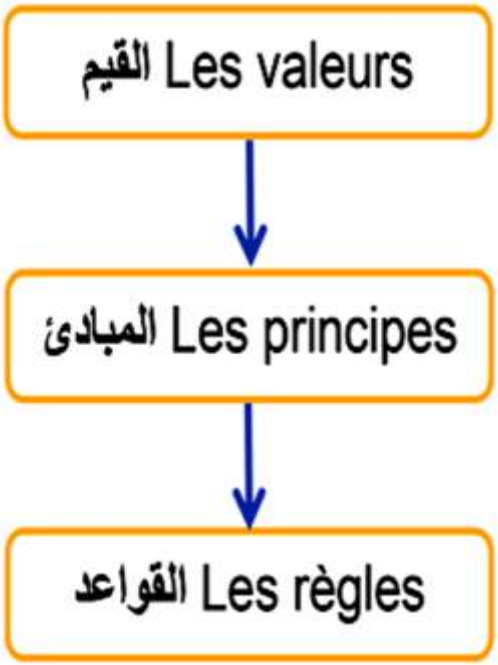

إن الحماية الإنسانية هي الدافع الأساسي، لبعث قيم اتيقية، تؤسس لعلاقات إنسانية بين الأفراد، الذي يعتبرون متساوون في جميع الحقوق والمبادئ العليا، ولذلك نجد تلك المبادئ أرضية فلسفية تأسست عليها جل الأحكام البيوطبية، لكونها محورا أساسيا بين المريض والطبيب، اللذان يعتبران كليهما إنسان، ولذلك وجبت أن تكون العلاقة بينهما علاقة إحترام متبادل، فيجب أن تنشئ مسؤولية إتجاه التجارب البيوطبية لضمان مبدأ كرامة الإنسان، وهذا ما يجب أن ترتكز عليه القواعد التقية لبناء أسس الإحترام والكرامة والمسؤولية. إذن كل من القيم والمبادئ والقواعد، كلها لها علاقة متجانسة مع الفعل l'action الأخلاقي، الذي يحاول أن يؤسس إلى أخلاقيات لامحدودة، ومهمة في الحياة الإنسانية، التي تجعل منها أكثر قداسة.

إن التغير القاعدي اليوم يكمن في الممارسات التطبيقية التي جعلت من الفلسفة هي المتأمل في ما يحدث من تجارب في المخابر البيولوجية، فكانت بمثابة المسؤولية عن العديد من الخطابات البيوطبية والتكنولوجية في المجال الإنساني، حيث دعت الفلسفة إلى التساؤل عن مصير الإنسان داخل هذه الممارسات؟ ولذلك حاولت أن تبحث عن قواعد تتمسك بها، لتخرج الإنسان من حالة التجريب، إلى إحترام كيانه وكرامته" **إن مسؤولية إستخدام التقنيات البيوطبية، وجعل الإنسان يشهد العديد من التجارب، هي التي أزمت الوضع أمام الطب اليوم، وأصبح يفكر العالم اليوم في الجانب الطبي الواقعي أكثر من التظير الأنطولوجي**" [1] لأن الحياة اليوم أصبحت تفكير في كيفية البقاء، ونوعية الحياة التي يمكن أن يبقي فيها الإنسان من دون المساس بقدسية حياته .

[1] – Guy Durand, **La bioéthique**, Ed. Cerf–Fides, Canada, 1997, p95.

ولذلك يقول Dominique Folscheid دومنيك " **إن الطب هو الفرصة الوحيدة للمحافظة على الكرامة الانسانية** " [1] على أساس أن الطب هو الحياة، لما يقدمه من حلول عملية للمريض، وأن الطب أيضا يساعد على مواصلة العيش الجيد، مع الصحة الجيدة، لأن المجال الطبي أصبح اليوم يستعمل العديد من الممارسات لأجل الإنسانية، فالطبيب يجب أن يكون باعث للأمل، مع المحافظة على سر المريض، وإعلامه بجميع الأطوار التي سوف يخضع لها للعلاج. وهذا ما نسميه اقرار وحفاظ على كرامة الجسد الانساني.

إنه من الواجب أن يتمسك كل طبيب بالقسم الذي يكون البداية التي يستند عليها من النظري إلى العملي، وهي التي تؤكد على مساعدة المرضى ونصحهم، وذلك بإختيار الجانب الأقل ضررا، من التجريب الذي يمكن أن يصيبه ويؤدي بحايته إلى الغموض،" **إن المسؤولية الطبية تتمثل في مستقبل الطب، وهذا يرتكز على الوعي بالمستقبل، وما يحيط به من مخاطر، من خلال تدخل الممارسات البيتكونولوجيا في المجال الطبي**"[2] إن التفكير الفلسفي يحاول أن يصد جميع التجاوزات التي يشهدها العالم برمته، وذلك لتفادي تأثيراتها في مستقبل الإنسان، لأن مهنة التطبيب، هي فن قبل أن تكون مهنة، يلجأ إليها المريض لإستعادة كرامته باللجوء إلى الطبيب، معتبرا أنه سوف يقوم بعلاجه، وكأن الطبيب هو من يملك الشفاء.

ويمكننا أن نوجز أهم المبادئ الاتيقية، الذي تقع كمسؤولية الطبيب اتجاه المريض، والتي نجدها برزت منذ قسم أبقراط المعروف في الطب، ونجدها نفسها ولكن بتقديم جديد تتداخل

---

[1]– Thomas de Koninck, **De la dignité humaine**, Ed. Presses universitaires de France, 1995, p147

[2] – Dieter Birnbacher, **La responsabilité envers les génération futures**, traduit par Olivier Mannoni, Editions Presses Universitaires de France, Paris, 1994, pp 160/163.

مع البيواتيقا الطبية اليوم، (الإحسان، الرفق، والثقة)، كل هذه المبادئ تحاول أن ترتقي بالطب إلى أبعد المجالات، لأن الطب يمكن له أن يتطور ويتدقدم " **الثقة بين الطبيب والمريض**"[1].لأن الإنسان بحاجة مساسة للآخر الذي من الواجب أن يجد معه راحته، ومابالك بالمريض الذي يري في الطبيب هو الباعث الجديد للحياة، لأنه يملك الشفاء له، فالبيواتيقا اليوم تدعوا إلى إنشاء منظومة قيمية ترتكز على مبدأ الإحسان النظرة التي يجب أن يراها الطبيب في مريضه، بالإضافة لثقة التي من الواجب أن يحس بها الطبيب لكي يستطيع مواصلة علاج المريض، والثقة هي الميثاق الأخلاقي الذي يجب أن يكون بينهما، فإذا تحققت هذه المبادئ الثلاث نقول هنا أن مسؤولية الطبيب لقد وصلت لأوجها.

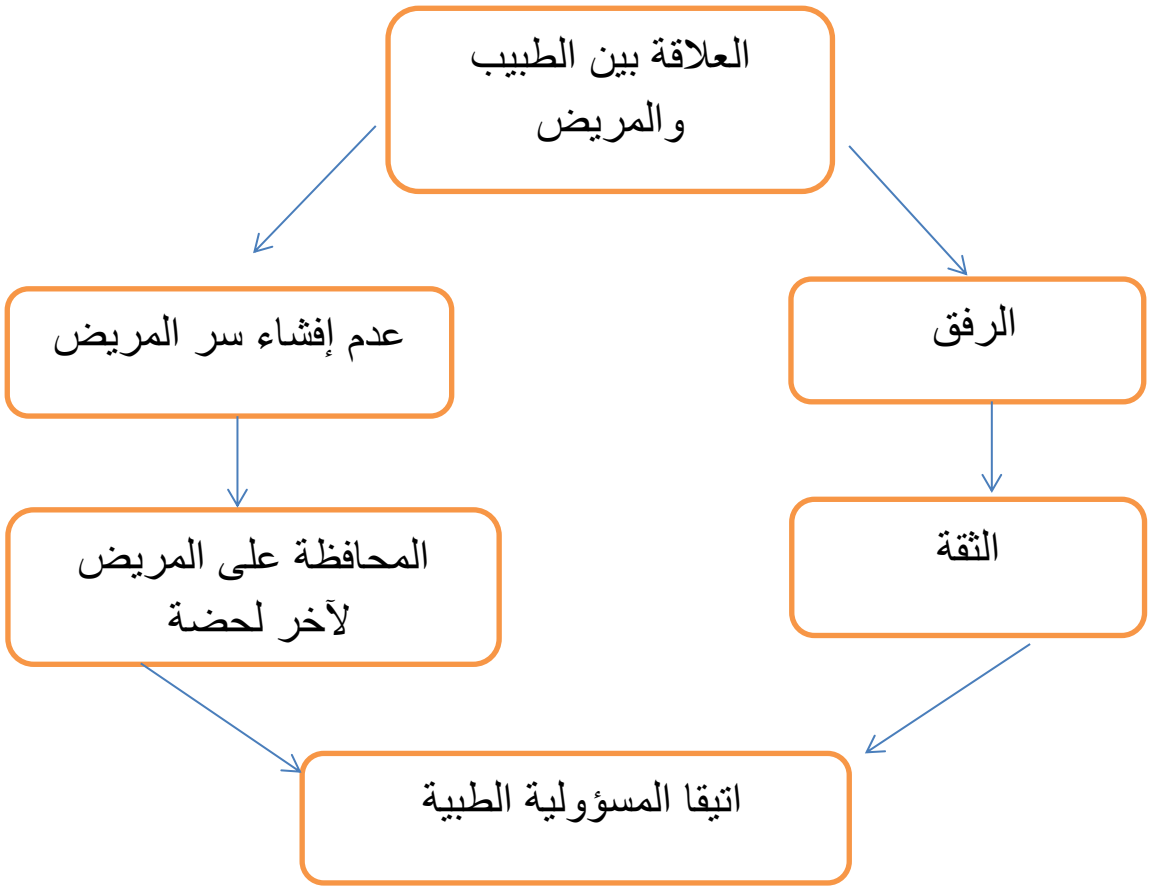

[1]– غي ديران، البواتيقا، تر: محمد الجديدي، مرجع سابق، ص 85

الضوابط الدولية ومستقبل الإنسان :

لاشك أننا اليوم نعيش أزمة خانقة في ظل هذه الممارسات المنافية لمفهوم الإنسان، أو التي أصبحت تنظر للإنسان كنظرة ثانوية؛ لكونه لم يصبح هو الأساس في المجال التجريبي، وهذا يرجع لما يتعرض له الإنسان من تجريب، في محاولة جعله كالمادة الجامدة التي لا تملك أي قدرة أو حق لتعبير عن ذاتها .

ولذلك نجد أن مفهوم الحق في الخطاب المعاصر أخذ منحى آخر، نتيجة الظروف التي شهدها العالم التي تتضمن تلك السلبية في الخطاب والمعاملة، وهذا ما جعل الإنسان يفكر في ذاته كونه إنسان ولديه حق طبيعي للحفاظ على ذاتيته كما يقول جون لوك " **حق الحفاظ على ممتلكات الحياة** " [1] فمفهوم الحق إختلف حسب منظور كل فيلسوف ووجهة رأيه في الجانب الحقوقي للإنسان. فما هي الأسس التي إنبثقت عليها حقوق الإنسان ؟ وكيف ساهم التفكير الفلسفي في تطوير هذا المبدأ ؟ وأين يكمن الجانب الاتيقي في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ؟ تنطلق آن فاغو لاغو*Anne Fagot Largeault من فكرة مفادها أن التدخل الإنساني والمتمثل في التجارب الطبية والممارسات هي التي أزمت الوضع الطبي" **إن فعل التدخل الإنساني في البحوث والدراسات الطبية التطبيقية، هو الذي زاد من تأزيم الوضع الحالى**".[2] فالحق الحق هو من بين القيم الثلاث التي يتألف منها العالم" الحق، الخير، الجمال"[3] فمبحث القيم يتأسس على جانب من الإكسيولوجيا، ويعرف المثاليون الحق أنه صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال، وبالتالى يصبح الحكم بصواب القول أو خطيئة

---

[1]– جون لوك ، الحكومة المدنية ،مرجع سابق ، ص 256

*آن فاغو لاغو : طبيبة وفيلسوفة ولدت سنة 1938، تشغل منصب أستاذة في جامعة فرنسا .

[2] – Henri Atlan, in **Théories biologiques, éthique et expérimentation en médecine**, Editions du Centre national de la recherche scientifique, Paris, 1988, p 241.

[3] –ابراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي، معجم سابق، ص80

ثابتة لا يتغير، أما بالنسبة للطبيعيين هو صفة يضيفها العقل إلى الأقوال طبقا لظروف المتغيرة، فنجد الحق يختلف بحسب الهيئة التي تصدر الحكم، يقول أفلاطون" **إن الحق هو السبيل لتحقيق العدالة**"[1]، وفي هذا الإطار تكمن الحقوق وتتحقق العدالة التي وضعها أفلاطون في مدينتة وأسس لها العديد من العلاقات الأخلاقية.

أضاف هوبز أيضا شوطاً كبيراً في فلسفة الحق، لكونها تساهم في إخراج الإنسان من حالته الطبيعية إلى بناء الدولة، فعلينا أولا أن نفرق بين ما يسميه بالحق الطبيعي والقانون الطبيعي، فقد تمثل الحق الطبيعي عند هوبز بضمان حرية الأفراد الغير محدودة لجميع الأفراد ولحماية حياتهم، والدفاع عن أساس وجودهم، أما بالنسبة لسبينوزا " **حق الفرد الطبيعي والمدني وحق الحاكم، ومن ثم فالقانون والحق يختلفان إختلافا كبيراً مثلما يختلف الإلزام عن الحرية، حيث أنهما لا يلتقيان لأن الحق تعبير عن نشاط بشري بصفة عامة، في حين أن القانون هو الذي يتصف بصفة الإلزام في هذا النشاط**"[2] و قدم علال الفاسي وجهة نظره في الحق لكونه" **حرية التفكير**"[3] أراد أن يبرز أن الحق الإنساني يكمن في ممارسته للتفكير بدون قيد أوقمع، بل له كل الصلاحية للممارسة تفكيره حتي وإن عارض به وجهة نظر أخرى.

لقد تولدت فكرة الحفاظ على حقوق الإنسان، نتيجة الظروف التي عاشتها الإنسانية والإنسان، من إنتهاكات على جميع الأصعدة، فتولد عن ذلك ضوابط وضمانات حاولت تحقيق حرية وكرامة الإنسان، لأن الإنسان في الحقيقة لا يستطيع أن يعيش من غير ضوابط دولية تقر له مبادئ وأخلاقيات، يتمتع من خلالها بإنسانيته. فهل الكرامة الإنسانية معطى أم

---

[1] –عبد السلام بنعبد العالى، دفاتر فلسفية حقوق الانسان، الاسكندرية دار توبوقال للنشر، ب س، ص14

[2]– امام عبد الفتاح امام، هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1985، ص ص 234

[3] –علال الفاسي، مجلة أصل، الدار البيضاء، العدد 4،المغرب، 1966، ص139

مطلب يأخذ بالغصب؟ يعنى هل نطالب بكرامتنا أم يجب أن نعيش في واقع يحفظ لنا الكرامة؟ وهل حققت الضوابط الد هذه الغاية الإنسانية ؟.

قسم أبقراط * :

لقد تضمن قسم أبقراط نصوص تقر مبدأ اقرار الصداقة بين الطبيب والمريض، داخل وعاء اتيقي كما يعرف اليوم في اللجان الأخلاقية للطب وهذا ما أكد عليه المجلس الوطني للعمادة الأطباء بفرنسا Le président du Conseil national de l'Ordre des médecins en France ، " **لقد كان أبو قراط "شديد الرصانة كثير التحفظ، بالغ التواضع**"[1] لكونه كان يعي مدى أهمية ومكانة الطبيب بالنسبة لهذا المريض، الفاقد للأمل في الحياة .فقد كان يحاول أن يلطف ألم المريض بكل إستطاعته، لكي يخرجه من تلك الحالة التي تسيطر عليه، وتجعل من ألمه يتضاعف، إلى تشبته بالحياة أكثر مما كان عليه.

وأضاف أيضا في قسمه المشهور المحافظة على سرية المريض، لأنها مبدأ أساسي يمكن للمريض أن يشعر بأمان مطلق، ويجب على الطبيب أن يحافظ على مريضه، أن لا يصف له دواءا قاتلا أو سم، لأن وظيفته هي العمل على بعث حياة أخرى، وليس وضع حد لحياته مثلما هو موجود اليوم في ممارسة الموت الرحيم، إن قسمه المشهور تداول عليه مجموعة من الأطباء بعد تخرجهم يقومون بقسمه قبل مزاولتهم لمهنة الطب، حتي وإن كان النصوص القانونية اليوم تضبط جل الممارسات الطبية من خلال قواعد لا يجب الإخلال بها أو إنتهاكها.

---

*قسم أبقراط: طبيب يوناني ولد حوالى سنة 460 ق م، القائل ليس عندي من فضيلة العلم سوى إدراكي بأنني لست عالم ، توفي سنة 375 ق م ، ولديه قسم مشهور أبو قراط المشهور هو نص عادة ما يقسم به الأطباء قبل مزاولتهم لمهنة الطب ، مع العلم أنه لايوجد ما يجبر الأطباء على هذا القسم بما ان مهنة الطب ، في هذا العصر محددة بنصوص قانونية ، ويعتبر أبقراط والملقب بأبو الطب وأعضم الأطباء عصره صاحب فكرة هذا القسم (أنظر :الملاحق الوثيقة رقم 03)

[1]– جورج سارتون، تاريخ العلم ،ج1، دار المعارف،ط2، القاهرة، 1985، ص22

قانون نورمبرغ1946بألمانيا:

نشأ القانون نتيجة التجارب الطبية التي كانت تقوم بها النازية في مخيماتها العسكرية ضد الأسرى والمعتقلين، خلال الحربين العالميتين، وهذا ما جعل الأمر يتأزم في مجال التجارب الطبية والبيولوجية، وخوفا من تكرار مثل هذه الإنتهاكات على حقوق الإنسان كان يجب محاكمة المتورطين في ذلك في المحكمة العسكرية الدولية بنومبرغ، وهذا ما أدى إلى التوقيع على مجموعة من المباديء والمصادقة عليها وهي عشرة، يمكن أن نوجزها في ما يلي :[1]

- عدم تعرض الإنسان لأي إكراه مهما كان نوعه .
- إذا أردنا أن نستعمل تجربة على إنسان يجب أن نتأكد أنها سوف تعم الفائدة على المجتمع عامة .
- يجب أن نطبق التجربة على الحيوان ثم الإنسان وذلك يرجع لخصوصية الإنسان.
- تجنب الإكراه على الأفراد الذين سوف يكونون عرضة لهذه التجارب .
- يمنع منعا باتا إستعمال تجربة ممكن أن تؤدي بصاحبها إلى الموت، أو أن تسبب له عجز .
- يجب الحذر من تجربة، مقارنة بفائدتها يبقي الإنسان هو الأحق وهو الأعلى.
- إعطاء الحق للمتبرعين يمكنهم العدول عن رأيهم في أي وقت أرادوا.

نلاحظ أن كل المباديء تصب في إنسانية الإنسان ومصلحته، التي كان يعاني فيها التهميش، والإقصاء وقلة الإحترام، فقانون نومبرغ كان بمثابة الأرضية الإتيقية التي يتعين

[1]– محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة، مرجع سابق، ص73

على الأطباء والبيولوجيين، وأصحاب التجارب التمسك بها وعدم إخلال أي قاعدة من قواعدها.

وقد ظل قانون نورنبرغ منصوص عليه في العديد من المعاهدات والإعلانات الدولية "**الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948،إعلان هلسنكي1964،وإعلان طوكيو1975،إتفاقية أسيلومار1975، والإعلان العالمي حول الجينوم البشري**"[1] التي تلتها، لإعتباره قانون أساسي جاء لتجريم تلك التجارب الطبية والبيولوجية على البشر، الغير أخلاقية، وقد أكد القانون أيضا على ضرورة الموافقة التي يجب أن يؤكد عليها الفرد الذي سوف تقام عليه التجربة، من دون أي إكراه أو ضغط، بل أكثر من ذلك يجب أن يكون بدراية كاملة بنتائج التجربة التي سوف تجري عليه وعواقبها على كرامته وصحته.

الميثاق العالمي لحقوق*الانسان:

La déclaration universelle des droits de l'homme

لقد ساهمت ظروف عدة في ظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، من بينها تبلور الوعي الإنساني، وبحثه عن حقوقه التي تتضمن كرامته وإحترامه ومساواته مع اللآخر، فقد كان ظهور الإعلان العالمي مساهمة كبيرة في ظهور الفكر البيوايتقي. كما يرى بوفتاس في

---

[1]– عمر بوفتاس، البيواتيقا، مرجع سابق، ص45

*مفهوم الحق VRAI : الحق هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على العقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل، أما الصدق فقد شاع فى الاستعمال ويقابله الكذب أنظر: " موسوعة لالاند الفلسفية، معجم سابق، ص1571/ الحق في معجم لالاند " ما هو حق صحيح لا سيما بالمعنى كنت أرغب دوما رغبة شديدة في تفريق الصحيح من الباطل، لأري أفعالي بوضوح ولأمشي في هذه الحياة على يقين " لأن معرف الحق سوف تحدد لنا أهم السمات الأخلاقية لكون الحق هو الباعث القيمي ولذلك نجده من أهم مباحث الأكسيولوجيا، فمفهوم الحق والباطل هما مفهومان لا يلتقيان أبدا لا في العقل البشري ولا حتي الجانب الأخلاقي في الحياة لأنهما لا يعبران على موقف واحد، بل لكل مفهوم مجاله الخاص، فاذا كان الحق موجود، بالضرورة سوف يغيب الباطل والعكس صحيح.

كتابه البيوايتقيا " **إن فكرة حقوق الإنسان يعتبر ميلادها الفعلى سنة 1948، وهذا دليل واضح على الإنتقال الذي حدث من مرحلة رفع الإعلانات إلى مرحلة إنتقالية، اتسمت بتشخيص هذه الحقوق والمطالبة بتجسيدها على الواقع العملي**"[1]، فقد تم تخصيص لكل مجال قواعده وحقوقه الخاصة، ويؤكد المهتمين بالمجال البيوايتقي، أن الإهتمام بأخلاقيات الحياة تبحث عن نوعية الحياة، ولذلك إهتموا بأخلاقيات علوم الأحياء من بدايات نشأة الإنسان(الجنين)، وصولا إلى تعريضه للموت الرحيم، وغيرها من الممارسات اللأخلاقية التي عرفتها التجارب البيوطبية، لأن القضايا التي كانت عامة في السابق أصبحت في الأخلاقيات المعاصرة متجزئة، فكل مجال في الحياة يجب أن يوجد له أخلاقياته وأسسه ومبادئه، التي يعتمد عليها لمعالجته وتحليله، فقد جاء في هذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في البند الأول يقر على أنه: "**يولد جميع الناس أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء***"

إتخذت الكرامة الإنسانية طابعا قضائيا و سياسيا عام 1991، فأي تعدي على الكرامة الإنسانية هو تعدي على الإنسانية جمعاء " و**بمجئ الديانات الكتابية حرم تلك العادات القديمة ورسخت مبدأ قدسية الحياة البشرية، ولقد كرست القوانين والتشريعات الوضعية هذا التحريم، بل جرمت هذا الفعل وإعتبرته مستحقا للعقاب**"[2]، فالعادات القديمة المتمثلة في

---

[1] –عمر بوفتاس، البوايتقا، مرجع سابق، ص36

* المادة الأولي من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر سنة 1948، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان : هو وثيقة حقوق دولية ، تمثل الإعلان الذي تبنته الأمم المتحدة في 1948/12/10 في قصر شايو بباريس، الإعلان يتحدث عن رأي الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان المحمية لدي كل الناس، يتألف هذا الإعلان من 30مادة، يعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من بين الوثائق الدولية الرءيسية لحقوق الإنسان والتي تبينها من قبل الأمم المتحدة، ونالت تلك الوثيقة موقعا هاما في القانون الدولي ، وذلك مع وثيقتي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية 1966 (أنظر الملاحق الوثيقة: رقم 04)

[2]– عبد الرزاق الداوي ، موت الانسان، مرجع سابق ، ص 56

عدم إعطاء الإنسان الحق في التصرف في إنسانيته، بل جعل الإنسان مجرد آداة لتحقيق غايات سياسية، وتجارب طبية وبيولوجية وغيرها من الممارسات، التي كانت تفسر على شكل طقوس دينية، ولذلك حاول العالم أن يبحث عن أطر وقوانين تسموا بقيمة الإنسان وتجعل منه غاية يجب الوقوف عندها، وعدم المساس بها بأي شكل من الأشكال." **لأن النصوص القانونية قبل الفترة الممتدة بين 1982و1998 كانت هناك مجرد بحوث، لم ترقى إلى إرساء قواعد اتيقية تعلن مباشرة المحافضة عن الكرامة الإنسانية حق ومطلب لجميع البشر مهما كانت إيديولوجياتهم** "[1] لأن التأسيس الفعلي لحقوق الإنسان هو ما نبع من فكرة الأنوار في الفكر الغربي ومانتج عنه من سلطة الكنيسة.

اللجنة الوطنية الإستشارية للاتيقا

comité consultatif nastional d'éthique

تعتبر هذه اللجنة من بين اللجان المهمة، التي جاءت منددة بمجموعة من الإنتهاكات التي تحدث في ميدان البيولوجيا والطب، وتحاول أن تجعل من كرامة الإنسان مبنية على أساس من الثقة والإحترام المتبادل بين الأفراد " **تأسست هذه اللجنة الوطنية الإستشارية للاتيقا في فرنسا 23فبراير 1983 في فرنسا** "[2]، لقد سارت فرنسا في نهج العديد من الدول التي إهتمت بالكائن الحي، وما يواجهه من تحديات تقنية في الحياة اليومية، ولذلك عملت على تأسيس هذه اللجنة لغرض إنشاء صلة بين المجتمع و الإنسان، لإطلاعه على جميع الممارسات التي تقام في المخابر العلمية، لغرض إشراكهم في التطلع والرأي والمساهمة في

---

[1]–Marcelle Monette, **Analyse du concept de dignité humaine en bioéthique entre 1966 et 1999 et construction d'une définition**, Dissertation, Université de Montréal, Canada, 2000, p79 .

[2]– لمراجعة هذه اللجنة وأهم مبادئها أنظر الرابط الالكتروني الخاص به http://www.ccne-ethique.fr

التفكير الأخلاقي، وماتعرضه عليهم من تحديات في مجال البيولوجيا والصحة والتكنولوجيا وحتي السياسية، نظرا للعلاقة الوثيقة بين هذه الفروع والإنسان .

الإعلان العالمي بشأن المجين البشري وحقوق الإنسان*

La Déclaration univeriselle sur Le Génome hummain Et Les Droits De l'homme 1997

لقد جاء هذا الإعلان، يتضمن العديد من المبادئ للحفاظ على حقوق الإنسان، ولذا وردت في ديباجته " **إن الإعتراف بالكرامة متأصلة، في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم الثابتة، هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم**"[1] فلا يستطيع العالم العيش من دون سلام عالمي يضمن له حريته وينشر العدل، وهذا ما نلاحظه اليوم من خلال الإنعكاسات الناتجة عن سوء تطبيق الضوابط الدولية التي أقرتها لجان وإعلانات.

ويؤكد كذلك أن" **المثل العليا الديمقراطية التي تنادي بالكرامة والمساواة والإحترام للذات الإنسانية، وترفض مذهب عدم المساواة بين الأجناس**"[2] ينطلق الإعلان بتأكيده على المبادئ التي جاءت في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، ويضيف لها مبادئ وقيم أخرى مثل السلام والعدالة والحرية، إن وجوب تمسك كل الأمم بهذه المبادئ، وإرساء روح التعاون والإخلاص بين الأفراد، ويخصص الإعلان تأكيده على" **المجين البشري هو قوام الوحدة الأساسية لجميع أعضاء الأسرة البشرية، وقواعد الإعتراف بكرامتهم وتنوعهم**"[3]، نستنتج إذاً

---

* أعتمد هذا القرار بناء على تقرير اللجنة الثالثة، في الجلسة العامة السادسة والعشرون بتاريخ 11نوفمبر1997
أنظر الملاحق الوثيقة رقم: 05

[1]– محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة، مرجع سابق، ص (77،78)

[2]– ملتقي دولي حول الأخلاقيات في علوم الأحياء، 23و25أكتوبر1997 بتونس، ص105

[3] –Marie Jo Thiel, **Au nom de la dégnité de l'etre humain**, bayard, 2013,p76.

أن جل المواثيق الدولية، جاءت نتيجة التطورات البيوتكنولوجية التي شهدها العالم، وأدت هذه الممارسات إلى المساس بقديسة الحياة، وكرامة الإنسان بإخضاعه لتجارب علمية؛ ولذلك توحدة الرؤية المشروعة لإقرار مبدأ الكرامة الإنسانية، والإحترام، وإرساء السلام العالمي.

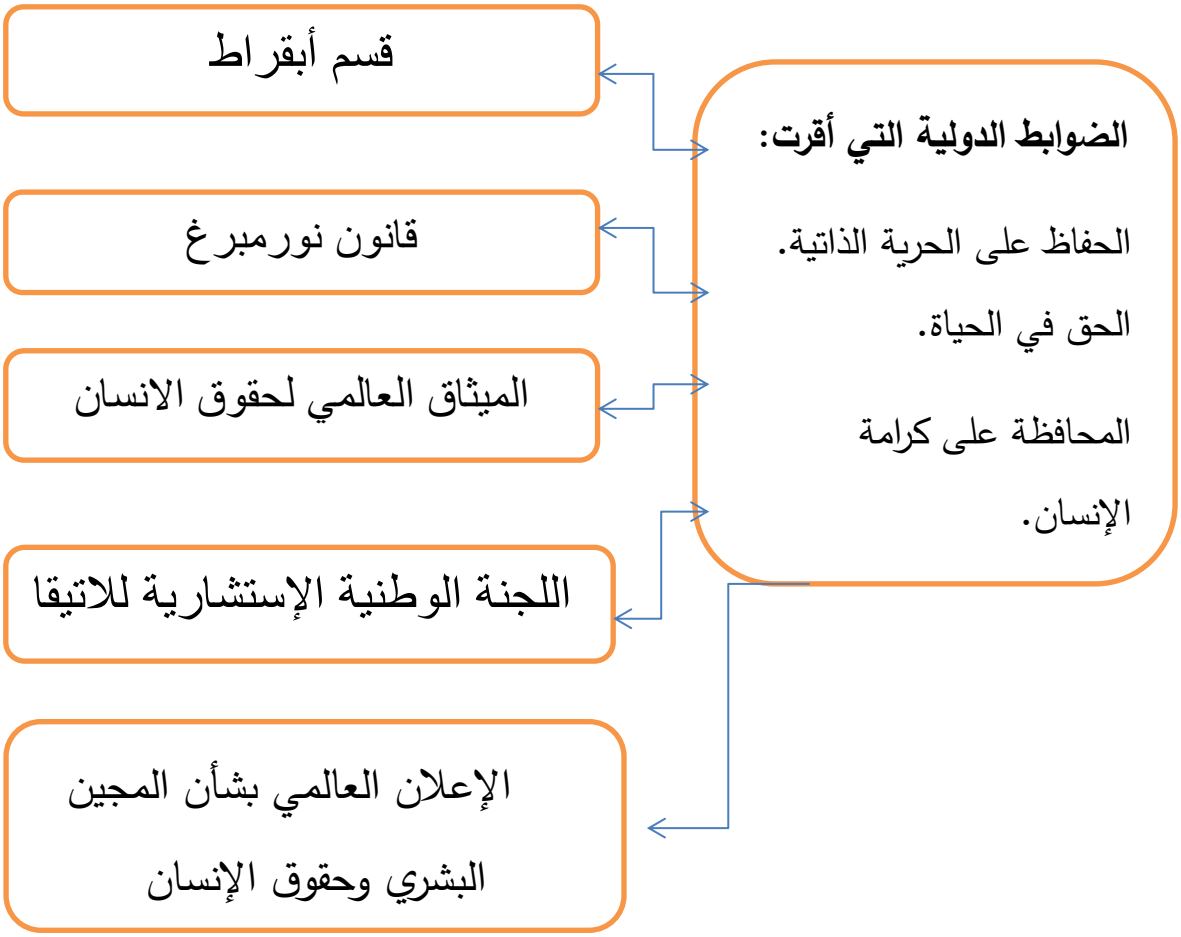

مستقبل الإنسان من التجارب البيوطبية :

يعتبر الترميم الاتيقي الذي شهده العالم نتيجة التطور التقني والبيولوجي، هو ماينتمي لذلك التدخل الفلسفي في المجال العلمي، بحثا عن مبادئ وقيم وأخلاقيات، وممكن أن يسأل أحد منا عن الغاية من التدخل الاتيقي، أو الإضافة التي يمكن أن يقدمها الفيلسوف والمنظر الأخلاقي للطب والبيولوجيا والحقل العلمي بصفة عامة، لذلك تعددت الكتابات والدراسات الفلسفية اليوم على الساحة الفكرية التي تطرح تنبع من هذه الممارسات، وتعطيها شكل آخر من الإنفتاح الأخلاقي داخل هذا التمركز البيوطبي. فالفيلسوف اليوم يصاحب التطورات والإنعكاسات الحادثة من جراء الطبيب، فعلى سبيل المثال عندما نعود إلى قسم أبقراط المشهور في تاريخ الطب الإنساني، نجد أن مبادئه تقر أن الإنسان كائن مكرم يجب أن يبقي الطبيب على هذه الصفة الإنسانية، يعني أن يحافظ على ماء وجه مريضه، مثل ما جاء في العديد من التعريفات للكرامة، لذلك أهم ما نلاحظه في هذه الفلسفات المعاصرة اليوم، هي البحث عن القيم الإنسانية المنشودة لبعض التقنيات الطبية، الموجودة في الساحة العلمية اليوم ، فمثلا الموت الرحيم أو زراعة الأعضاء البشرية أو حتى الإستنساخ وغيرها من التقنيات الطبية التي إشد الجدل حولها اليوم بين الثلاثية (العلم والاخلاق والدين).

فكثيراً ما أصبحنا نسمع في الخطابات الغربية، لما يسمى بالموت الرحيم، فمسألة الموت اليوم أخذت شكلاً آخر " **بعد التطور الكبير الذي عرفته وسائل الإنعاش الطبي وتقنياتها، أخذت مسألة الموت أبعاداً جديدة في الطب المعاصر، وبشكل خاص عندما صار بإمكان الطب اليوم إطالة أمد الحياة المرضى الميؤوس منهم** " [1] يضاف أننا نعيش اليوم في

---

[1] – عبد الرزاق الداوي، حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطالع الألفية الثالثة ، الدار البضاء ، ط1، شركة النشر والتوزيع المدراس ، 2004، ص 55

لقد تطرقنا في المدخل إلى تعريف الجسد .

عالم تحول فيه الجسد من الرؤيا القديمة التي تؤلهه، إلى رؤية معاصرة التي تجعل من الجسد غاية لتحقيق تلك أحلام البيولوجين من خلال تجاربهم على البشر، بعض التقنيات التي يشهدها العالم اليوم كالأم البديل، الإستنساخ، زراعة الأعضاء البشرية أو الموت الرحيم كلها تقنيات طبية لها صدى كبير في المجال الأخلاقي .

لقد تتظافرة الجهود اليوم من المجال العلمي إلى المجال الفلسفي وحتي المجال الديني الذي يبحث عن التأسيس القيمي لمثل هذه التقنيات، فهو يحاول أن يبحث عن قيم أخلاقية تضبط هذه التقنيات وتجعلها أكثر فاعلية للإنسان، وأكثر إحتراماً. لكون الجسد البشري أصبح في الهاوية اللأخلاقية " **أن التقدم العلمي الطبي والتكنولوجي أثار قضايا أخلاقية وفلسفية جديدة حول مشروعية إعتبار الجسد مجرد شئ قابل للإستنساخ والزرع وتأجير الأرحام، الأم البديل .....وغيرها** "[1] إن هذه التقنيات هي التي غيرت من مفهوم الإنسان، وأعطته صبغة أخرى بعدما كان وحدة كاملة شاملة يدرس، وغير قابل للتغير، أو التفكيك، إلا أن الحاجة التجريبية اليوم أدت إلى تغيير كل المنظومات الطبية الأخلاقية لإستعمال التقنيات التي غيرت من تركيبة هذا الإنسان وأصبح يدرس مجزءا مفصلا. إننا لا نفكر في ماهية الممارسات الأخلاقية بل ما يشغل بال المشرع الأخلاقي في هذا الموضوع، هي كيفية الحد من هذه الممارسات التي تهدد مستقبل الإنسان. والتي جردته من كرامته وإنسانيته، " **فقد تشكلت قناعة في المجتمعات تجرم بعض الممارسات مثل القتل والتعذيب**

[1]– رشيدة السمين، حرمة الجسد بين الأخلاق والقانون،الأخلاقيات التطبيقية(جدل القيم والسياقات الراهنة لعلم)،خديجة زتيلي، منشورات الضفاف، لبنان،2015، ص130

والرق والمعاملة الذنيئة التي تخالف ما شرعت له حقوق الإنسان، في البحث عن الحياة الكريمة والأمن الشخصي، وكل إعتداء على الجسد هو إعتداء عن كرامة وإحترام الإنسان"[1]

لقد أجريت تعديلات عديدة على الجسد البشري وهذا ما جعل توافد العديد من المختصين حوله " **فبعدما كان هذا الجسد البشري مطمروا ومهمشا موضوع يستحي التحدث فيه، خرج ليرى النور ويحتك بالتكنولوجيا الطبية، إلا أنه فقد المكانة التي يجب أن تكون له وأصبح مثله مثل الأشياء**"[2]، لقد أصبح الإنسان يخضع لقوانين العرض والطلب، مثله مثل الأشياء المادية، التي يمكن أن ندخلها لسوق، وهذه مدعاة للبحث والعودة للهوية الإنسانية من باب الحفاظ على كرامة الإنسان .لأن المأزق التجريبي هو الذي يشهده عالم التقنيات الطبية اليوم، في كيفية ومكانى كرامة الإنسان، والطريق التي يجب أن تسلكها البشرية للخروج من دائرة التلاعب بخلايا الإنسان أو بأعضائه، إلى البحث عن تأسيس الاتيقي لما يسمى أخلاق كونية عالمية، تصل إلى رفع من حياة الأشخاص والحفاظ عن هويتهم، لأن هذا التلاعب يعتبر تعدي على كل ماهو أخلاقي واتيقي مع هذا الجنس البشري.

ما يؤكده الفلاسفة اليوم هو الحضور الأخلاقي لنمو الكيان الإنساني يقول أكسال كهن " **يمكننا ولدينا القدرة لنغير من الطرق التي يستعبد فيها الإنسان اليوم، وذلك عن طريق مبادئ أخلاقية تمكننا من إحترام هذا الإنسان والبحث عن قيمته الأخلاقية في ظل التفاعل الطبي** "[3] فالتقدم العلمي هو التقدم في علوم الحياة لكونه يعتبر إنتصارا اتيقيا بشكل آخر، أما

---

[1]– رشيدة السمين، حرمة الجسد بين الأخلاق والقانون،الأخلاقيات التطبيقية(جدل القيم والسياقات الراهنة لعلم)، مرجع سابق، ص130.

[2] –سمية بيدوح ، فلسفة الجسد ، مرجع سابق ،ص9

1– Axel Kahn, **L'homme, le bien et le mal**, Editions Stock, France, 2008, pp 31/33

بالنسبة لتغلبنا من العبودية التي رسختها التقنية والممارسات الطبية على الإنسان، هي التي زادت من تأزيم الوضع الحالي.

يرى رويشي إيدا في مقال له بعنوان – أخلاقيات علوم الحياة ومستقبل الكائن الحي– إن الواقع الذي يشهده القرن العشرين من إنجازات في مجال علوم الحياة والتكنولوجيا على الطبيعة البشرية، هو بمثابة تهديد للحياة البشرية، بل أكثر من ذلك هو تهديد لحياة الكائن الحي نفسه، وذلك " **رؤية تلك الزوجان اللذان كانا في الأمس القريب عاقرين اليوم يمكنهما الإستفادة من تقنيات الإنجاب بواسطة التلقيح الإصطناعي** "[1] إذن يمكننا أن نرى جنين من غير إتصال زوجين، وذلك بالتلقيح الإصطناعي والذي فتح الأفق أمام اللذين كانوا يعانون العقم، ظف إلى ذلك يمكن اليوم للأبحاث أن تكشف لنا جميع الأسرار التي كان يعيشها الجنين في بطن أمه، وذلك فيما يخص الجينوم البشري، وذلك بالبحث والكشف عن التشوهات التي يمكن أن تصيب الطفل، ويمكن للطب المعاصر اليوم أن يقوم بعلاجها وتدارك الأمر قبل ولادة الطفل، فيمكن إن نعالج الجنين قبل ولادته وهذا ما يدخل في علم الأجنة، والخريطة الجينية وفك الشفرة الوراثية "**إن إكتمال دراسة الجينوم البشري يمكن من معرفة الإختلافات الموجودة بين الجينومات البشرية لعدة أفراد**"[2]، من جهة أخرى يعتبر السؤال الفلسفي الذي يخاض في النقاش اليوم. والذي ينفتح على أخلاقيات الطب هو البحث عن ماهو أفضل للإنسان، وتفعيله داخل دائرة الشمولية والكونية، والبحث عن إنسان بمواصفات عالمية، ومبادئ أخلاقية وقيم ....الخ .

فالممارسات الطبية اليوم غايتها هي تخليص المريض من آلمه، ولذلك تعمل على إستنطاق الجانب الايتقي في الطبيب والمريض، الذي يعمل بمعزل عن كرامة الإنسان، وهنا

---

[1]–جيرمي بنتام وآخرون، أخلاقيات علوم الحياة ومستقبل الكائن الحي،مرجع سابق، ،ص355

[2]– نفسه، ص357

نجد أن السؤال الفلسفي يكون وطيد الصلة بالغاية التي يسعى لها الطبيب " **ترتكز ممارسة الطب والبحث على علاقات وطيدة من الثقة بين المريض والطبيب، بين الذات والباحث** "[1]، لأن الخاصية الذاتية في إنفصالها عن الباحث، تؤكد عدم تواصل اتيقي بين المجموعتين، وهنا يجد المريض نفسه تحت اللاحماية الاتيقية في صحته ولذلك" **إن الإختلاف الواقع بين الذات والباحث ...يفضي إلى فقدان الكرامة الإنسانية** "[2] لأن الذات تبحث دائما عن إستقرار تشعر به عند إحتكاكها بهذا الطبيب، الذي ترى فيه السبيل الوحيد لإيجاد حد لآلمها ومعاناتها.

فالمشروع الايتقي يستحدث اليوم قوانين من الواقع العملي لغرض جعل الحياة أكثر أخلاقية " **البحث عن تخليق الحياة بجميع توجهاتها، وهذا ما يدعوا إلى ضرورة وضع مبادىء عالمية لأخلقة الحياة la vie éthique** "[3] يحيلنا هذا الكلام أن الكائن البشري لا يستطيع الإستمرار في هذا الوضع الذي آل إليه، لأنه في الحقيقة يهدد مستقبله البشري ككائن حي يعيش بحاجة ماسة للآخر، وهذا ما يتيح مراجعة المسائل التي طرحت على الساحة البيولوجية .

فنظرة الإنسان اليوم للحياة إختلفت، عما كان عليه في السابق، لأن الإنزلاق البيولوجي حدث في البيولوجيا، وأوقع الكائن البشري في الكم الهائل من التساؤلات في مصيره ومستقبله الغير وأضحت معالمه لحد الساعة "**الحياة والكائن الحي ضلا على الدوام فيما يشبه سحابة ضباب وغموض مبهم حالا دون تميزهما الواضح** "[4] هذا الغموض الذي تولد عن وجود

---

[1]– غي ديران، البيوايتقيا(الطبيعة،المبادئ،الرهانات) ، مرجع سابق، ص64

[2]– نفسه، ص66

[3]– Lucien sève, **Pour une critique de la bioéthique**, Ed. Odile Jacob, Paris, 1994, p193.

[4]– جان نيكولا تورنييه، الكائن الحي مفكك ترميزه، تر:هالة صلاح الدين لولو،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2009، ص23

تعريف للكائن البشري ولحياته التي يعشها؛ هو الذي جعل من اللجان الأخلاقية تؤكد على مبدأ الإنفرادية والذاتية والحرية والكرامة الإنسانية .

إذا الإنسان اليوم يصب جل إهتمامه حول (الجسد والمرض والموت)، فاتعجز البيولوجيا والطب، أن تجد حلاً نهائياً لهذه المفارقات التي لا يمكنها أن تفارق الكائن البشري، فالمطالبة بجسد خال من جميع العلل هو أمل، ولكن سرعان ما ينهار هذا الجسد ويصبح مريضاً حتى يسير في طريق الموت، فلا البيولوجيا ولا الطب المعاصر بإمكانهم إيقاف هذا الموت، إذا لا مجال اليوم لفكرة البقاء التي يحاول الطب أن يرسخها في التقنيات البوطبية (زراعة الأعضاء البشرية، الموت الرحيم، الاستنساخ..) فهي مجرد وهم لن يصل إليه الطب مهما بلغ من تطور، وهذه الحقيقة يجب أن ندركها، قبل أن نصادق عليها. وهذا ما دفع العلم البيولوجي يتحدث عن مدى إمكانية إطالة العمر البشري بإعتماد هذه الممارسات التي يمكن أن تحافظ على المريض بأي شكل من الأشكال البيوطبية.

الخاتمة

يعتبر البحث في ميدان الكرامة الإنسانية، عنصرا من أخلاقيات الفلسفة التطبيقية التي تؤسس لبنود اتيقية تضمن لنا إنسانية الإنسان، وسط كل المتغيرات الراهنة، فحضور الخطاب الفلسفي، المساير لتقدم البيوطبي والعلمي لغرض إنشاء قواعد ومبادىء اتيقية غرضها حماية واحترام كرامة الإنسان، ولذلك نجد أن جميع الأديان تتفق في بعض المسائل منها مسألة تجريم الموت الرحيم، الذي هو في الحقيقة تجاوز للحياة، وفي بعض الأحيان يكون تجاوزا للمريض نفسه؛ من خلال تقرير مصيره بدلا عنه في أقصى حالاته الحرجة، ولذلك نجد أن المسائل التي تمس كرامة الإنسان يتدخل فيها رجل القانون، والفيلسوف، والطبيب، والعالم.

لا يخفي علينا أن المستقبل سوف يكون متشعب ، نظرا لما تقدمه الهندسة الوراثية ، والتنبوء الوراثي، والفحص الجيني، وغيرها من المواضيع، التي هي وطيدة الصلة بحياة وكرامة الأفراد، وهذا ما أدى إلى بروز بعض التجاوزات الأخلاقية وما انجر عنه من نتائج وخيمة، على حياة الإنسان ، لكونها تمس بمبدأ كرامة الإنسان خاصة فيما مثلته أبحاث العلماء في الاستنساخ والأم البديلة والموت الرحيم.

مهما اتسعت دائرة القوانين والمواثيق الدولية، الكونية ومهما حاولت أن تقر ضوابط وقواعد، تحمي بها الإنسان من جراء ما يتعرض له من تجارب وانتهاكات في الميدان البيولوجي؛ كل هذا يقف عاجزا أمام محاولة زرع علاقة إنسانية بين الطبيب والمريض، وليس الردع؛ لأن الهدف الوحيد الذي تطمح له الإنسانية هو المحافظة على الكيان البشري بأي السبل كانت .

إن ما قدمه كانط، كان إحياء لما يسمى بالفلسفة الإنسانية، من خلال اقراره لمشروع السلام الدائم ، ونظرية الواجب، لذلك تعتبر فلسفة كانط الأخلاقية هي البدايات الأولى لإرساء القواعد الأولى للأخلاقيات التطبيقية، التي تعرف اليوم تطورا واسعا وانتشارا كبيرا في شتي مجالات الحياة ، لذلك تعتبر إنسانية الإنسان من بين الأولويات التي قام عليها الفكر الأنواري، وهذا ما بلوره الوعي الإنساني، بعدما كان يعيش الاضطهاد الفكري من خلال سيطرة رجال الدين، إلا أن محمد أركون يرى أن الفلسفة أو النزعة الإنسانية، تعرفت عليها أوروبا من خلال الفتوحات والترجمات التي كانوا يقومون بها.

لقد عبر الفكر اليوناني عن الأخلاق كهدف اسمى للإنسان من خلال الحفاظ على كماله ووجوده الشخصي، ولذلك حاول العديد من الفلاسفة اليونان البحث عن السعادة المطلقة، ولقد سعت الديانة المسيحية وراء جعل الفعل الأخلاقي إلزام، وأن الحفاظ على كرامة الانسان وصيانتها يكون من خلال الحفاظ على سلامة النفس البشرية، وأن البدن هو ليس إلا أداة في يد الروح، التي اعتبرت سلطة مطلقة لها الصلاحية الاتيقية لتأسيس لكل ما هو أخلاقي تطبيقي، ظف إلى ذلك أن القرآن الكريم من خلال نصوصه التي جاءت تقر بمبدئ الحفاظ على الكرامة الانسانية، في جميع مراحلة (منذ أن يكون جنينا حتي آخر يوم في حياته)، وهذا ما يؤكد أن جميع الرسالات السماوية جاءت موحدة في الغاية والمبدأ .

كما نحتاج إلى بث الفلسفة الإنسانية اليوم، من جديد ليس في صورتها التقليدية، بل لتساير اليومي القائم على الضمير والاحترام، والسير على خطى كانط الفلسفية، فلابد للواقع أن ينطبق مع نفسه، من خلال انطباق الاحترام مع أخلاقيات الإنسان. لأن احترام الأفراد لبعضهم البعض داخل وعاء إنساني اتيقي، يضفي روح

التعـاون والمسـؤولية اتجـاه الآخـر، والمحبـة، مـن الجانـب القيمـي داخـل الـدول والمجتمعات، وهذا ما يفقده العالم اليوم، ولذلك نجد أن إنسانية الإنسان من بين الأولويات التي شغلت الفكر الفلسفي، سواء في الفلسفات الكلاسيكية أو المعاصرة، فقد حاولت تخليص الإنسان من الدوغمائية والاضطهاد.

ان مشكلة المرض لدى الانسان هي ناتجة عن حدوث اضطرابات في أحد الأعضاء التي تكون جسم الإنسان، فهي تشكل خطراً على حياة الإنسان وارتباطه بحياته الانسانية، فكلما تدخل الانسان في الطبيعة البشرية، وجد نفسه داخل متاهات غير محدودة وتحيله إلى جانب غير أخلاقي .

تسعى البيواتيقا لإيجاد حلول عملية من خلال انشاء تقارب اتيقي علمي بين ما هو كائن؛ وما ينبغي أن يكون في المستقبل لدى الحقل الإنساني، فالأخلاق والعلم تظل محل طرح وبحث تثقل كاهن الانسان، فمهما بحثت اللجان الاتقية عن القواعد والضوابط اللازمة، إلا أن الفعل الحقيقي لا زال بعيد جدا عن الساحة العلمية، لأن الحياة هي إبرام اتفاق بين العلم والأخلاق ، فيجب على العلم أن يتقيد بالأخلاق ، وأيضا وجب على الأخلاق أن ترافق العلم في جميع تحركاته وتجاربه، لكي نضمن حريات الأفراد، ونحفظ كرامتهم الإنسانية .

من الواجب الحفاظ على كرامة الانسان، ولا يجب أن يخضع هذا الواجب إلى قيود أوشروط مثل السنl’age ، أو النوعsexe ،أو الأصل race، أو الدين religion، أو الثقافة cultuers ، فكل هذه الجوانب لا تؤثر، في احترامنا لكرامة بعضنا، والتي من الواجب أن يكون فيها الوعي الانساني هو الغاية الاساسية

والمحورية، لأننا كلنا بشر ويجب أن نفكر في بعضنا البعض من باب الانسانية، لنسير بالحياة نحو الأحسن والأفضل .

إن ما قدمته لنا الاتيقا، في المجال الإنساني هي العيش داخل اطار اجتماعي أكثر انسانية، لأن اقرار مبدأ الكرامة الانسانية، يجعلنا نعي أهمية الآخر، لأن الاتيقا جاءت ترسخ مفهوم القيم المبادئ الاتيقية المطلقة، التي يجب أن يتأسس عليها العالم، فالتفكير الفلسفي وخطاباته المتواصلة لبعث أمل جديد لما هو قادم في المستقبل، يجعلنا ننتظر ما سوف يقدم من ممارسات تجعلنا اكثر إنسانيين، فمستقبل الإنسان يبقي غامضا في ظل كل هذه التطورات، وتحديات الإنسان لمجري الطبيعة، يضفي عليه إقرار انعكاسات سلبية في جميع مجالات حياته، فنأمل أن نجسد العديد من القيم كالعيش المشترك، والانفتاح على الآخر، والوعي بكرامة الانسان، ترسيخ الجوارية والاستقبال وحتى الاعتراف، كلها قيم تخرجنا من الانعطاف الفكري السالب إلي تمجيد وتقديس انسانية وكرامة الإنسان، يبقي دائما موضوع الكرامة الانسانية مفتوحا لمجلات أخري يمكنها أن تجيبنا عن العديد من الأسئلة، والرهانات التي لم يسعنا الوقت لذكرها كلها في هذه الأطروحة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

العهد القديم نسخة الكترونية

العهد الجديد نسخة الكترونية

1/ المصادر :

اللغة العربية:

1 أحمد محمود صبحي وفهمي زيدان، في فلسفة الطب، تقديم محمود مرسي عبد الله، دط، دار النهضة العربية للنشر و التوزيع ، بيروت، 1993 .

2 عبد السلام بنعبد العالي، دفاتر فلسفية حقوق الانسان، الاسكندرية دار توبوقال للنشر، ب س.

3 غيورغي غاتشف، الوعي والفن، تر: نوفل نيوف، عالم المعرفة، فبراير، 1990

4 فتحي مسكيني كانط وأنطولوجيا العصر، مقالة : لفتحي المسكيني، بعنوان كانط بعد هايدغر الانسان ماهو ؟أم من هو ؟، ط1، ، دار الفارابي، بيروت 2010 .

5 فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا بعد البشري عوقب ثورة التقنية الحيوية، تر:علي المولا، مركز الإمارات للداسات والبحوث الاستراتيجية، ب س.

6 محمد مفتاح، قضايا طبية معاصرة على ضوء أخلاقيات مهنة الطب والأديان والقوانين الوضعية (الإستنساخ، قتل الشفقة، كراء الأرحام)، مركز النشر الجامعي، ط1، تونس، 2013.

7 مصطفي النشار، الفلسفة التطبيقية، الدار المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

8 هدي حامد قشوش، القتل بدافع الشفقة، ط2، دار النهضة العربية، 1996 .

9 تمثل التقنيات البيولوجية تهديدا للانسان، البيوطيقا، مجموعة من الباحثين، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا،2010.

10 أم الزين بنشيخة المسكيني، كانط راهنا أو الانسان في حدود مجرد العقل، ط1، المركز الثقافي العربي ، المغرب، 2006

11 بشير المؤدب، الايتيقا مفارقات وتأويلات، ط1، المغاربية للطابعة والنشر، تونس، 2013

12 جيل دولوز، فلسفة كانط النقدية، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، ط1، 1997.

13 دحدوح رشيد، إبستمولوجيا العلوم الطبية والبيولوجية عند جورج كانغيلام، دار الروافد الثقافية – ناشرون، ط1، 2013.

14 رسمية شمسو، المسؤولية الطبية بين القانون والشريعة، دار العصماء، ط1، 2012.

15 رشيدة السمين، حرمة الجسد بين الأخلاق والقانون، الأخلاقيات التطبيقية(جدل القيم والسياقات الراهنة لعلم)، خديجة زتيلي، منشورات الضفاف، لبنان، 2015.

16 روجيه الجاويش، الأخلاقيات في الطب (مدخل إلي مقاربة فلسفية)، ط1دار نوفل، بيروت، 2009.

17 عبد الرزاق الداوي، حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطالع الألفية الثالثة، الدار البيضاء، ط1، شركة النشر والتوزيع المدراس، 2004.

18 محمد هشام، في مفهوم تاريخ اختلافي للتفكير البيولوجي عند جورج كانغلام، (ب ط)، افريقيا الشرق، المغرب، 2007 .

اللغة الفرنسية :

19- Axel Kahn, **L'homme, le bien et le mal**, Editions Stock, France, 2008.

20- Corliss Lamont, **The philosophy of humanism**, Eighth edition, 1997.

21- Emmanuel Levinas, **Ethique et infini**, 16e éd, Ed. Fayard, Paris, 2011 .

22- Ghislaine Cleret de Langavant, Préface d'Edgar Morin, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2000

23- Jacques Arnould, **La biologie est-elle un humanisme ?** Forum Diderot, 1ère édition, Presses Universitaires de France, Paris, 1999

24- Jean Arnould, **Biologie et humanité de l'homme**, Forum Diderot, 1ère édition, Presses Universitaires de France, Paris, 1999

25- Maine de Biran, **Les œuvres complètes**, édition de Victor Cousin, v3.

26- Pierre Vendryes, **Vers la théorie de l'homme**, Ed. Presses universitaires de France, 1973

27- Dieter Birnbacher, **Bioethik als Tabu? Toleranz und ihre Grenzen**, Lit, Verlag Münster, Hamburg–London, 2002

28- Emmanuel Lévinas, **Humanisme de l'autre homme**, Biblio essais,1968

29Guy Durand, **La bioéthique**, Ed. Cerf-Fides, Canada, 1997

30- Hans Jonas, **L'art médical et la responsabilité humaine**, préface d'Emmanuel Hirsch, Editions du Cerf, Paris, 2012

31- Henri Atlan, **Théories biologiques, éthique et expérimentation en médecine,** Edition du Centre national de la recherche scientifique, Paris, 1988

32- Jean Bernard, **De la biologie à l'éthique: Nouveaux pouvoir de la science, nouveaux devoirs de l'homme**, Edition Buchet/Chastel, Paris, 1990

33- Lucien Sève, **Pour une critique de la raison bioéthique**, Ed. Odile Jacob, Paris, 1994.

34- Marie-Jo Thiel, **Au nom de la dignité de l'être humain**, Bayard, France, 2013

35- Marie-Luce Pavia et Thierry Revet, **La dignité de la personne humaine**, Economica, Paris, 1999

36- Pierre Fortin, **La morale, l'éthique, l'éthicologie**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 1995

37- Thomas de Koninck, **De la dignité humaine**, Ed. Presses universitaires de France, 1995.

2/ المراجع :

العربية :

1-أحمد حليم عطية، الفكر الأخلاقي المعاصر، ط 1، عويدات للنشر و التوزيع و الطباعة، بيروت، 2001 .

2- إبراهيم محمد سعد الندي، موت الدماغ، ط1، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية،2010.

3- عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، (ب ط)، دار الطليعة، بيروت، (ب س).

4- محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل،ط1،الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،بيروت،2008.

5- يوحنا قمير، فلاسفة العرب : الفارابي ، ط2، دار المشرق، لبنان، (ب ت)،.

6- ابن سينا، القانون في الطب، تحقيق علي زيغود، دار عز الدين للنشر، د ط، بيروت، 1996 .

7-عبد الرزاق الداوي، حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في الألفية الثالثة، مرجع 16عبدالقادر تومي، أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث، ط1، الحزائر، 2011.

8-فرنسوا غريغور، المذاهب الأخلاقية الكبرى، ترجمة كتيبة المعروفي، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1977 .

9 -فكرة الجسد من الموروث الحضاري إلي فلسفة نيتشه، ط1، دار الفرقد، دمشق 2014.

10- السلام عبد بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي، ط4، دار الطليعة، بيروت، 1998.

11-توفيق الطويل لفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، 1967.

12-كرستوفروانت، تر:امام عبد الفتاح إمام، ط1، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.

13-كلود برنار، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشاروني، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، تونس، 1982 .

14–كلود دوبر، الممكن وتكنولوجيا حيوية، تر: ميشال يوسف، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2014.

15ليفيناس، مدخل إلي فلسفة إيمانويل ليفيناس، تر:إدريس كثيروعز الدين الحطابي، منشورات الإختلاف، ط1، 2013.

16مطران كيلس، المسيحية في أخلاقياتها، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، بيروت، 1999

17مونيك كانتوا وآخرون، الفلسفة الأخلاقية، تر:جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2008 .

18–نيتشه، أصل الأخلاق وفصلها، تر : حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات نشر وتوزيع، بيروت، ط1، 1980

19–هانس كينغ، مشروع أخلاقي عالمي (دور الديانات في السلام العالمي)، تر:جوزيف معلوف وآخرون،

20–إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة الأخلاق، دار النشر للثقافة و التوزيع، دط، القاهرة، دس.

21–امام عبد الفتاح امام، هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1985

22–ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر:عبد الغفار مكاوي، منشورات الجمل، ط1، ألمانيا، 2002.

23جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة و تقديم عادل العوا، عويدات للنشر و الطباعة، ط1، بيروت، 2001 . .

24راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، القاهرة، 2009 .

25–أحمد أمين و زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، ط 2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935.

26–أحمد حليم عطية، جالينوس في الفكر القديم و المعاصر، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، دط، بيروت، 1999 .

27–ايمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق،تر:عبد الغفار مكاوي،،ط1،منشورات الجمل ،ألمانيا ،2002.

28–توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية : نشأتها وتطورها، (ب ط)، دار النهضة العربية ، مصر، 1967.

29–جان نيكولا تورنييه، الكائن الحي مفكك ترميزه، تر:هالة صلاح الدين لولو، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2009.

30–حسن حنفي، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة،2008 .

31–دافيد لوبروتون، أنتروبولوجيا الجسد والحداثة، تر:محمد عرب صاصيلا، طبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1997.

32–رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، تر: أحمد شيباني، مكتبة بركس ستريم،(ب ب)، 1988 .

33– سمية بيدوح، فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2009 .

34– شيخة سالم العريض، الوراثة ما لها وما عليها، دار الحرف للطباعة و النشر، ط1، 2003 .

35–عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.

36–عبد الرزاق بلعقروز، السؤال ومسارات الانفتاح، ط1 ،منشورات الضفاف، لبنان، 2010.

37– عبد المحسن صالح، التنبؤ العلمي و مستقبل الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد48، ديسمبر 1981 .

38–غي ديران، البوايتقيا (الطبيعة، المبادئ، الرهانات)، تر: محمد الجديدى، ط1، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2015.

39كاترين هالبرن، مقالة (هل تمثل التقنيات البيولوجية تهديدا للانسان) تر:المنتصر الحملي، ط1، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، 2010.

40–ليفيناس، مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس، تر:إدريس كثير وعز الدين الحطابي ، ط1، منشورات الإختلاف،2013.

41–ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1991

42–محمد اركون، الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، تر:محمود عزب، ط1، دار الطليعة، بيروت،2006 .

43-محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر المثقفين الهيغليين ، تر: الكسندر كوجيف وإريك فايل، ط1، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت،2008.
44-محمد بهاوي، الوعي واللاوعي، (ب ط)، ج4، افريقيا الشرق، المغرب، 2012.
45-محمد بيصار، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1973.
46-محمد سبيلا، مدارات الحداثة، ط1، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت، 2009.
47-محمد عبد الرحمن بدوي، الانسانية والوجودية في الفكر العربي،(ب ط)، الناشر وكالةالمطبوعات ودار القلم، لبنان، 1982 .
48-محمود القاسم، النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، ط4، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر،ت.
49-مصطفي النشار، الفلسفة التطبيقية، ط1، الدار المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
50-نبيل عبد اللطيف، فلسفة القيم نماذج نيتشوية، ط1، دار التنوير،(ب ب)، (ب س)
51-نورة بوحناش، الأخلاق والحداثة، ط1، افريقيا الشرق، المغرب، 2013.
52-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1936.
53-يي دني، أصول الأخلاق، تر: إبراهيم وجدي ، (ب ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، (ب س).

الفرنسية:

54- Dieter Birnbacher, **La responsabilité envers les génération futures**, traduit par Olivier Mannoni, Editions Presses Universitaires de France, Paris, 1994.

55- Edgar Morin, **Bioéthique, méthode et complexité**, Presses de l'Université du Québec, Canada, 2001.

56- François Dagognet, **Philosophie biologique**, 2e édition, Presses universitaires de France, 1955.

57- Pierre-Henri Gouyon, L**a bioéthique est-elle de mauvaise foi ?**, Presses universitaires de France, Paris,1999.

58- Jean Pierre Zarader, in **Hans Jonas** de Olivier Depré, Ellipses Marketing, Paris, 2013.

59- Bertrand Mathieu, **La bioéthique**, Edition, Dalloz, Paris, 2009.

60- Hans Jonas, **L'art médical et la responsabilité humaine**, préface d'Emmanuel Hirsch, Editions du Cerf, Paris, 2012

61- Francis Fukuyama, **La fin de l'homme. Les conséquences de la révolution biotechnique**, Editions de la table ronde, Paris, 2002.

3/ المعاجم والموسوعات :

العربية :

1-فؤاد كامل وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرا: زكي نجيب محمود، (ب ط)،دار القلم، بيروت، (ب ت.).

2-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية ، مصر، 2004.

1ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1983.

3-مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، منشورات دار ومكتبة الهلال، لبنان،1995.

4-هوتردتش، دليل أكسفورد، تر:نجيب الحصادي،ج1،المكتب الوطني للبحث والتطوير، 2003.

5-جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، ط2، دار المعارف مصر ، القاهرة، 1985.

6-ابن منظور ، لسان العرب، الجزء الرابع، ب س .

7-المنجد في اللغة العربية، المكتبة الشرقية، بيروت، ط43، 2000.

8-صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، ب ط، دار الكتاب اللبناني، دمشق،1982.

9-ميشلان مارزانوا، معجم الجسد، تر: حبيب نصر الله ، المجلد1، ط،1مجد المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2012 .

10-مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، (ب ط)، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

الفرنسية :

11-André Lalande, **Vocabulaire technique et critique de la philosophie**, Ed. Presses universitaires de France, 1962.

12- Floton Dir, **Dictionnaire philosophique**, Edition du Progrès, Moscou, 1985

13- **Le grand dictionnaire encyclopédique Larousse**, Librairie Larousse, volume 3, Paris, 1982

14- Michel Blay et autres, **Grand Dictionnaire de la philosophie,** Larousse/CNRS Editions, 2012

15- Guy Durand, **Introduction générale à la bioéthique**, Les éditions du Cerf, 1999

16- Noella Baraquin et autre**, Dictionnaire de philosophie**, 2e édition, Armand Colin, Paris, 2000

17- Paul Foulquié, **Dictionnaire de la langue philosophique**, Presses universitaires de France, Paris, 1962

18- **Dictionnaire d'éthique et de philosophie morale**, sous la direction de Monique Canto-Sperler, Ed. Presses universitaire de France, 2004

19- Joel Andriantsimbazovina, **Dictionnaire des Droit de l'homme** 1ère édition, Presses universitaires de France, 2008.

20-Dictionnaire des sciences philosophiques, par une société de professeurs et de savants, sous la direction de Franck Adolphe, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1875.

4/ المجلات والدوريات:

1أحمد عبد الحليم عطية وآخرون، أوراق فلسفية من نقد العقل إلي انطولوجيا العصر، العدد 11، القاهرة، 2004.

2-علال الفاسي، مجلة أصل، الدار البيضاء، العدد 4، 1966.

3-فتحي جوهر فرمزي، مقالة حول مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام الثوراة والإنجيل والقرآن، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد2/1، مجلد 8، 2014.

4-محمد لحبيب بن خوجة، مقالة بعنوان الإسلام وعلم الأحياء، الملتقي الدولي حول أخلاقيات في علوم لأحياء، تونس، 1998

5- يوسف تبيس، مقالة: تطور مفهوم الجسد:من التأمل الفلسفي إلي التصور العلمي، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد37، الكويت، 2009.

6 بهاء بن نوار، مقالة(الجسد بين ثوابت الموروث وتغيرات الحداثة)، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2016.

7 -مصطفي كحيل، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي ، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، 2016 .

8أحمد محمد خلف المومني، القتل المريح بدافع الشفقة بين الشريعة والقانون، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، العدد 19، 2008.

9-بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر:عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 1992.

10-جيروم بنتام القيم إلي أين ؟، ، رويشي إيدا، مقالة بعنوان أخلاقيات علوم الحياة ومستقبل الكائن الحي، بيت الحكمة، تونس، 2005

11-دانييل كيفلس و ليروى هود، الشفرة الوراثية للإنسان، ترجمة أحمد مستجير، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد 217، يناير، 1997

12-زهدور اشواق، المسؤولية الجزائية للطبيب الناجمة عن نقل وزرع الأعضاء البشرية والاتجار بها، مجلة الدراسات الاقتصادية، مستغانم، 2015

13-سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والشؤون والآداب، الكويت.

14-عادل ضاهر (مقالة بعنوان: ايمانويل ليفيناس)، أوراق فلسفية، العدد17، القاهرة،2007.

15-فتحي مسكيني، كانط بعد هايدغر الانسان ماهو؟ أم من هو؟، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2010

16-مصطفي حنفي، مقالة (إنسانية الأنوار أو خطاب العقل والحرية) ، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية وكرسي اليونيسكو للفلسفة في العالم العربي، قسنطينة، (ب س).

17-ناصيف نصار، مقالة بعنوان: كانط والغزالي إشراف عقلاني أم تنوير عقلاني؟)، مجلة أوراق فلسفية، العدد11، القاهرة، 2004.

5/ الرسائل الجامعية:

1-Marcelle Monette, **Analyse du concept de dignité humaine en bioéthique entre 1966 et 1999 et construction d'une définition**, Dissertation, Université de Montréal, Canada, 2000.

2 -عمر بوفتاس، البيوايتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجية، افريقيا الشرق، المغرب 2011 .

3-العمري حربوش، التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة فراونس وداغوني، مذكرة لنيل شهادة المجيستر، جامعة قسنطينة، 2008

6 /ملتقيات:

1ملتقي دولي حول الأخلاقيات في علوم الأحياء، 23و25أكتوبر 1997 بتونس

2 A. Duprez, **De la dignité fondement des philosophies humanistes à ses traductions dans le droit contemporain**, Cycle de conférences de l'Espace Saint Jean, Nancy, 2008.

.

6/ السمعي البصري:

1-عبد الرزاق بالعقروز، مقال:لدعة الانوار، الخميس 10 مارس 2016، الموقع الرسمي 2016/07/28

2-فواز صالح، مقالة إلكترونية بعنوان: القانون الخاص اللإستنساخ البشري في القانون163/law/detail/http//arab ency.com،17/03/2017، التوقيت:13:12.

3-أنظرالموقع الالكتروني Jens clausen :

http://www.bpb.de/gesellschaft/umwelt/bioethik/33773/klonen :

التوقيت23:45التاريخ 2016/10/24

4- https://www.youtube.com/watch?v=Rq4QsYyDdM0 محاضرة لدكتور طارق رمضان "هل الموت الرحيم حق ومطلب إنساني داخل الكرامة الإنسانية " جامعة باريس، 2015/09/06، التوقيت:17:12.

5- عامر عبد الزيد الوائلي، مفهوم الانسان في فكر أوغسطين، الموقع الكتروني http://almothaqaf.com/index.php/derasat/60720.html، التاريخ:2017/01/21، التوقيت19:29.

6- مقالة بعنوان الكرامة الإنسانية التاريخ 2016/10/24 التوقيت 20:48: الموقع الالكتروني http://www.al-akhbar.com/node/256458

7-أحماد اليعقوبي، مقال الكتروني بعنوان: من الواجب إلى مفهوم الشخص نموذج كانط ، تاريخ2016/07/28www.anfasse.org

الـمـلاحق

الوثيقة رقم :01

لم يحسم رجال الدين مواقفهم تجاه القضايا البيوتيقية، سواء فيما بين ممثلي الديانات السماوية الثلاث، أو داخل كل ديانة على حدة، والجدول المقارن المدرج يكشف عن مدي وطبيعة اختلاف المواقف:

مواقف الديانات البيوتيقية	الكاثوليكية	البروتستانية	الأرثدوكسية	اليهودية	الإسلامية
التلقيح الإصطناعي مع وجود متبرع بالمني	مرفوض بشكل قطعي	مقبولة للأزواج العاجزين عن الإنجاب بالطرق العادية	مرفوض	ممنوع بشكل كلى	ممنوع
التلقيح الإصطناعي اعتمادا على مني الزوج وبويضة الزوجة	مرفوض مع إمكانية التساهل	مقبول للأزواج العاجزين عن الإنجاب بالطرق العادية	مقبول	مسموح به مع وجود ضرر	مسموح به
أطفال الأنابيب مع وجود متبرع	مرفوض	مقبول للأزواج العاجزين عن الإنجاب بالطرق العادية	مرفوض	ممنوع بشكل عام	ممنوع
أطفال الأنابيب	مرفوض مع	مقبولة	مسموح به	مسموح به مع	مسموح به

اعتمادا على مني الزوج وبويضة الزوجة	إمكانية التساهل		شرط ألا تكون هناك أجنة زائدة	وجود ضرورة الطبية	
الإعارة المجانية للرحم	مرفوض بشكل قطعي	اختلاف الآراء حول المسألة	مرفوض وبشكل قطعي	ممنوعة	ممنوعة
استئجار الرحم مع تعويض	مرفوض بشكل قطع	مرفوض	مرفوض بشكل قطعي	ممنوع	ممنوع

المصدر: الجدول مقتبس من مقالة بعنوان: موقع البيواتيقا في إطار المعرفة المعاصرة، عمر بوفتاس، الرابط الإلكتروني: http//www.aljabriabed.net/n40-03bufta.htm

الوثيقة رقم: 02

تقرير التربص في قسم الغيبوبة بوهران

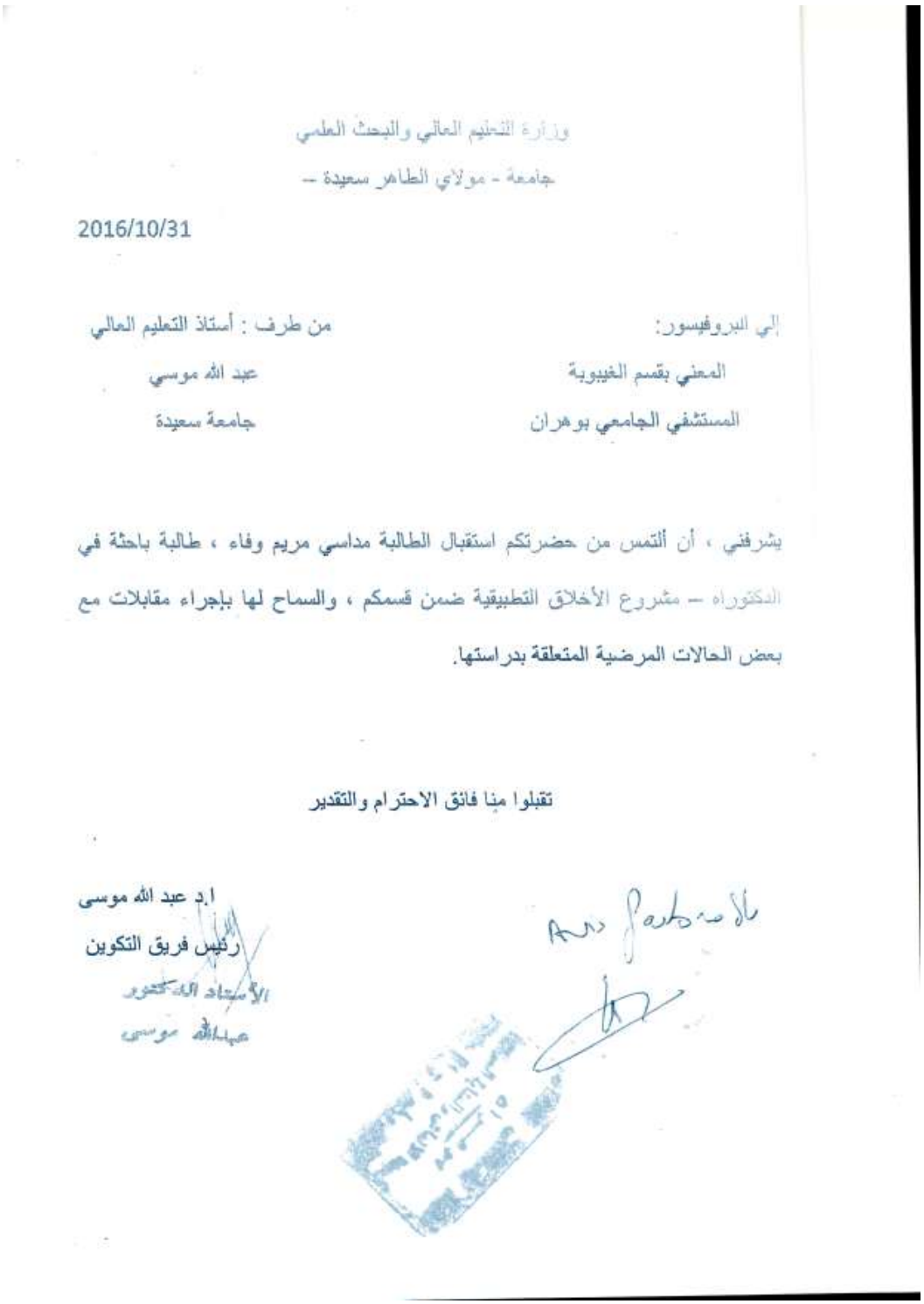

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة - مولاي الطاهر سعيدة –

2016/10/31

إلى البروفيسور:	من طرف : أستاذ التعليم العالي
المعني بقسم الغيبوبة	عبد الله موسى
المستشفى الجامعي بوهران	جامعة سعيدة

يشرفني ، أن ألتمس من حضرتكم استقبال الطالبة مداسي مريم وفاء ، طالبة باحثة في الدكتوراه – مشروع الأخلاق التطبيقية ضمن قسمكم ، والسماح لها بإجراء مقابلات مع بعض الحالات المرضية المتعلقة بدراستها.

تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير

ا.د عبد الله موسى

رئيس فريق التكوين

الأستاذ الدكتور

عبدالله موسى

الوثيقة رقم:03

قسم أبقراط

أقسم بالطبيب أبولو وأسكليبيوس وهيجيا وبانكيا وجميع الأرباب والربات وأشهدهم، بأني سوف أنفذ قدر قدرتي واجتهادي هذا القسم وهذا العهد. وأن أجعل ذلك الذي علَّمني هذا الفن في منزلة أبويّ، وأن أعيش حياتي مشاركًا إياه، وإذا صار في حاجة إلى المال أن أعطيه نصيبًا من مالي، وأن أنظر بعين الاعتبار إلى ذريته تمامًا كنظرتي إلى إخواني وأن أعلمهم هذا الفن –إذا رغبوا في تعلمه– دون مقابل، وأتعهد أن أعطي نصيبًا من التعاليم الأخلاقية والتعليمات الشفهية وجميع أساليب التعليم الأخرى لأبنائي ولأبناء الذي علَّمني وللتلاميذ الذين قبلوا بالعهد وأخذوا على أنفسهم القسم طبقًا لقانون الطب، وليس لأي أحد آخر.

ولن أعطي عقارًا مميتًا لأي إنسان إذا سألني إياه، ولن أعطي اقتراحًا بهذا الشأن. وكذلك لن أعطي لامرأة دواءً مجهضًا. وسوف أحافظ على حياتي وفني بطهارتي وتقواي. ولن أستخدم الموسى حتى مع الذين يعانون من الحصوات داخل أجسامهم. وسوف أتراجع لمصلحة الرجال المشتغلين بهذا العمل. وأيا كانت البيوت التي قد أزورها، فإنني سأدخل لنفع المريض، على أن أظل بعيدًا عن جميع أعمال الظلم المتعمَّد، وجميع الإساءات وبخاصة العلاقات الجنسية سواء مع الإناث أو مع الذكور أحرارًا كانوا أو عبيدًا. وسوف أظل حريصًا على منع نفسي عن الكلام في الأمور المخجلة، التي قد أراها أو أسمعها أثناء فترة المعالجة وحتى بعيدًا عن المعالجة فيما يتعلق بحياة الناس، والتي لا يجوز لأحد أن ينشرها فإذا ما وفيت بهذا القسم ولم أحِدْ عنه،

يحق لي حينئذ أن أهنأ بالحياة وبالفن الذي شَرُفت بالاشتهار به بين جميع الناس في جميع الأوقات؛ وإذا ما خالفت القسم وأقسمت كاذبًا، فيجب أن يكون عكس هذا نصيبي و جزائي.

المصدر : ويكيبيديا

التاريخ : 2016/10/16

التوقيت : 23:50

الوثيقة رقم : 04

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

الديباجة

لما كان الإقرار بما لجميع أعضاء الأسرة البشرية من كرامة أصيلة فيهم، ومن حقوق متساوية وثابتة، يشكل أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، ولما كان تجاهل حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال أثارت بربريتها الضمير الإنساني، وكان البشر قد نادوا ببزوغ عالم يتمتعون فيه بحرية القول والعقيدة وبالتحرر من الخوف والفاقة، كأسمى ما ترنو إليه نفوسهم، ولما كان من الأساسي أن تتمتع حقوق الإنسان بحماية النظام القانوني إذا أريد للبشر ألا يضطروا آخر الأمر إلى اللياذ بالتمرد على الطغيان والاضطهاد، ولما كان من الجوهري العمل على تنمية علاقات ودية بين الأمم

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أعادت في الميثاق تأكيد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الإنسان وقدره، وبتساوي الرجال والنساء في الحقوق، وحزمت أمرها على النهوض بالتقدم الاجتماعي وبتحسين مستويات الحياة في جو من الحرية أفسح، ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالعمل، بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان تعزيز الاحترام والمراعاة العالميين لحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ولما كان التقاء الجميع على فهم مشترك لهذه الحقوق والحريات أمرا بالغ الضرورة لتمام الوفاء بهذا التعهد، فإن الجمعية العامة تنشر على الملأ هذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بوصفه المثل الأعلى المشترك الذي ينبغي أن تبلغه كافة الشعوب وكافة الأمم، كيما يسعى جميع أفراد المجتمع وهيئاته، واضعين هذا الإعلان نصب أعينهم على الدوام، ومن خلال التعليم والتربية، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات، وكيما يكفلوا، بالتدابير المطردة الوطنية والدولية، الاعتراف العالمي بها ومراعاتها الفعلية، فيما بين شعوب الدول الأعضاء ذاتها وفيما بين شعوب الأقاليم الموضوعة تحت ولايتها على السواء .

المادة 1

يولد جميع الناس أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء .

المادة 2

لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسيا وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر .

وفضلا عن ذلك لا يجوز التمييز علي أساس الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص، سواء أكان مستقلا أو موضوعا تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أم خاضعا لأي قيد آخر علي سيادته .

المادة 3

لكل فرد حق في الحياة والحرية وفى الأمان على شخصه .

المادة 4

لا يجوز استرقاق أحد أو استعباده، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما .

المادة 5

لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحط من كرامته .

المصدر http://hrlibrary.umn.edu/

التاريخ : 2016/09/15

التوقيت :16:55 .

الوثيقة رقم :05

اللجان الأخلاقية للبيولوجيا

يدعو الإعلان العالمي لأخلاقيات البيولوجيا وحقوق الإنسان إلى تأسيس لجان أخلاقية مستقلة ومتعددة التخصصات وتعددية على المستويات الوطنية والإقليمية والمحلية والمؤسسية.

تعزز لجان أخلاقيات البيولوجيا دور اليونسكو كمركز دولي لتبادل المعلومات بشأن المسائل الأخلاقية. فضلاً عن ذلك، ستكون لجان أخلاقيات البيولوجيا إحدى أهم الهيئات الوسيطة لتطبيق الصكوك المعيارية التي تعتمدها الدول الأعضاء. وقد أنشأ عدد كبير من الدول لجاناً معنية بأخلاقيات البيولوجيا على مختلف مستويات الحكومة.

إلا أن مثل هذه اللجان لا تتوافر في معظم الدول الأعضاء في الوقت الراهن. وقد أطلقت اليونسكو برنامجاً لدعم تشكيل لجان أخلاقيات البيولوجيا وعملها (مشروع مساعدة لجان أخلاقيات البيولوجيا).

ان التركيز الأساسي ينصب على لجان أخلاقيات البيولوجيا الوطنية المنخرطة في ابداء المشورة السياسية، النقاش العام والتربية.

المصدرhttp://www.unesco.org/

التاريخ :201/10/16

التوقيت : 00:51

الوثيقة رقم: 06

أنموذج التبرع بالخلايا الجذعية في مملكة الأردن

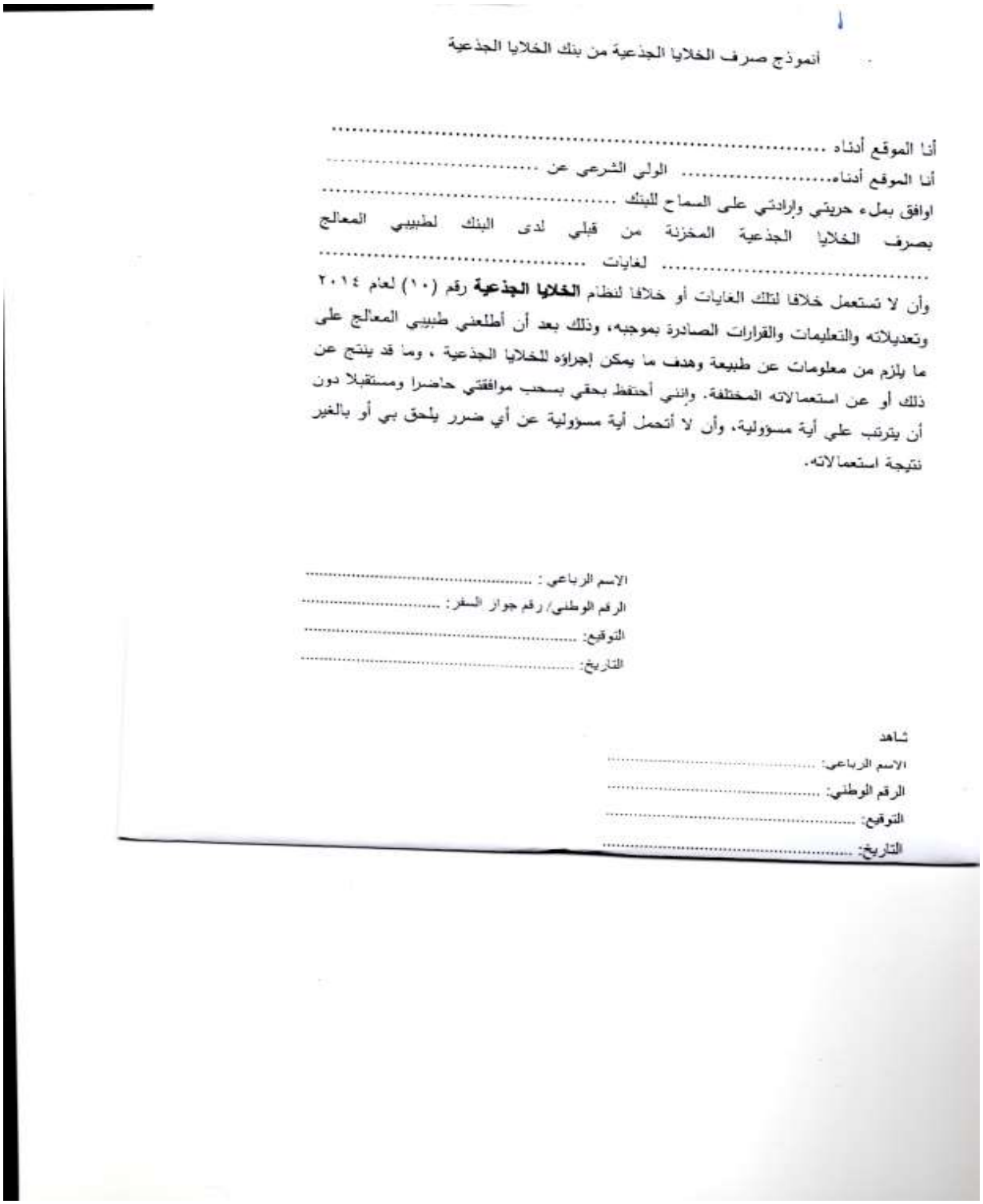

أنموذج صرف الخلايا الجذعية من بنك الخلايا الجذعية

أنا الموقع أدناه .....

أنا الموقع أدناه..... الولي الشرعي عن .....

اوافق بملء حريتي وإرادتي على السماح للبنك .....

بصرف الخلايا الجذعية المخزنة من قبلي لدى البنك لطبيبي المعالج

..... لغايات .....

وأن لا تستعمل خلافا لتلك الغايات أو خلافا لنظام **الخلايا الجذعية** رقم (١٠) لعام ٢٠١٤ وتعديلاته والتعليمات والقرارات الصادرة بموجبه، وذلك بعد أن أطلعني طبيبي المعالج على ما يلزم من معلومات عن طبيعة وهدف ما يمكن إجراؤه للخلايا الجذعية ، وما قد ينتج عن ذلك أو عن استعمالاته المختلفة. وانني أحتفظ بحقي بسحب موافقتي حاضرا ومستقبلا دون أن يترتب علي أية مسؤولية، وأن لا أتحمل أية مسؤولية عن أي ضرر يلحق بي أو بالغير نتيجة استعمالاته.

الاسم الرباعي : .....

الرقم الوطني/ رقم جواز السفر: .....

التوقيع: .....

التاريخ: .....

شاهد

الاسم الرباعي: .....

الرقم الوطني: .....

التوقيع: .....

التاريخ: .....

الصورة رقم :01

شكل يوضح العملية التي تتم بها الاستنساخ.

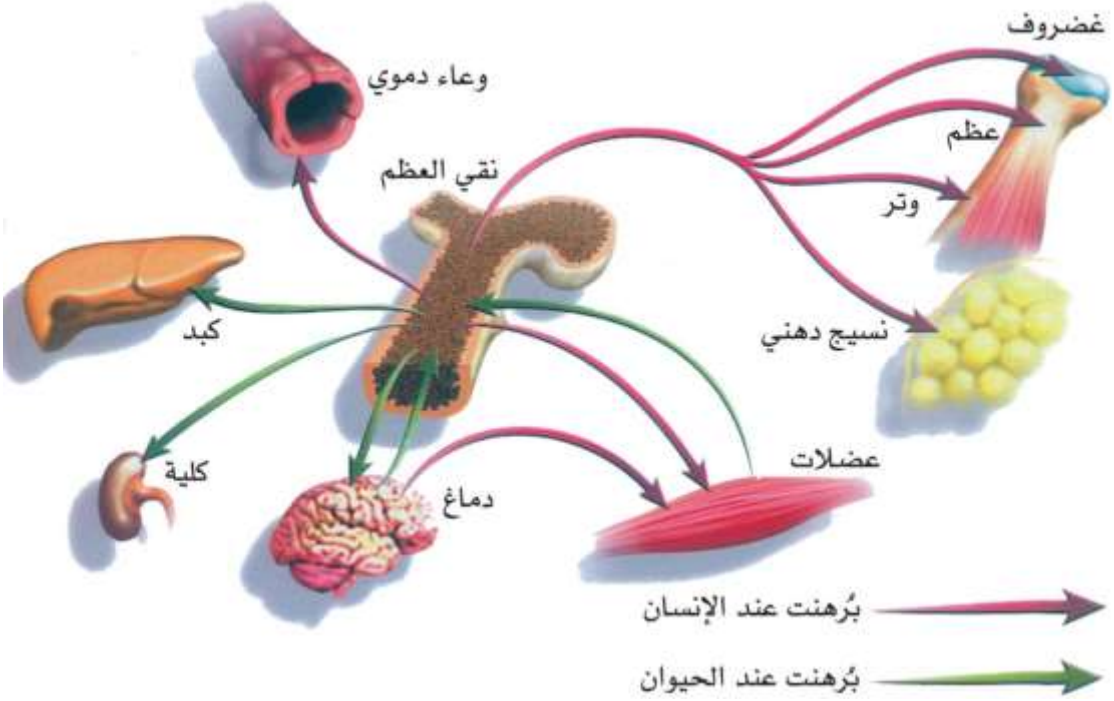

المصدر http://www.eajaz.org/neweajaz :

التوقيت :14:15

التاريخ:2016/10/10

الصورة رقم: 02

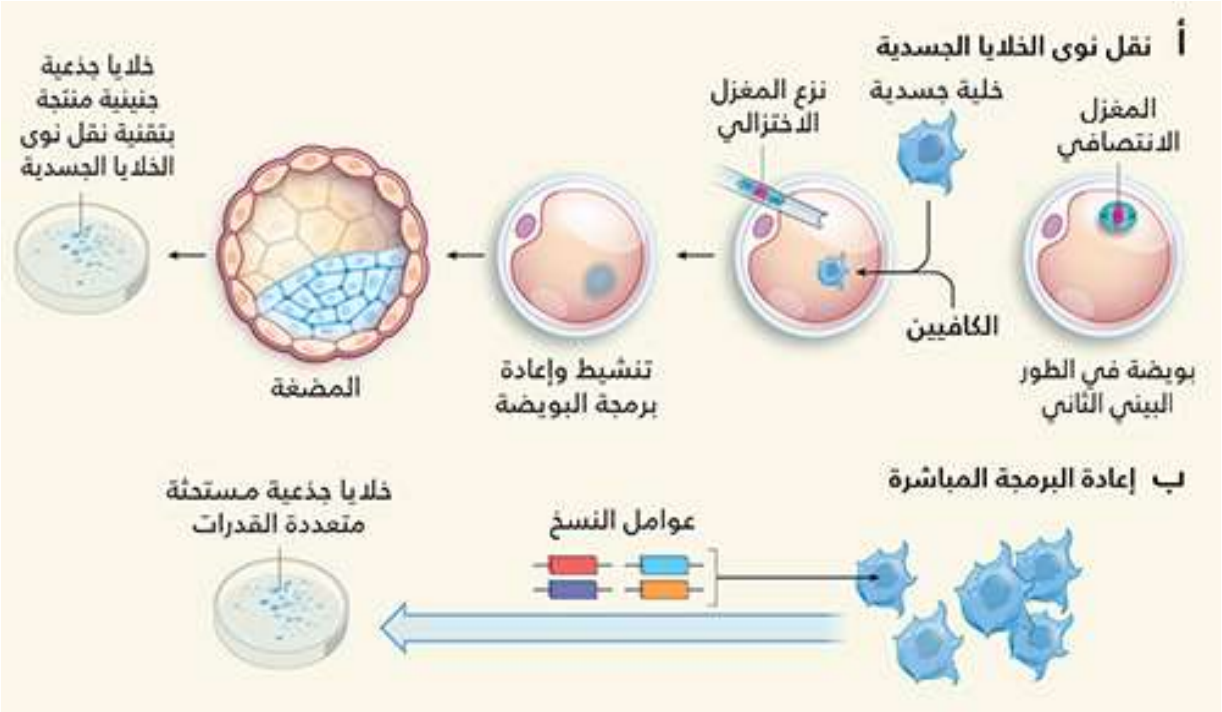

المصدرhttp://arabicedition.nature.com/

التاريخ :2016/10/17 التوقيت : 08:19

توضح هذه الوثيقة توليد الخلايا الجذعية متعددة القدرات مخبريًّا أظهر العالم تاشيبانا وزملاؤه أن الخلايا الجذعية الجنينية البشرية يمكن توليدها بواسطة تقنية «نقل نوى الخلايا الجسدية». قام الباحثون بنزع المغزل الاختزالي (الانتصافي) من خلية بويضة توقفة عند مرحلة الطور البيني الثاني metaphaseII من الانقسام الاختزالي للخلية، ثم حُضنت خلية البويضة باستخدام الكافيين؛ لمنع الاكتمال غير الناضج للانقسام الاختزالي المُنصِّف. ومن ثم أدخلوا خلية جسدية في بويضة منزوعة النواة. أعقب ذلك تنشيط للبويضة، وإعادة برمجة خلوية، مُنْتِجَةً بذلك حوصلات أرومية (مُضَغًا) اشتُقت منها خلايا جذعية جنينية–SCNT) (ESب، بالمقارنة، توليد خلايا جذعية مستحثة متعددة القدرات (iPS) يتضمن إدخال أربعة عوامل نسخ متعلقة بتعدد القدرات في خلية متمايزة (ناضجة)؛ لاستحثاث إعادة برمجتها مباشرة.

الصورة رقم :03

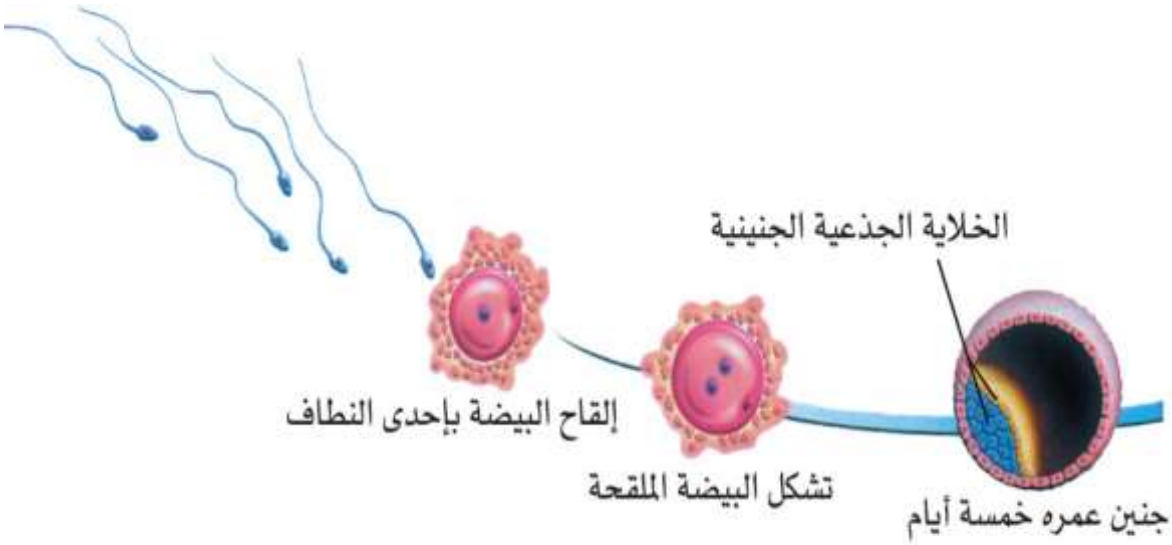

المصدر :http://internationalnewsagency.net/new

التاريخ :2016/10/19

التوقيت :05:43

وثيقة توضح منطقة وجود الخلايا الجذعية، في مراحلها الأولى للاستفادة منها جينيا سواء في الزرع أو التلقيح .

الصورة رقم :04

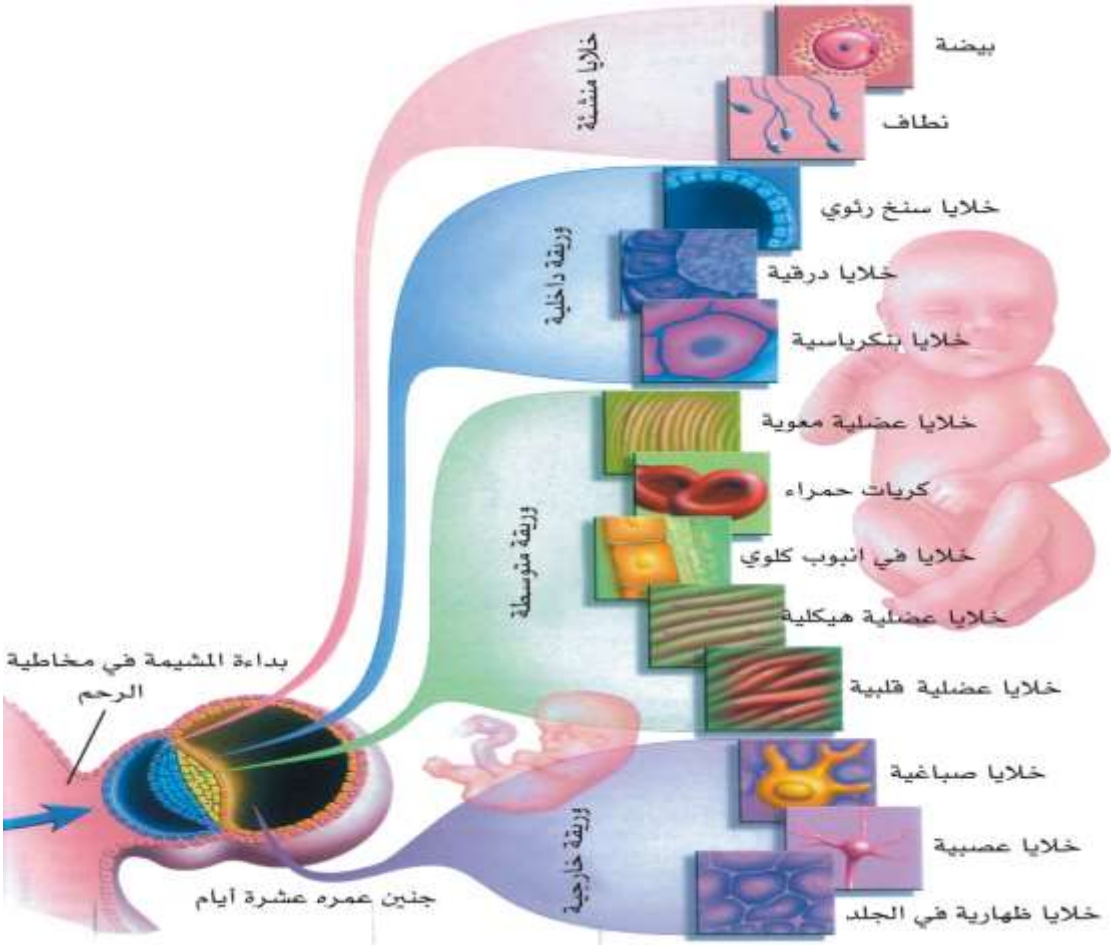

المصدر :http://www.arab-ency.com/ar

التاريخ :2016/10/09

التوقيت :13:02

رسم يوضح الاستنساخ العلاجي، عبر الاستفادة من الجينات، قبل ولادة الجنين.

الصورة رقم :05

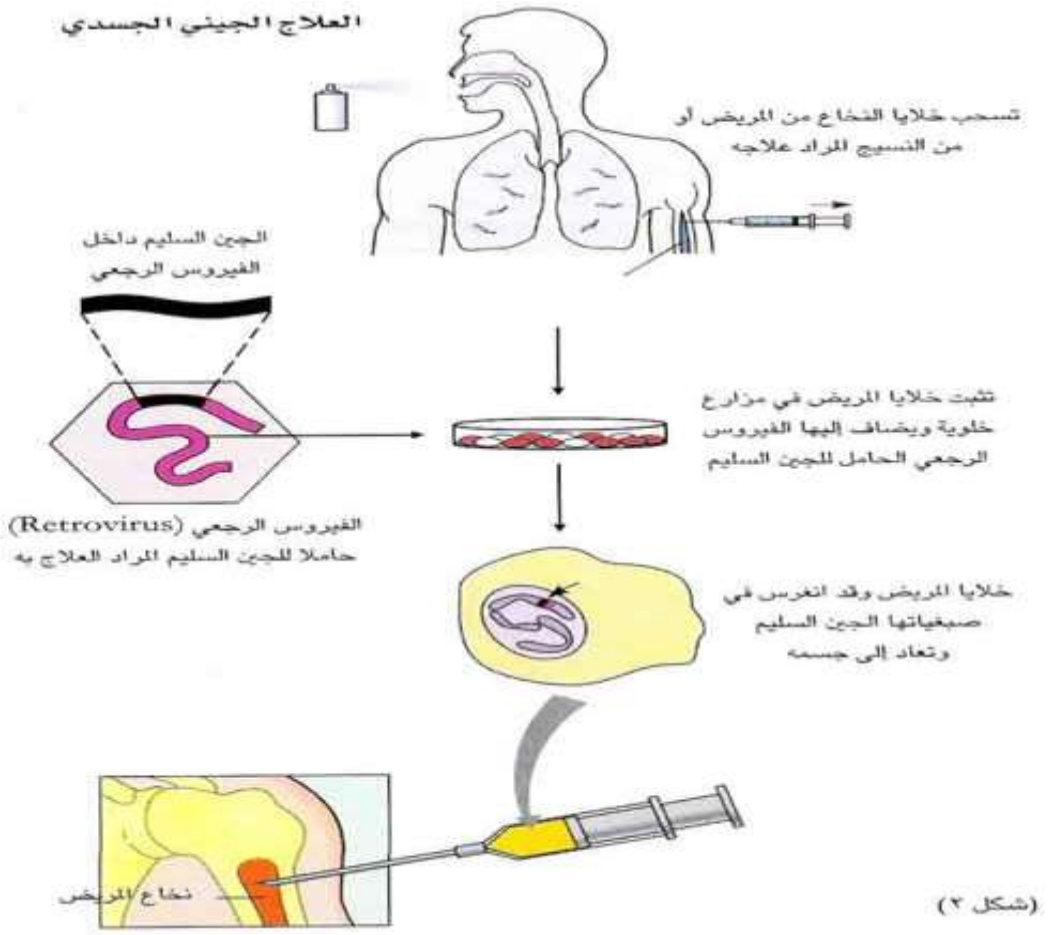

المصدر http://www.pharmacistsworld.com/forum/showthread

التاريخ:10/10/25

التوقيت : 12:11

توضح هذه الصورة مراحل التجارب التي تقام على الإنسان لغرض العلاج الجيني ، ويمكن أن تغرس قبل الولادة (الجنين) ، وهذا ما قد أثبته دراسة حديثة لمولودة كانت تعاني من مرض وتم علاجها جينيا قبل الوالدة وهذا ما يفتح الآفاق أمام المرضي الوراثية يمكن الحد منها ومن مخاطر.

الانجليزية	الفرنسية	العربية
The respect	Le respect	الاحترام
Ethics	L’éthique	الاتيقا
Abortion	L’avortement	الاجهاض
The other	L’autre	الآخر
Morality	La morale	الأخلاق
Cloning	Le clonage	الاستنساخ
Recognition	La	الاعتراف
The	L’engagement	الالتزام
The moral	L’engagement	الالتزام الخلقي
The self	Le moi	الأنا
The man	L’homme	الانسان
Humanism	L’humanisme	الانسانية
Bioethics	La bioéthique	البوايتقيا
Biology	La biologie	البيولوجيا
The body	Le corps	الجسد
Freedom	La liberté	الحرية
The right	Le droit	الحق
The self	Le soi	الذات
Organ	La greffe	زراعة الأعضاء
Justice	La justice	العدالة
The moral law	La loi morale	القانون الأخلاقي
Values	Les valeurs	القيم
The Dignity	La dignité	الكرامة
The	La	المسؤولية
The death	La mort	الموت
Euthanasia	L’euthanasie	الموت الرحيم

The identity	L’identité	الهوية
The duty	Le devoir	الواجب
Biotechnology	La	البيوتكنولوجيا
Nano	Nano	النانوا

الكرامة الانسانية في الأخلاقيات التطبيقية

لقد انشغل الفكر الفلسفي المعاصر بفلسفة الانسان خصوصا بعد تراجع التعاطي للأطروحات الأخلاقية الكلاسيكية التي كانت تبحث فيما هو كائن، وبروز ما يسمي بالأخلاقيات الجديدة التي بدأت تطفوا على واجهة النقاش الفلسفي ، وذلك من خلال معالجة أهم القضايا الكبرى التي تعنى بالإنسان والتي أضحت محطة اهتمام الفلاسفة والمفكرين ورجال القانون... فتمخض عنها ظهور خطابات التمسنا ارهاصاتها في التفكير الانساني منذ بداياته الأولي، ولمحنا تجدد ضهورها في الطرح الايتيقي الراهن، ولعل أبرز مثال عن ذلك هو الحديث عن الكرامة الانسانية والبحث عن إنسانية الانسان. فالحقل الانساني اليوم أصبح يطالب بتأسيس مشروعية ايتيقية للحياة الانسان، وهذا ما يستدعي طرح العديد من الإشكالات التي تتمخض في ضوء فكرة الرهان الفلسفي البيوايتقي، مستندتا على دراسات فلسفية تشتغل بالديالكتيك الايتيقي، الذي أوجده التقدم الكبير في شتي المسائل الايتيقية التي برزت في العلاقات بين علوم الحياة والتكنولوجيا والقانون والفلسفة... ففي خضم كل هذا الحراك الفلسفي والعلمي الذي يجعل الانسان محورا أساسيا لاهتماماته نجد أنفسنا ملزمين بالبحث والتأسيس لكرامة إنسانية داخل الحقل التقني والبيوايتقي.

La dignité humaine dans la bioéthique

La réflexion philosophique moderne s'est penchée sur la philosophie de l'homme, particulièrement après le recul des thèses classiques de la morale qui portait un intérêt spécifique à l'être humain, et après l'apparition de la nouvelle éthique. Celle-ci prend une place prépondérante dans le débat philosophique en traitant des grandes questions touchant à l'homme, centre d'intérêt entre autres des philosophes, des intellectuels et des spécialistes du droit. Cela a donné lieu à l'apparition de discours sur l'homme dont les prémices ont été constatés déjà dans ses réflexions depuis les premières heures avant de constater leur renouveau dans la nouvelle éthique. Les meilleurs exemples sont ces réflexions diverses concernant la dignité humaine et ces recherches menées sur la personnalité de l'homme.

Aujourd'hui, l'humanité a grand besoin d'une éthique de la vie humaine, ce qui nécessite un intéressement à nombre de problématiques qui seront puisées dans les défis philosophiques de la bioéthique, et ce, grâce à des études philosophiques autour de la dialectique éthique, née du grand essor constaté dans les relations entre les sciences de la vie, la technologie, le droit et la philosophie…

Dans le champ de la réflexion philosophique et scientifique en mouvement, avec l'homme au centre de tous les intérêts, nous nous retrouvons dans l'obligation de mener des travaux sur la dignité humaine et à poser ses fondements, dans le domaine technique et bioéthique.

Human dignity in bioethics

Modern philosophical reflection has focused on the philosophy of man, especially after the retreat of the classical theses of morality which was of specific interest to the human being and after the emergence of the new ethic which takes a prominent place in the philosophical debate by dealing with the major questions concerning man, a center of interest amongst philosophers, intellectuals and legal scholars. it has given rise to the emergence of discourse on man whose premises have already been noted in his reflections since the first hours before witnessing their renewal in the new ethic. The best examples are the various reflections on human dignity and this researches on the human personality.

Today, humanity is in great need of an ethics of human life, which requires an interest in many of the problems that will be drawn from the philosophical challenges of bioethics, thanks to philosophical studies Dialectic ethics, born of the great growth seen in the relations between the life sciences, technology, law and philosophy...

In the field of philosophical and scientific reflection in motion, with man at the center of all interests, we find ourselves obliged to carry out work on human dignity and to lay the foundations in the technical and bioethics field.